أحمد خيري العمري

الخطة السرية لإنقاذ البشرية

يسمح بالقراءة من سن 7 إلى 77

عصير الكتب

مكتبة ٦٨٨

اهداء

الرسائل

ما النا الا مكتبة ملجأ.. ياريت تكون العيدية..
الخطه السريه لانقاذ البشرية ☺

مكتبة 688
سُر مَن قرأ

أحمد خيري العمري

الخطة السرية لإنقاذ البشرية

عصير الكتب
للنشر والتوزيع

مكتبة | 688
سُر مَن قرأ

الكتاب: الخطة السرية لإنقاذ البشرية
المؤلف: أحمد خيري العمري
التدقيق اللغوي: نرمين عياد
تنسيق داخلي: ضياء فريد
الطبعة الأولى: يناير 2021
رقم الإيداع: 2021/2055
I.S.B.N: 978-977-992-143-3

المدير العام: محمد شوقي
مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

telegram @t_pdf

عصير الكتب للنشر والتوزيع

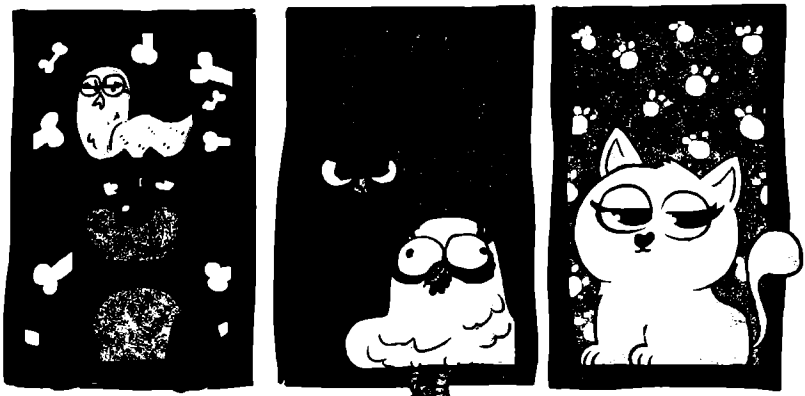

أحمد خيري العمري

الخطة السرية لإنقاذ البشرية

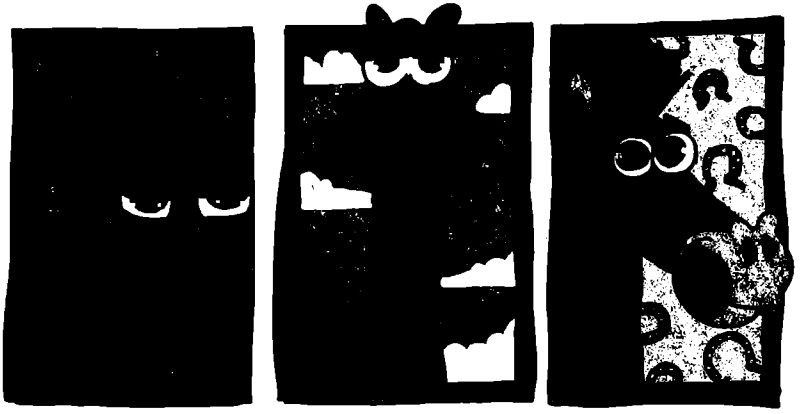

تلاحظ مجموعة من الحيوانات في
مكة أن البشر قد تمادوا كثيرا في
رفض الإيمان، وأن فرصهم تكاد
تنفد، لذا يقررون التدخل لجعل
الناس في مكة أقرب إلى الإيمان ..

معاً سنرى هريرة ودجانة ونبّاح
ويقظان والضرس وقصواء وسريعة
وهم يتحدون معا من أجل تنفيذ
"الخطة السرية لإنقاذ البشرية".
وخلال ذلك سنرى ما كان يحدث في
مكة ولكن من منظور مختلف تماما

إلى

مصطفى العقاد

1

مكتبة
t.me/t_pdf

- «**بصراحة، البشر كائنات مُملة، ميؤوس منها، لا أمل في تغيُّرها أو تغييرها، ولهذا أعتقد أن اجتماعنا هذا مجرد مضيعة للوقت**».

قالت هريرة وهي تتمطى وكأنها قد استيقظت للتو من النوم.

- «**هذا متوقع جدًّا منكِ ومِن صنفك يا هريرة، معروفة.. القطط أكّالة ونكّارة**».

قال نبّاح وهو يرمق هريرة بنظرات احتقار باردة.

أشاحت هريرة بوجهها إلى الجهة المُعاكسة لنبّاح وقالت مع ابتسامة كسول: «**أن أكون أكّالة ونكّارة أفضل مائة مرة من أن أكون وفيّة لمَن يعتبرني (شتيمة) يستخدمها وقت الغضب عندما يريد إهانة أحد**».

قال الضرس: «**اسمحي لي يا آنسة هريرة، مع كل احترامي لحضرتك، رأيك فيه نوع من السلبية**».

قالت هريرة بصوت منخفض كأنها تُحدِّث نفسها: «**حظي السيئ هو الذي جعل الضرس حصانًا وليس هرًّا.. أين أجد هرًّا بمثل لطفه ووسامته وبياض أسنانه؟**». ثم بصوتٍ مرتفع: «**سَمِّها سلبية إن شئت يا عزيزي الضرس.. أنا أُسمِّيها واقعية**».

- «**الضرس يقول عنها سلبية، وأنتِ تدعين أن اسمها (واقعية)، لكن في الحقيقة اسمها (قلة وفاء)**». قال نبّاح بتهكّم.

ردت هريرة: «**كل الكلاب لديها عقدة نقص من القطط لأنها أرقى وأجمل، يُضاف إليها عُقدتك الشخصية بسبب فشلك في الصيد، لذا تتصيد لي أي كلمة لعلّك تُعوِّض بها فشلك في الصيد**».

زمجر نبّاح وأظهر أنيابه: «**مَن قال لكِ إني فاشل في الصيد؟**». كان على وشك الهجوم على هريرة.

وقف الديك يقظان أمام نبّاح ليمنعه من الهجوم على هريرة، وقال:

- «**احسبها عليَّ يا نبّاح، احسبها عليَّ، امسحها في عُزْفي**».

أما هريرة فقد نفخت على نبّاح وابتعدت قليلًا وقد تقوّس ظهرها ونفخت ذيلها.. وعندما اطمأنت أنها في مأمن اعتدلتْ وأخذتْ تُحرك ذيلها بتيقُّظ.

- «**مَن قال لي إنك فاشل في الصيد؟ مَن؟ مَن؟**». قالت كما لو كانت تتحدث مع نفسها وهي تنظر إلى الأعلى.

ثم قالت بِلؤم وهي تمدُّ ذيلها باسترخاء: «**لعلّه من الأفضل أن أقول أسماء مَن لم يقولوا لي إنك فاشل في الصيد، القائمة هكذا أقصر**».

استشاط نبّاح غيظًا وأخذ يعوي بشدة على هريرة، بينما يقظان يحاول تهدئته.

قالت دجانة لهريرة: «**كم أحب أسلوبك في التعامل مع الذكور يا حياتي، أتمنى لو أني أستطيع تعلُّمه منك لأستخدمه مع يقظان، كثرة النق وتكرار الحديث معه لم يَعُد يُجدي**».

تمطت هريرة وهي تسمع كلمات الإعجاب: «**عزيزتي دجانة، يمكنني أن أعطيكِ دورة في هذا الأسلوب، أطلِقي القطة في داخلك، لكن أنتِ دجاجة، لذا أنا آسفة، لا أعتقد أن هناك أملًا في ذلك، ثم إنكِ تقضين الوقت في الجلوس على البيض وتربية أطفالك، مِن الصعب تصوُّرك وأنتِ (دجاجة قوية ومستقلة)، يمكنني أن أتخيَّل نساء البشر وهن يتعلمن ذلك منّا، لكن ليس أنتِ**».

هزت دجانة رأسها لتنفي التُّهمة: «**لست مستضعفة لهذه الدرجة يا حياتي، لديَّ الكثير مما يمكن أن أفعله، أستطيع أن أكون (دجاجة قوية ومستقلة)**».

تدخل يقظان: «**يا جماعة، أنا مع أخي وصديقي وعزيزي الأستاذ الضرس، كما قال.. عين الصواب، علينا أن نتخلّى عن السلبية قليلًا، نكون إيجابيين**».

قالت دجانة ساخرة: «**نعم يا حياتي، عليكم جميعًا أن تتعلموا الإيجابية من زوجي يقظان، هو إيجابي لدرجة أنه يعتقد أن الشمس تطيعه كل صباح عندما يصيح فجرًا، فتُشرِق بناءً على صيحته**».

ثم قالت بصوت منخفض: «**ولا يفعل أي شيء بعد هذه الصيحة، غير التشكّي من صوت الفراخ وإهمالي لنظافة الحظيرة**».

قالت هريرة وهي تلعق مخالبها بلا اهتمام: «**كل الذكور هكذا، سبحان الله، حكمتك يا رب**».

قال الضرس: «**دعونا نركز في سبب اجتماعنا من فضلكم جميعًا ونتناسى خلافاتنا، هناك شيء من الصواب فيما قالته الآنسة الفاضلة هريرة، اقترف البشر عبر تاريخهم الكثير من الجرائم بوحشية، كما**

أثبتوا كثيرًا أنهم كانوا في مُنتهى الغباء، لكن هذا لا يعني أن علينا أن نقطع الأمل منهم».

وصلت السلحفاة (سريعة) إلى الاجتماع وهي تقول بصوتٍ بطيء: **«آمل ألَّا أكون قد تأخرت. خرجت قبل أسبوع من بيتي، فور وصول خبر الاجتماع، هل كان يجب أن تجعلوا الاجتماع بعيدًا هكذا خلف (دار الندوة)؟».**

قالت هريرة وهي تتثاءب: **«يا خالة أنتِ تسكنين أصلًا في دار الندوة!».**

رحبت دجانة: **«أهلًا وسهلًا بكِ يا خالة، لم يفُتك شيء كثير، هريرة ونبّاح تشاجرا كالعادة، لا شيء جديد حتى الآن يا حياتي».**

سحب الضرس نفسًا وقال: **«مرحبًا بكِ خالة سريعة، كنت أقول إن البشر عبر تاريخهم كانوا أغبياء وفاشلين، ولكن علينا ألَّا نقطع الأمل من ذلك».**

ضحكت سريعة وهي تقول: **«مِن الصعب على السيدة أن تعترف بعمرها، لكن سأكون صريحة، أنا أكبركم سِنًّا، ليس بكثير طبعًا، لكن أعتقد أني أكبركم، لذا صدقوني، لديَّ حكايات كثيرة جدًّا عمَّا تقول من غباء البشر وفشلهم، لم أفهم لماذا تمكّنوا من السيطرة على الكوكب! حتى الآن التفسير الأكثر إقناعًا هو أن الأمر امتحان منه سبحانه وتعالى لنا نحن المخلوقات الأخرى، أو ربما عقوبة منه أيضًا، لم أتمكّن قط من التفريق بين الأمرين، إن كنتم تريدون أن تسمعوا القصص التي أعرفها عن الأمر فأستطيع أن أروي لكم الكثير منها».**

أغمض الضرس عينيه وقال: «**لا، شكرًا خالة سريعة، سمعنا منها ما يكفي، كل ما أريد قوله هنا.. إن علينا أن ننتبه لحدوث تغيُّر مهم في هذه المدة مؤخرًا، تغيُّر ممكن أن يفتح باب الأمل بالبشر**».

هز يقظان عُرْفه موافقًا وهو يقول: «**نعم، أؤيد صديقي وأخي وعزيزي الأستاذ الضرس فيما يقول.. عين الصواب، رغم أني لم أفهم ماذا يقصد**».

قال نبّاح وهو يلحس أنفه كما يفعل دائمًا عندما يشعر بالملل: «**أؤيد الضرس، لكن ليس بطريقة يقظان، بل لأني أعرف عمَّا يتحدث**».

- «**عمَّ تتحدث يا أستاذ الضرس؟ (إنسانتي) أروى بنت كريز بنت عبد شمس تحتاجني جدًّا وعليَّ أن أذهب إليها**».

قالت هريرة التي لم تكُن تقول (سيدتي) بل (إنسانتي) – لأنها لم تكُن مؤمنة بأن البشر يمكن أن يمتلكوا القطط كما يفعلون مع غيرهم من البشر. على العكس، كانت ترى أنها هي مَن تملك (إنسانتها)، تعمّدت أيضًا أن تذكر اسم إنسانتها كاملًا كما لو أنها تريد أن تذكرهم بمكانتها الاجتماعية، فأروى هي حفيدة «**عبد شمس**». واحد مِن أهم سادات مكة في حياته، الأخ التوأم لهاشم.

- «**أتحدث عن أفضل إنسان في مكة، (محمد بن عبد الله) الذي نزل عليه الوحي منه عز وجل، تعرفون جيدًا صدقه وأمانته وأخلاقه مِن قبل أن ينزل عليه الوحي، والآن الوحي قد نزل، ربما يمكنه أن يُغير شيئًا مع البشر**». قال الضرس بصوت قوي ومؤثر.

سرى صوت تأييد بين الحاضرين في الاجتماع.

قالت هريرة: «**لم أتوقع قط أن أوافقك على شيء بهذه السهولة، لكن حتى أنا عليَّ أن أعترف، لا يوجد في لُطف ورُقي محمد، وزوجته السيدة خديجة، ما ألطفها وأرقاها. إنها «كلاس». جدًّا، راقية ومُهذبة في كل شيء، تُحقق معادلة صعبة؛ المرأة العاملة المستقلة الثرية وفي الوقت ذاته هي زوجة وأم وسيدة بيت مذهلة، معادلة لم أحاول تحقيقها قط الحمد لله، كفاني الله هذا التعب بوجود سيدة ثرية تنفق عليَّ بكرم وسخاء، السيدة خديجة أيضًا كريمة جدًّا، تُطعم كل القطط في الشارع بأطيب الطعام، فكرت أكثر من مرة أن أترك إنسانتي الحالية وأصبح قطة شارع متشردة فقط لكي أنال مِن لُطفها ورعايتها، لكني أحجمت عن ذلك لأني أعرف كم يحب مجتمع القطط الأرستقراطية في مكة الغيبة والنميمة والقيل والقال، أصبحتُ أكتفي بأن أذهب إليها عندما تزورها إنسانتي، هما صديقتان، في الحقيقة إنسانتي أروى لها قرابة مع محمد.. هي ابنة عمته أو خالته، شيء كهذا، أشك أحيانًا أن إنسانتي تغار منها، ولكن مَن لا يغار منها؟ ثراء وجمال وجاه ومكانة وقوة و«مهنة ناجحة»، وأخيرًا زوج بهذا اللطف والأخلاق، بينما الزوج الحالي لإنسانتي الحالية ضعيف الشخصية وخبيث، لا أعرف كيف قَبِلت به أصلًا!**».

تبادل نبّاح ويقظان النظرات، رفع نبّاح عينيه إلى الأعلى وهو يقول بصوت منخفض: «**سمعنا القصة ألف مرة، لا شيء يمكنه أن يوقف هريرة من إعادة تكرار قصصها**»، بينما وضع يقظان يده على جبهته وقال: «**نق دجانة أهون بكثير**».

قال الضرس بحدة وهو يرفع رأسه، بينما التمعت أسنانه البيضاء في الشمس: «**كفى يا هريرة، سمعنا كل أسرار سيدتك وزوجها وجاراتها أيضًا**».

لم يقُل آنسة هذه المرة؛ بدا الامتعاض على وجه هريرة، كل الذكور كاذبون ويرتدون أقنعة، حتى الضرس، يا لخيبة الأمل.

أكمل الضرس: «**إذن عندما تتفق معنا هريرة في صدق ولطف وأخلاق النبي محمد بن عبد الله، فهذا يعني أن كلامي صحيح، هناك أمل في البشر**».

هزت هريرة ذيلها علامة انزعاجها وقالت: «**بالعكس، أرى في الأمر عكس ما ترى، لا يوجد أمل مع البشر**».

قالت دجانة: «**كيف يا هريرة؟**».

- «**ألم تروا كيف تصرَّف قومُه معه؟ حتى أقرباؤه؟ آذوه وكذّبوه! اللئيمة أم جميل، زوجة عمِّه أبي لهب، شنّت عليه حربًا في كل مكان، طبعًا هي تغار من خديجة منذ البداية، لكنها الآن تجد مبررًا لعدائها وحربها، زوج خديجة ضد آلهة قريش؛ سبب مبرر للحرب**». قالت هريرة بثقة.

قالت دجانة: «**لا أمل بالفعل، هريرة على حق، سمعت أنهم يسخرون منه أيضًا عندما يُصلّي في الكعبة؛ أمرٌ مُحزن جدًّا يا حياتي**».

قالت سريعة لهريرة: «**أليس سيدك عقبة بن أبي معيط مِن هؤلاء يا هريرة؟**».

- **«سيدي؟! عقبة سيدي؟! حاشا وكلا. عقبة ليس سيدي، هو زوج إنسانتي فحسب، أنا معها قبل أن يتزوجها، ليس سوى دخيلٍ لا أعترف به، وحاولت تحذيرها منه مرارًا، لكنها لم تسمع نصيحتي وها هي ذي تدفع الثمن، كانت تريد «الستر» عبر أي زواج، مسكينات نساء البشر، مستضعفات جدًّا ويعتبرن الزواج مشروعَ أعمارهن، لا أعرف كيف قَبِلت به بعد أن كان زوجها هو عفان بن أبي العاص، كان رجلًا في مُنتهى الاحترام والرُّقي، ابنه هو عثمان الرقيق الوسيم اللطيف، والآن هذا»**.

رسمت دجانة بجناحيها علامة القلب وقالت: «**أووووه، عثمان.. يا حياتي**».

صاح يقظان بغضب: «**احتشمي يا دجاجة**».

قال نبّاح لهريرة من تحت أضراسه: «**موضوع اجتماعنا ليس سيدتك أروى ولا حظها مع أزواجها**».

قالت هريرة وهي تتمطى كما لو أنها تريد أن تغيظ نبّاح: «**لا أمل في البشر، ولا فيكم أيضًا، عليَّ أن أذهب الآن**».

استوقفها الضرس بصوت مرتفع: «**انتظري يا هريرة، أنا معكِ فيما ذكرتِ، ولكن أعتقدُ يجب أن نتدخل في الأمر، البشر يحتاجون إلى المساعدة لكي يروا الحق.. تراكمت عليهم تجاربهم السلبية بحيث إنهم يحتاجون إلى مساعدتنا**».

نظرت هريرة باشمئزاز إلى الضرس: «**اسمح لي أن أقول إنك ساذج جدًّا، البشر غدّارون، حُبك ووفاؤك لهم لن يُغير من ذلك، أحبابك**

البشر يضربون مثلًا بالكرم عندما ذبح شخصٌ منهم اسمه حاتم الطائي حصانه المفضل ليأكله أشخاصٌ غرباء لم يلتقِ بهم من قبل، ماذا سيفيد الحصان المسكين وفاؤه لصاحبه، لا شيء».

- **«عفوًا آنستي، هذه كانت حالة فردية لا أكثر».**
- **«حالة فردية؟ والله إنك طيب».**

قالت ثم رفعت عينيها إلى الأعلى مُتصنعة الضجر.

قال نبّاح: **«حسب تجربتي وخبرتي مع البشر، نعم، يُمكن أن نساعد البشر».**

- **«ماذا تقولين يا خالة سريعة؟»**. سألها الضرس.
- **«لديَّ قصص كثيرة يمكنني أن أتحدث لكم فيها عن المرات التي تعاون فيها البشر معي، في مرة كنت أركض في الصحراء...»**.

قاطعها الضرس: **«هل أنتِ موافقة على مساعدة البشر لنجعلهم يؤمنون بدعوة النبي الجديد؟»**.

- **«نعم، بالتأكيد.. كنت أتمنى أن أعاصر نبيًّا لأن عائلتي لديها تاريخ طويل مع الأنبياء، جدة جدتي «معمرة». رحمها الله كانت تقول إنها حضرت عزاء المرحوم هابيل، كانت تقول إن أول قهوة مُرة شُربت في العزاء كانت في عزاء هابيل، لكن بالتأكيد.. لأنه كان أول عزاء أصلًا، أما جدتي المباشرة «برقاء». فقد كانت مع النبي نوح في السفينة وكانت تحكي لنا عن الرحلة البحرية الممتعة ودوار البحر الذي أصابها، وكثيرًا ما تحدثت لنا عن السيدة زوجة النبي نوح وكم كانت**

مفترية وظالمة ومُهمِلة لبيتها وأولادها، وأسوأ من كل ذلك كان ذوقها في اختيار الملابس سيئًا جدًّا، أما والدتي رحمها الله فقد عاصرت النبي صالح، وكانت تعرف ناقته المغدورة شخصيًّا، مِن الجميل أن نعيش في عصر الأنبياء».

- **«إذن فلنصوّت على الأمر».**

قال الضرس بعد أن جال برأسه كما لو أنه يتأكد من انتصاره في التصويت. مع تأييد يقظان ونبّاح وسريعة، الأمر محسوم لاقتراحه.

- **«هل أسمع أحدًا يتحدث عن تصويت؟».**

دخلت الناقة قصواء على عجل وقد أثارت الغبار بدخولها. تظاهرت هريرة بالانزعاج من الغبار بينما سارعت دجانة وسريعة إلى الترحيب بقصواء.

- **«لماذا عقدتم اجتماعًا أصلًا من دون تبليغي؟».**

قالت قصواء وهي تنظر بشك نحو الضرس الذي قال لها فورًا: «**سمعتُ أنكِ كنتِ في قافلة مُتجهة إلى الشام ولن تعودي قبل شهر على الأقل».**

- **«ألم تسمع أيضًا أن القافلة عادت بعد أن جاءتها أخبار وجود وباء في الشام؟».**

هز الضرس رأسه وقال: «**لا، لم أسمع**».

قالت هريرة لقصواء وهي تبرُد أظافرها: «**ماذا كنتِ تتوقعين عزيزتي قصواء؟ بالتأكيد لا يريدون حضورك في الاجتماع هذا، هل نسيتِ أننا نعيش في مجتمع ذكوري حقير، لا يرغب برؤية امرأة مثلك، جميلة وذكية وقوية ومستقلة، اسأليني أنا عن هذا الأمر».**

نظر الضرس نظرة باردة إلى هريرة دون أن يرد عليها، ثم التفت إلى قصواء: «**حمدًا لله على سلامتك يا قصواء، حضورك ورأيك مُهمان بالتأكيد، كنا نصوّت على التدخل في أمور البشر بخصوص دعوة النبي الجديد، أعني مساعدتهم على الإيمان، بعض الأخوات هنا يرين أن لا فائدة من مساعدة البشر لأنهم لا يستحقون ذلك ولأنهم لن يتغيروا، ما رأيكِ أنتِ؟**».

قالت قصواء: «**لا أعتقد أن هذا أمر يستحق التصويت!**».

نظرت هريرة إلى الضرس ونبّاح بشماتة وقالت: «**الأمر محسوم إذن، ثلاثة ضد ثلاثة، هل أستطيع أن أذهب الآن؟ إنسانتي منهارة الآن حتمًا، لا تحتمل الحياة من دون هرهرتي حولها وتدليلها لي، ربما ستخرج لتبحث عني**».

أكملت قصواء: «**الأمر يجب ألَّا يُصوَّت عليه، يجب أن نقوم بذلك دون تصويت أصلًا، الحق والصواب يجب ألَّا يخضع لرأي الأكثرية**».

صفق الضرس ونبّاح بينما رفعت هريرة عينيها إلى الأعلى وهي تقول: «**تبًّا للشعارات، أصيبت قصواء بالعدوى، للأسف. كنت أظنها أوعى من ذلك**».

قال الضرس: «**أحسنتِ، هذا هو الموقف الصائب يا قصواء، الصواب هو الصواب**».

اعترضت هريرة مُوجِّهة كلامها إلى قصواء: «**قولي لي ما فائدة مساعدة البشر؟ ماذا سننتفع نحن؟ أنا كهريرة ما الفائدة التي سأجنيها من إيمان البشر؟ ما الذي سأجنيه من إيمانهم؟ هل سيتغير شيء -إلى الأحسن- في حياتي؟ هل سيصبح نومي أفضل أو طعامي؟ طبعًا لا**».

قالت القصواء: «**هذا تفكير يشبه تفكير البشر الضيق يا هريرة، عليكِ أن ترتقي، يفترض أن نكون أفضل، البشر يفكرون هكذا، لا يفكرون إلا بمصلحتهم الفردية الضيقة، وترين كيف تسير الأمور معهم بسبب هذا التفكير**».

قلبت هريرة عينيها إلى الأعلى وأخرجت لسانها: «**أنا لا أحب الشعر ولا الشعارات، ولا أفهم كيف يكون هناك تفكير آخر غير هذا الذي تقولين عنه فردي وضيق**».

تدخل الضرس: «**نقوم بتصويت إذن؟ مَن يتفق معنا على أن نتدخل لنساعد في تغيير البشر؟**».

رفع يقظان ونبّاح وقصواء أياديهم فورًا، بدأت سريعة برفع يدها لكن الأمر سيستغرق معها وقتًا طويلًا.

نظر يقظان إلى دجانة نظرة غاضبة وقال لها: «**ارفعي جناحك يا دجاجة**».

رفعت دجانة جناحها وهي تنقنق بصوت خافت.

نظرت لها هريرة بغضب وقالت: «**جبانة أنتِ يا دجانة. بالفعل، أكثر عدو للمرأة هي المرأة نفسها**».

قال الضرس بصوت منتصر: «**إذن فاز الاقتراح بالأغلبية**».

علقت هريرة وهي ترفع يدها: «**لا، بالإجماع، أصلًا الفكرة فكرتي، كنت أختبركم فقط**».

٢

كان مِن نتائج الاجتماع الذي عُقِد خلف دار الندوة إصدار بيان أُعلِن فيه إلزام جميع المخلوقات غير البشرية بالتعاون مع بعضها لأجل جعل أهل مكة يؤمنون بالله، كما تضمّن البيان إعلان هدنة (مؤقتة) بين الأنواع المتنازعة تقليديًّا (مثل القطط والكلاب، والذئاب والدواجن) والتركيز على الهدف المشترك والقضية الأسمى.

أصرت هريرة على أن يتطرق البيان إلى دعم نضال الإناث من كل الحيوانات للحصول على حقوقهن المشروعة وغير المشروعة ورفع الظلم الذكوري عنهن، وأصر نبّاح من ناحيته إلى أن يشار إلى ضرورة المساواة في الحقوق والواجبات عند الجنسين، وليس فقط المطالبة بالحقوق دون أداء واجبات.

وقّع البيان كل الأعضاء المؤسسين باستثناء الخالة سريعة التي لا تزال في طريقها لذلك. كما نبّهت القصواء أن البيان قد يُفهَم منه أن الحشرات مشمولة به رغم عدم وجود ممثل رسمي عنهم.

اعترضت هريرة: «**هذه آخرتها؟ نُحشَر مع الحشرات؟ أنا بمنزلتي الاجتماعية وجلالة قدري وطبقة إنسانتي أُحشَر مع الحشرات!**».

قالت لها القصواء: «**يُمكنها أن تعتبر الأمرَ «تحالفًا إستراتيجيًّا» مؤقتًا من أجل تسهيل الوصول إلى الهدف السامي. ألا تقولين دومًا إنك واقعية؟ هذه هي الواقعية يا هريرة، من أجل المصلحة علينا أن نتنازل عن بعضٍ مِن تعالينا وتكبُّرنا على خلق الله**».

تأففت هريرة: «**واقعية واقعية، لكن ليس لدرجة الحشرات يعني**».

قال الضرس: «**والزواحف أيضًا، لا تنسوا ذلك**».

ظهرت علامات الاشمئزاز على هريرة: «**أوه ماي غاد، آي كانت بيليف إت**».

أيدتها دجانة: «**لا أعرف معنى هذه الجملة التي قالتها هريرة لكني أؤيدها فيما يخص الزواحف**».

قالت القصواء بعد تفكير: «**على العكس، تستطيع الزواحف والحشرات أن تفعل أشياء كثيرة نعجز عنها نحن**».

- «**ماذا تستطيع أن تفعله النملة ولا أستطيعه أنا!**». جمعت هريرة كل علامات الاستنكار والاشمئزاز عندما قالت هذه الجملة.
- «**تستطيع أن تدخل إلى بيوت أهل مكة دون أن ينتبه لها أحدٌ، لذا يمكن لها أن تعرف ماذا يدور من أحاديث وتنقلها لنا**».
- «**أستطيع أن أفعل هذا كهواية، لكن ليس كواجب والتزام، أهم شيء الشغف، والشغف يموت عندما يتحول الأمر إلى مهنة**».

بدا الاهتمام على وجه دجانة: «**كلام جميل.. لكن، ما هو هذا الشقف يا حياتي؟**».

- «**الشغف.. الشغف، لا أعرف كيف أشرح لكِ الأمر، عليكِ أن تشعري به من أعماقك، عندما تقولين ش..غ..ف من أعماقك ستعرفين ما معنى الشغف**». قالت هريرة.
- «**آه، مممم.. ش..ق..ف.. نعم، بالفعل بدأت أفهم.. آه.. ما أجمل هذا الشقف!**».

كتم نبّاح ويقظان ضحكهما بينما قالت هريرة بعصبية: «**الشغف يا دجانة، الشغف، بالغين.. وليس بالقاف.. فضحتِنا**».

- «**والله لقد أحسست بشيء عندما قلتها، يبدو أن «شقف» تعمل أيضًا يا حياتي**». قالت دجانة.

نظرت قصواء إلى الضرس: «**هل تعتقد أن هناك أملًا في المجموعة بينما أمور النقاش بشرية إلى هذه الدرجة؟**».

رفع الضرس رأسه وقال بصوت مرتفع: «**دعونا نركز ونعود إلى دور الحشرات والزواحف في المَهمة**».

سكت الجميع وقد أخافتهم نبرة صوت الضرس.

قالت القصواء بلهجة هادئة: «**لا يمكن إنكار الأهمية الكامنة للحشرات والزواحف في القضية. يستطيع الإخوة والأخوات الحشرات والزواحف أن يقدموا للقضية الكثير مما يصعُب علينا تقديمه**».

- «**لكنّ هناك عيبًا واحدًا في الإخوة والأخوات من الحشرات والزواحف، وهذا عيب قد يقضي على أهميتهم**». قال نبّاح بقلق.

- «**ما هذا العيب؟**». سألت دجانة والضرس في آنٍ واحد.
- «**بطيئة جدًّا، أسرع قليلًا من الخالة سريعة ـ العفو من الخالة ـ، بينما تنقل لنا الأخبار ستكون الأخبار قد تغيرت**». قال نبّاح.

هزت القصواء رأسها موافقة: «**صحيح، لهذا علينا أن نتعاون معها، نقوم بنقلهم بأنفسنا إلى بيوت أهل مكة**».

قلبت هريرة عينيها إلى الأعلى وقالت وهي تتظاهر باللامبالاة: «**اتركوا الأمر لنبّاح إذن، عليه فقط أن يهز نفسه قليلًا لتتساقط منه أمم كاملة من البراغيث والدود والقمل**».

نظر نبّاح إلى الضرس وقال له: «**كلمة أخرى من هريرة وسأترك الاجتماع ولن أعود مرة أخرى**».

- «**كفى تنمُّرًا على نبّاح يا آنسة هريرة**». قال الضرس بحزم.
- «**كل ما لا يعجبكم تُسمُّونه تنمُّرًا، اسألوه فقط متى اغتسل آخر مرة**». قالت بعناد.
- «**انتهى الأمر، سأغادر**». هبَّ نبّاح وهو يعوي بينما حاول يقظان والضرس إجلاسه.

قالت القصواء بلطف: «**اعتذري فورًا يا هريرة، يجب أن نكون مثالًا للبشر، ماذا سيقولون لو شاهدونا الآن؟**».

- «**لم أكذب، سألته سؤالًا فقط، الذي يقول الصواب في هذا البلد يُسمُّونه متنمِّرًا**».
- «**اعتذري يا هريرة**». قالت القصواء بحزم هذه المرة.

- «**أنا آسفة يا نبّاح**»، ثم بصوت منخفض: «**... في الوقت الحالي**».
- «**ماذا تقصد؟**». سأل نبّاح بريب وشك.
- «**لا عليك، المُهم أنها اعتذرت**». قال يقظان مُهدّئًا.
- «**فلنَعُد إلى موضوعنا الآن، علينا أن ننقل إخوتنا الحشرات والزواحف، سيسهل ذلك العملية ويسرعها، كما أنه سيعزز من التحالف الإستراتيجي الذي نريد أن نعقده معهم، سيعزز الثقة والتعاون بيننا**». قال الضرس.
- «**التحالف الـ.. ماذا؟ سمعت بحلف الفضول وحلف الفجار.. لكن هذا الحلف لم أسمع به.. والكلمة أصلًا جديدة وصعبة يا حياتي**».
- «**صحيح، ماذا سنفعل بالضبط لكي نساعد البشر؟**». قال يقظان موافقًا زوجته في نادرة لا تتكرر كثيرًا.

عم الصمتُ كما لو أن الضرس والقصواء لم يفكرا بتفاصيل المَهمة بقدر ما كانا مُهتمين بإقناع الباقين بالأمر.

- «**كلٌّ يعمل من موقعه وحسب سياقه، لا يوجد خطة موحدة مُفصّلة للجميع**».

قال الضرس هذه الجملة وهو يبدو أنه شخصيًّا غير مقتنع بما يقول.

بدت الحيرة على دجانة: «**سياق؟ وحلف جديد لم أسمع به، ولا توجد خطة؟ لقد ضعت تمامًا يا حياتي**».

عم صمتٌ آخر.

تنحنحت هريرة ثم قالت: «**عندي فكرة**».

التفت إليها الجميع.

- «**حسب معرفتي بالبشر وطباعهم الغريبة وطرق تفكيرهم الأغرب، إذا حدثت لهم أشياء سيئة في يومهم، فهُم غالبًا يميلون إلى ربطها بأشياء أخرى فعلوها في اليوم نفسه أو في اليوم السابق**».
- «**أوضحي أكثر**». قالت القصواء.
- «**لم أفهم يا حياتي**».
- «**ركزوا معي! الفكرة بسيطة، ليست علم الذرة يعني، نرصد مَن مِن أهل مكة يحارب محمدًا، ثم نحيل يومه إلى جحيم. فهمتم**». قالت هريرة كما لو أنها تُلقي بدرسٍ على مجموعة تلاميذ كسالى.
- «**فكرة رائعة، أحسنتِ هريرة**». قال الضرس.
- «**ومسلية أيضًا، سنتسلّى بهم ريثما نحقق هذه القضية السامية وهذا الكلام والشعر والشعارات التي تحدثتم عنها، لا أستطيع تحمُّل عمل بلا تسلية**». قالت هريرة وقد أخذت وضع التوثّب للعب بأذنين منخفضتين.
- «**اسمحوا لي أن أقترح شيئًا**». قالت سريعة.
- «**تفضلي يا خالة**». قال الضرس.
- «**تعرفون أني أكبر منكم جميعًا، صعب على سيدة أن تعترف بعمرها، لكن لا بأس، أعتقد أني أكبر منكم جميعًا، ليس بكثير، لكن...**».

قاطعتها دجانة: «**والله يا خالة عمرك ليس واضحًا وشكلك شابة وأصغر منا جميعًا، ماذا أردتِ أن تقولي يا حياتي؟**».

- «**أوه، شكرًا يا حبيبتي هذا من لُطفك، تعرفون أني عرفت الكثير من البشر، وشاهدت الكثير والقليل، لذا يمكنني أن أقول لكم أن تحددوا أهدافكم بين سادة مكة، ما يؤثر على هؤلاء سيؤثر على الباقين بسهولة، اختاروا الطبقة العليا من الأغنياءوالأقوياء، عامةالناس سيتبعونهم**». قالت سريعة ببطء.

صهل الضرس معترضًا وهو يرفع رأسه وأسنانه البيضاء تلتمع بشدة: «**لكن هذه طبقية نريد أن نخلص البشر منها، كيف نستخدمها ثم نخلصهم منها!**».

- «**أنا شخصيًّا أموت على الطبقية**». قالت هريرة وهي تضحك.

سألتها دجانة باهتمام: «**الطبقية أكلة؟ صحيح؟ أكلتها في العيد الماضي، وكان ينقصها بعض الملح والخل**».

قالت القصواء مُوجِّهة كلامها للضرس: «**علينا أن نكون واقعيين، مثاليتُك المفرطة قد تعرقل الوصول إلى أهدافنا، ليس هدفنا الآن القضاء على الطبقية والعبودية وتلوث البيئة**».

- «**مثاليتي المفرطة؟ الغاية لا تبرر الوسيلة يا قصواء**». صهلَ الضرسُ وضرب الأرض بكعب ساقيه معترضًا بشدة.
- «**ما رأيك أن نصوّت على الأمر؟**». قالت القصواء بمكر وهي تخفي ابتسامة.
- «**مَن يريد أن يستغل الطبقية لصالح أهدافنا؟**».

وقالت هريرة: «**ويتسلّى خلال ذلك أيضًا**».

رفع الجميع أياديهم عدا الضرس.

- «**مَن يقول إن الغاية لا تبرر الوسيلة ويريد أن يعمل كلٌّ من موقعه وحسب سياقه؟**».

رفع الضرس يده وحده حزينًا.

قالت هريرة: «**سنتسلّى إذن**».

- **«لدينا ستة أسماء علينا أن نركّز عليها: أبو لهب، أبو جهل، أمية بن خلف، عقبة بن أبي معيط، عتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب»**.

قرأت دجانة الأسماء وهي سعيدة أن هذه المَهمة قد أوكلت لها.

لم يكُن ذلك ليحدث لولا أن الفريق النسائي قد طالب بالمساواة في الأدوار بين الذكور والإناث في المجلس.

شرح الضرس: **«هذه هي الأسماء التي رُشِّحَت باعتبارها الأكثر عداء للنبي محمد، حسب الخطة التي اتفقنا عليها في الاجتماع السابق علينا أن نحيل حياة هؤلاء إلى جحيم، بحيث نجعلهم يتفكرون إن كان لتعاستهم هذه علاقة بموقفهم من الدين الجديد»**.

- **«أسهل هذه الأسماء من ناحية الوصول إليها هو عقبة بن أبي معيط، نحن سعداء جدًّا لأن عزيزتنا هريرة هي قطة زوجته»**. قالت القصواء.
- **«كنت أتمنى مَهمة فيها تحدٍّ أكبر، لكن عقبة شخص لا يملك ذرة إحساس.. لذا المَهمة من ناحية أخرى صعبة أيضًا»**. قالت هريرة.

علّق نبّاح بسخرية: «**فقط كوني أنتِ كما أنتِ بثقل دمك وغرورك وسيكون هذا كفيلًا به**».

تجاهلته هريرة تمامًا، بينما نظرت إليه قصواء نظرة محذرة، وسألت:

- «**هل مِن أحدٍ هنا يعرف وسيلة للوصول إلى الأسماء الباقية؟**».
- «**أعرف دجاجة في بيت أمية بن خلف**». قالت دجانة.
- «**هل تقصدين نقاقة؟**». سألتها هريرة.
- «**نعم، هي، صديقتي منذ الطفولة**». ردت دجانة.
- «**إياكم من التعاون مع نقاقة، ستبلغ الجميع بخطتنا، لا يمكن لها أن تكتم سرًّا**». قالت هريرة بحسم.
- «**نعم، هي اجتماعية جدًّا وتحب المجالس والصبحيات، ولكنها طيبة والحق يقال يا حياتي**». حاولت دجانة إصلاح الموقف.
- «**طيبة؟ كان الهر عتريس يتودد لي في الشتاء الماضي، فضحته وجعلت من سيرته في كل مكان، وقامت زوجته عتريسة بضربه على عينه وأصبح أعورَ المسكين، طيبة جدًّا!**».
- «**عتريس كان يتودد لكِ؟**». سألتها دجانة وسريعة باهتمام.
- «**نعم، دونما أمل، لا يمكن أن أنظر إليه أصلًا، من بيئة مختلفة جدًّا، ليس أول هرٍّ يفقد عينه من أجلي على أي حال**».

علقت قصواء: «**وصلت فكرتك يا هريرة، لا يمكن الاعتماد على نقاقة. مَهمتنا تتطلب السرية فعلًا**».

- «**هل مِن أحدٍ آخر يمكنه أن يساعدنا في الوصول إلى هذه الأسماء؟**». سأل الضرس.

قالت قصواء بعد تفكير: «**عَلاقتي بجعراء ناقة أمية بن خلف لا بأس بها. يمكنني أنْ أجس نبضها وأعرف منها إن كان يمكن لها أن تساعدنا**».

- «**أعتقد أني أستطيع تدبر أمر أبي لهب أيضًا**». قالت هريرة وهي تقلب عينيها إلى الأعلى كما لو أن الأمر يسيرٌ جدًّا.
- «**كيف؟ أبو لهب وعقبة في آنٍ واحد؟**». سألها الضرس.
- «**دار أبي لهب مجاورة تمامًا لبيت عقبة، الحائط مشترك، وهناك باب داخلي، يمكنني أن أتنقل بسهولة بين الدارين، أو على الأقل أجد مَن يساعدني هناك، لن يكون هذا صعبًا**».
- «**ممتاز يا هريرة، أنتِ رائعة**». هزت القصواء رأسها بفرح.
- «**بقيَ أبو جهل وعتبة وأبو سفيان**». قال الضرس متفكرًا.
- «**ربما يمكنني الوصول إلى عتبة بن ربيعة**». قال نبّاح بعد تردد.
- «**كيف؟**». سأله الجميع تقريبًا.
- «**أعرف أحدهم في بيته**». قال نبّاح بغموض.
- «**كُن أوضح ولا تتحدث بالألغاز**». قال يقظان بصوت مرتفع.
- «**أعرف برغوثة تعيش في بيت عتبة**». قال نبّاح بصوت منخفض.

ضجّ الجميع بالضحك.

- «**برغوثة يا نبّاح؟ برغوثة؟!**». قال الضرس وهو يغالب ضحكه.

- «**يا شماتة هريرة فيك يا حياتي**». قالت دجانة.

أما هريرة فقد رسمت علامة النصر وأخذت ترقص في مكانها وهي تغني: «**لقد أخبرتكم!**».

- «**عنصريون ومتنمرون وسطحيون وتافهون وتتشدقون بشعارات لا تطبقونها. البرغوثة برغش محترمة جدًّا ومن عائلة عريقة، أعتبرها شخصيًّا بمنزلة أخت لي، تعرفت إليها عندما كنت أحاول أن...**».

قاطعته القصواء: «**لا نرغب بمعرفة تفاصيل تعارفك إليها، نحترم خصوصيتك يا أستاذ نبّاح، وخصوصيتها أيضًا، ما يهمنا هو أن تتعاون معنا الأخت برغش**».

- «**بقيَ أبو جهل وأبو سفيان**». قال الضرس.

قال يقظان بتردد: «**أعتقد أنني يمكن أن أصل إلى أبي جهل، ولكن عليَّ أن أتأكد أولًا**».

سألته دجانة فورًا: «**أبو جهل؟! كيف؟**».

رد بتهرُّب: «**لديَّ صديق هناك، لا تعرفينه**».

وقفت دجانة أمامه وقالت له بحزم: «**ضع عينيك في عيني يا يقظان وقل لي، هل لا تزال تتحدث مع المتصابية ناقرة؟**».

نظر يقظان في عين دجانة ولم يرد.

صرخت به: «**رُد عليَّ! هل لا تزال تتحدث معها يا حياتي؟**».

- «**هل نسيتِ إنها ابنة عمي! طبعًا أُلقي عليها السلام في الأعياد والمناسبات، ماذا تتصورين؟**».

هجمت دجانة عليه فورًا وأخذت تنقر في وجهه نقرات متتالية سريعًا، ثم دخلا في اشتباك بحيث لم يَعُد يمكن التمييز بينهما بينما كان نبّاح والقصواء يحاولان الفصل بينهما.

- «**كنت أعرف، كنت متأكدة، قلبي كان يقول لي إنك لا تزال على عَلاقة بها**». صرخت دجانة بينما كانت قصواء تسحبها إلى جانب هريرة.
- «**هل تصدقون ما يحدث؟ ابنة عمي وأسلم عليها، لا شيء أكثر من هذا، هذا جنون**». قال يقظان وهو يوجِّه حديثه إلى نبّاح والضرس اللذين كانا يهزان رأسيهما بتفهُّم وهما يقولان بصوت منخفض: «**عادي يا يقظان عادي، كلهن هكذا، والهرمونات تزيد ذلك، كل الأعلاف حاليًّا مليئة هرمونات**».

قالت هريرة لدجانة بلهجة مُحرّضة: «**اسأليه.. اسأليه.. هل يقبلها هو على نفسه لو كان الأمر معاكسًا، هل يقبلها؟**».

مسحت دجانة دموعها وهي تقول: «**صنته وصنت أولاده ولم أقصر يومًا معه في شيء، حتى جراباته أكويها**».

استمرت هريرة: «**إياكِ ثم إياكِ أن تسمحي لأحد أن يقول لكِ إنك أهملتِ نفسك من أجل الأولاد وسمنتِ ولم تعودي تهتمين بمظهرك لكي يبرروا له خيانته.. لا، أنتِ مُهمِلة فعلًا وأصبحتِ مثل الثور، ولكنه كان سيخونك بكل الأحوال، الذكور هكذا يا عزيزتي اسأليني أنا**».

- «**صبرت كل هذه المدة من أجل الأولاد والعائلة**». قالت دجانة وهي تكفكف دموعها.
- «**وهذا شيء آخر إياكِ أن تسمعيه. أولادك ارميهم في وجهه، فلتساعده المتصابية ناقرة في تربيتهم لو قبلت به مع عشيرة أطفال. انتبهي لنفسك وكوني مستقلة وحققي ذاتك واكسري رأسه وحطمي بيتك وحياة أولادك ولا يهمك أي شيء**». قالت هريرة.

مسحت دجانة دموعها بينما كانت هريرة تهز لها المروحة وتقول لها: «**خذي نفسًا عميقًا، شهيق.. زفير.. شهيق.. زفير**».

التفتت دجانة إلى قصواء: «**لو استعنتم بهذه المتصابية ناقرة، فأنا منسحبة**».

ثم التفتت إلى يقظان: «**أما أنت....**».

همست هريرة في أذنها بتحريض: «**اخلعيه يا دجانة، اخلعيه الآن، اسمعي كلامي واخلعيه.. الأمر أصبح سهلًا جدًّا، نعم! ماذا يعتقد؟!**».

أكملت دجانة: «**أما أنتَ فحسابي معك في البيت**».

بانت خيبة الأمل على وجه هريرة؛ قالت بصوت منخفض: «**لا أمل في بعض النساء، القيود في رؤوسهن من الداخل**».

قالت القصواء: «**فلنناقش موضوع أبي جهل لاحقًا، لا نريد مشكلات أكثر، بقيَ أبو سفيان.. يبدو أصعبهم**».

وافقها الضرس وهو يهز رأسه: «**بالفعل، غامض ومتكتم وكل أموره في السر، وحسب علمي لا قطط ولا كلاب في بيته**».

تنحنحت سريعة وهي تقول: «**يُمكن لي أن أصل إلى طاووس هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان**».

التفت إليها الجميع بدهشة: «**خالة سريعة! فعلًا؟ كيف؟**».

- «**هناك حمامة اسمها فاختة، كانت تقف كل يوم عليَّ لأنها تعتقد أني صخرة، ثم أصبحت صديقتي، فاختة هذه تقف أحيانًا على سطح أبي سفيان، وقد تصادقت مع طاووس هند، نسيت اسمه.. أعتقد (مغرور)، أو شيء كهذا**».
- «**طاووس هند مرة واحدة، لا حرمنا الله منك ومن أفكارك يا خالة**». قالت القصواء.
- «**على بركة الله يا جماعة**». قال الضرس. ثم غمز ليقظان وهو يقول: «**وسنرى موضوع ناقرة لاحقًا، قصدي أبي جهل**».

وضع الضرس مُخططًا لما حدث في مكة منذ قرابة عام.

مكة مليئة بالظلم، أهلها يظلمون بعضهم بعضًا، القوي يظلم الضعيف والغني يأكل الفقير، يستغلون الفقير فيدينونه بالربا أضعافًا مضاعفة، وعندما يعجز عن تسديد دينه قد يضطر إلى بيع ابنه أو ابنته أو نفسه، بعضهم كان يدفن ابنته حية فور ولادتها؛ البنت لا قيمة اقتصادية لها لذا كان البعض يفضل التخلص منها.

يعبدون الأصنام، هناك عدد كبير جدًّا منها في الكعبة. لا يعبدونها كلها، بل يعظمونها. ولديهم عدد معين من الأصنام التي يعبدونها ويسجدون لها. الأصنام الأخرى في الكعبة تعبدها قبائل أخرى تأتي إلى مكة لغرض التجارة وتتعبد أيضًا لأصنامها، أو ربما العكس، تتعبد لأصنامها، وتتاجر في أثناء ذلك.

معاشر الحيوانات لم تفهم قط لماذا يعبد البشر تماثيلَ يصنعونها بأيديهم. كان هذا دومًا من الأشياء التي تجعل الحيوانات تفكر في حقيقة ما يتداول عن ذكاء الإنسان وتشُك في كيفية تمكنه من السيطرة على العالم.

رغم ذلك، كان هناك بعضٌ من البشر في مُنتهى الرُّقي والاحترام، من بينهم محمد بن عبد الله وزوجته السيدة خديجة، وآخرون بالتأكيد. لكنّ محمدًا بن عبد الله كان الأفضل. الكل يشهد له بالصدق والأمانة.

قبل عام تقريبًا، وبينما محمد يتعبد في الغار خارج مكة، جاءه الملك وحملَ له الوحي، الرسالة التي جاءت سابقًا إلى الكثير من الأنبياء السابقين، وإن كان الأمر غريبًا على العرب.

آمن بمحمد وصدقه المقربون منه. زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه المقرب أبو بكر وابنه بالتبني زيد، وآخرون من عشائر قريش المختلفة، منهم الغني ومنهم الفقير، منهم من العشائر القوية ومنهم من العشائر الأقل شأنًا، لكن الغالبية العظمى في مكة كانت تسخر من محمد، بين مَن قال عنه إنه كذاب ومَن قال عنه إنه مجنون ومَن قال إنه مجرد شاعر، وهذا جعل بعض المؤمنين به يحاولون كتم إيمانهم وعدم الحديث عنه علنًا تفاديًا للأذى أو السخرية.

استرجع الضرس الأسماء التي حُددت باعتبارها الأكثر عداءً...

فكر مع نفسه: هل هناك سبب واحد يجمع هؤلاء على عداء محمد؟ أم أن لكلٍّ سببه يا ترى؟

انسلت هريرة بخفة من سرير إنسانتها أروى إلى الباحة الداخلية للدار التي لا يفصل بينها وبين دار أبي لهب غير حائط تسلقت عليه نباتات كانت إنسانتها أروى حريصة على الاعتناء بها. غالبًا لكي تختبئ فيها الفئران وتتسلى هريرة في البحث عنها.

حاولت هريرة القفز على الحائط من الأرض، لم تفلح. تساءلت بقلق إن كان وزنها قد زاد مؤخرًا، التفتت يمينًا وشمالًا لتتأكد أن أحدًا لم يلاحظ فشلها في القفز على الحائط. قررت أن تبدأ من الغد إن شاء الله بحمية جديدة، تقريبًا هذا القرار تتخذه كل أسبوع مرة أو مرتين على الأقل، لكن في الصباح تقرر أن شكلها وهي ممتلئة أجمل وألطف؛ معايير الجمال الآن تتجه إلى الجسم الممتلئ، لا تدري أين سمعت ذلك لكن الأمر أعجبها ما دامت ممتلئة.

صرفت هريرة النظر عن أمر حمية الغد بضمير مرتاح وصعدت إلى الطابق العلوي وقفزت منه إلى سياج دار أبي لهب دون مشكلة كبيرة ثم وثبت إلى الباحة الداخلية للدار، لاحظت أن السياج من ناحية دار أبي لهب خالٍ من النباتات. فكرت هريرة «**ليس كل السيدات أنيقات مثل إنسانتي أروى بنت كريز**»، ثم تذكرت أن أُم جميل اسمها الأصلي أيضًا أروى، لكن شتان بين رقة ولُطف أرواها مع هذه الأروى الغليظة المُتكبرة.

توقعت هريرة أن تكون حُجرة أبي لهب وزوجته في الطابق الأرضي كما أغلب بيوت مكة. سمعت صوتًا قادمًا من الحجرة المواجهة للباحة وبصيص من النور فيها، اقتربت بخفة ونظرت من الباب فوجدت أم جميل تُمشّط شعرها، بينما جلس أبو لهب على الأريكة وهو يأكل العنب.

سمعت أم جميل تقول: «**ماذا قلت؟**».

- «**ماذا قلت في ماذا يا أم جميل؟**».
- «**فيما أتحدث به منذ الصباح. وضعك في مكة أصبح صعبًا جدًّا بسبب ابن أخيك. كل مكة تنتظر منك أن تأخذ موقفًا أكثر حزمًا، عليك أن تتصرف**».

- **«ماذا أفعل؟ ماذا فعل أخوكِ أبو سفيان ولم أفعله أنا؟ على العكس، أنا أشد في موقفي من موقف أخيك الذي لم يقُل أي شيء في العلن، بينما شتمت أنا محمدًا وسببته أكثر من مرة أمام كل الناس».**

تركت أم جميل مشطها والتفتت إلى زوجها: «**هل تريدني أن أجن؟ أن أخرج الآن في الشارع وألطم وأشق ثيابي ليقول الناس إن ابنة سيد مكة قد جنت بسبب زوجها ابن عبد المطلب؟ أشرح لك منذ الصباح، لا تقارن نفسك بأخي أبي سفيان، أبو سفيان لا تربطه مثل قرابتك بمحمد، الكلام عن محمد وما يفعله لا يمسه بسوء، بل على العكس، يزيد من قوة فرعنا نحن، فرع أمية، محمد هو ابن أخيك أنت، إن لم تأخذ منه موقفًا حاسمًا قويًّا فكل مكة ستحسبك أنت وأشقاءك وكل أحفاد هاشم متعاونين مع محمد، إن كان إخوتك يريدون ذلك فهذا شأنهم، لكنك يجب أن تعزل نفسك عنهم، وضعك أنت بالذات مختلف، هل تفهمني؟**».

قالت الجملة الأخيرة بلهجة مختلفة كما لو كانت تُذكِّره أو تعايره بشيء.

- «**نعم. أفهمك،** ـقال أبو لهب بصوت منكسرـ **لكن ماذا تريدين مني أن أفعل أكثر يا عزيزتي أم جميل؟**». أضاف شيئًا من التملُّق على صوته.
- «**يا أبا لهب، لماذا تشعرني أنك قد فعلت شيئًا كبيرًا؟ قلت له أمام الناس: (تبًّا لك)؟ ثم ماذا؟ أنت عمّه وهو ابن أخيك.. يمكنك أن تفعل أكثر بكثير من هذا، على الأقل لكي تحفظ مكانتك في مكة وتثبت لقريش أنك مخلص لها**».

- **«ماذا بإمكاني أن أفعل؟ محمد ليس حدثًا صغيرًا في السن، هو رجل، كيف لي أن أؤنبه؟»**.
- **«تؤنبه؟ لم أقُل إن عليك أن تؤنبه أو توبخه، الأمر تجاوز ذلك بكثير»**.
- **«ماذا أفعل إذن؟»**.
- **«بل تؤذيه، تحرق قلبه، تقهره، يطير الخبر في كل قريش فيعرفون أن موقفك حقيقي وليس مجرد ذَرٍّ للرماد في العيون»**.
- **«كيف أفعل هذا؟»**. سألها أبو لهب.

اقتربت منه والتفتت كما لو أنها تخاف أن يسمعها أحدٌ.

همست في أذنه. استطاعت هريرة أن ترى أبا لهب وهو يستمع مدهوشًا وتتسع حدقتا عينيه.

- **«لكن، أليس هذا كثيرًا، ما ذنبهما!»**.
- **«بل هو ما يجب أن يحدث، لكي تعرف قريش أنك وفيٌّ ومخلص لها، خبر كهذا عندما ينتشر سيعرف الجميع أن لا رجعة في الأمر، ليس مثل شتيمة قُلتها في ساعة غضب»**.

بقيَ أبو لهب صامتًا كما لو أنه يفكر في الأمر.

- **«ماذا قلت؟»**. سألته أم جميل بحزم. لم يكُن سؤالًا، كان أقرب إلى التهديد.
- **«سأرسل غدًا إلى عتبة وعتيبة لكي يحضرا إلى هنا ونخبرهما بالأمر»**.

- «**نعم، أريد أن أشعر بالحريق في قلب محمد وخديجة**».

قالت أم جميل بطريقة جعلت شعر هريرة يقف.

انسحبت هريرة بهدوء. فكرت مع نفسها: «**أحب المرأة القوية المستقلة، لكن هذه المرأة مفترية، حقودة. ما هذا الحريق الذي تريد أن تشعر به يا ترى!**».

يجب أن تترقب اجتماعهما بابنيهما عتبة وعتيبة غدًا لكي تعرف الأمر بالتفصيل.

عندما عادت هريرة إلى حُجرة إنسانتها كان عقبة بن أبي معيط قد عاد للتو من سهرته.

- «**مخمور مجددًا بالتأكيد. مع مَن كنت؟**». سألته أروى وهي لا تزال في فراشها ودون أن تفتح عينيها.
- «**مع رفاقي**».
- «**ابنا خلف ومَن معهما بالتأكيد**».
- «**نعم، أُبَيّ وأمية**».

نهضت أروى ونظرت إلى عقبة نظرة غاضبة: «**لمَ لَم تخبرهما أنك ستسافر في قافلة الغد صباحًا ولا يمكنك أن تثمل معهما كما تفعل كل ليلة**».

- «**أخبرتهما، ولكنهما قالا لي قدحًا واحدًا، والقدح جر آخر، وأصرًا أن أبقى معهما**».
- «**وطبعًا لم تجرؤ على أن ترفض؟**».

- **«كيف أرفض؟ أصدقائي ويطلبان مني أن أبقى معهما، ألا يعني هذا أنهما يحبانني ويريدان أن أبقى معهما؟»**.
- **«مَن دفع ثمن دَنِّ الخمرة الذي طفحتموه؟»**.
- **«أنا طبعًا، عليَّ أن أكون كريمًا مع أصدقائي، أليس هذا من صفات الرجولة؟»**.
- **«هل فكرت أنهما ربما كانا يُحبان كرمك أكثر مما يُحبان مجلسك؟»**. قالت أروى ببطء كما لو أنها تتحسب لرد فعله.
- **«ماذا تقصدين؟ لا يُحبان مجلسي؟ لا يُحبان كلامي؟ لا يُحبانني؟»**. كرر عقبة ولسانه يزداد تثاقلًا.
- **«لا، قصدت أنهما يُحبان صفة كرمك أكثر من كلامك ومجلسك، لكنهما يحبانك بالتأكيد»**. وضعت يدها على كتفه لتُهدئه.
- **«لا أحد يحبني، أنا لا أحد يحبني، أعرف هذا، لا أحد يحبني»**. وأجهش بالبكاء وهو يضع رأسه في حضن أروى التي كانت تربّت على ظهره كما لو أنها تُهدِّئ طفلها.

قلبت هريرة عينيها إلى الأعلى ثم تثاءبت بملل: **«دراما جدًّا هذا العقبة. أعانك الله يا أروى»**.

مكتبة
t.me/t_pdf

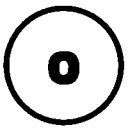

لم يكُن إقناع البرغوثة برغش بالأمر صعبًا على نبّاح، فعلاقتهما قديمة، وهي تدين له بحياتها؛ إذ سبق له أن أنقذها من دعسوقة كانت تريد أن تلتهمها، ومِن يومها وبرغش تتمنى خدمته، خاصة أنه هو مَن تركها عند بيت عتبة بن ربيعة، قال لها إن بيت عتبة قديم ومتهالك لأنه ليس ثريًّا رغم أنه من سادات قريش، وهذا سيجعلها تجد الكثير مِما يمكن أن تعتاش عليه. يومها كانت في أذنه اليمنى، بقي نبّاح يحكها حتى أدماها، ففرحت برغش لأن الدم وجبتها المفضلة، لكنه ضاق ذرعًا بها، فقرر أن يأخذها إلى بيت عتبة، تركها أمام البيت واطمئن عليها. وبقي يسلم عليها بين الحين والآخر، كما بقيت هي شاكرة له مرتين، مرة بسبب الدعسوقة التي أنقذها منها، ومرة لأن بيت عتبة كان ـ كما قال ـ مليئًا بما لذ وطاب من الحشرات القابلة للأكل. حاولت ابنة عتبة هند بعد أن تزوجت من أبي سفيان وأصبحت من سيدات المجتمع المخملي والطبقة الراقية في مكة، أن تجدد بيت أبيها وتجعله مناسبًا لوضعها الجديد، لكن عتبة رفض: «**خطبك زوجك من هذا البيت، والناس تحترمني وأنا أسكن هذا البيت، لن أترك الصهر ينفق عليَّ درهمًا واحدًا**». وهكذا كان، لحسن حظ برغش بالتأكيد.

نادى نبّاح على برغش فخرجت له بعد قليل. كان اليوم هو موعد التنظيف الأسبوعي الذي تقوم به زوجة عتبة الأخيرة، صفية الأسلمية. لذلك فقد كانت برغش تتجنب كعادتها الأمر فتختبئ في زاوية من زوايا البيت تتكاسل صفية عن تنظيفها عادةً. تنظيف صفية عمومًا كان دون المستوى، وكانت هند تُلقي كلامًا لزوجة أبيها كلما زارته، لكن هذا أفضل بالنسبة إلى برغش بالتأكيد.

رحّبت برغش بنبّاح وأقسمت عليه أن يدخل ويتناول الغداء أيضًا، لكنه اعتذر وأخبرها أنه على عجلة من أمره لكثرة مشاغلة ومسؤولياته وشرح لها الأمر الذي يطلب مساعدتها فيه.

- «**الدين الجديد؟ محمد؟**». قالت برغش كأنها تحاول أن تتذكر.
- «**الحقيقة، أنا كما تعرفني يا نبّاح برغوثة في حالي تمامًا، أحاول ألّا أتدخل في شؤون البشر كيلا يتدخلوا في شؤوني، هل تحدّث عتبة أمامي بالأمر؟ نعم، أذكر حوارات ذكر فيها اسم محمد بن عبد الله، لكن لا أذكر التفاصيل، سأحاول أن أركز معه وأعطيك ما تريده من معلومات**».

انتظرت سريعة مجيء الحمامة فاختة بفارغ الصبر. لم تكُن تأتيها كل يوم، لكن كان الأمر يتكرر في الأسبوع مرتين أو ثلاثة.

كانت فاختة حمامة سمراء داكنة اللون، لطيفة ثرثارة اجتماعية ولديها لسان معسول يمكن أن يُعتَبر سر نجاحها في جذب الحيوانات

وتكوين الصداقات، تعيش في مكة فوق الكعبة أو بين أشجار النخيل المتفرقة أو قرب الجبال المحيطة بمكة، وتتجنب أن تبتعد في الصحراء خوفًا من أن تصبح فريسة لصقر.

سألتها سريعة فور أن حطت عليها هذه المرة: «**هل تذكرين أنك أخبرتني عن صداقتك بطاووس هند بنت عتبة؟ نسيت ماذا كان اسمه؟ مغرور؟**».

- «**اسمه متعجرف، نعم أصبحت من أقرب المقربين له، أو ربما كنت الصديقة الوحيدة أصلًا**». قالت فاختة وهي تضحك.
- «**يا لكِ من ذكية، كيف استطعتِ ذلك؟ أسمع عن الطواويس أنهم متكبرون جدًّا ولا يسمحون لأحد بالتقرُّب منهم، لم يسبق لي أن تعرفت إلى أحد منهم في الحقيقة**».
- «**هم كذلك بالفعل، لكنهم يحتاجون في الوقت ذاته إلى مَن ينفخ لهم غرورهم بين الحين والآخر، هم يمشون الخيلاء طيلة الوقت ويتبخترون ومعجبون بأنفسهم جدًّا، لكنهم في أعماقهم يحتاجون إلى أن يسمعوا كلمات الإعجاب من سواهم، يحتاجون إلى مَن يقول لهم إنهم الأجمل والأكثر بهاء وألوانًا وبهرجة، هذا هو المفتاح إلى صداقتهم**».
- «**وهل قُلتِ هذا لمتعجرف؟**».
- «**منذ اللقاء الأول، وقفتُ أمامه وتظاهرتُ بالإغماء من شدة جماله، قُلت فيه الشعر والنثر، ما لم يقُله قيس في ليلى ولا كثير في عزة ولا جميل في هناء**».

- «جميل في هناء؟ أعرف جميل ولُبنى، هل ترك جميل لُبنى وأخذ يتغزل بفتاة أخرى اسمها هناء؟ يا للرجل زائغ العيون!».

حاولت فاختة أن تتذكر ثم قالت: «لا، أعتقد أنه جميل آخر، غير جميل لُبنى، حتى لا نظلمه ولا يقع في مشكلة أيضًا مع لُبنى، لُبنى عصبية ويدها غليظة».

- «وابتلع متعجرف الطعم؟».
- «ابتلعه على الريق، بلا ماء، قُلت له إني جُلت الهند والسند وبلاد الشام واليمن والحبشة وفارس، وما رأيت طاووسًا أجمل ولا أرقى ولا أزهى منه».
- «هل سافرتِ إلى كل هذه الأماكن حقًّا يا فاختة؟».
- «بالطبع لا. لم أرَ شيئًا غير مكة وجبالها وباديتها، ولم أرَ - أصلًا - أيَّ طاووس من قبل في حياتي، رأيت فقط الغراب الذي يقول أبو لهب إنه جَلبَه من الهند، لكن لا شيء غير ذلك».
- «ألم يحاول متعجرف أن يتأكد من أسفارك ورحلاتك، ماذا لو سألك عمَّا شاهدتِ هناك؟».
- «لا تخافي عليَّ، يمكنني أن أخترع شيئًا، لكن لا أعتقد أنه سيحاول التشكيك بي. مسكين متعجرف. يعاني الإهمالَ وفقدانَ الثقة بالنفس بسبب إهمال هند بنت عتبة له، ولهذا يريد أن يعوض هذا الإهمال».
- «هند تهمله؟! لماذا ابتاعته إذن! سمعت أن سعر شرائه كان مرتفعًا (مبلغ وقدره) يعني».

- **«هند كانت تريد أن تغيظ ضرتها صفية بنت أبي العاص، كان أبو سفيان قد جَلَب لها فَهْدًا حبشيًّا، فأرادت هند أن يجلب لها شيئًا لم تشاهده مكة من قبل، فجَلَب لها الطاووس تتبختر به أكثر مما يتبختر بنفسه المسكين، لكنه أَسرَّ لي أنها لا تولِّيه الاهتمام الحقيقي، وأنه لا يستطيع أن يطلبه منها (لأن الاهتمام لا يُطلَب) كما تعرفين».**
- **«ظريف بالفعل متعجرف هذا».**
- **«نعم، يقول إنها تهتم بأحذيتها أكثر مما تهتم به».**
- **«على سيرة أحذيتها، هل صحيح ما يُقال إنها تملك من الأحذية بقدر ما في الكعبة من أصنام؟».**
- **«نعم، وتقترح الآن على أبي سفيان أن يجلب آلهة جديدة إلى الكعبة كي يكون لها هدف أو (تارجت) آخر لتحققه».**

قالت فاختة وهي تضحك.

- **«وعلى سيرة الأصنام، هل سمعتِ بدعوة محمد بن عبد الله إلى نبذها وعبادة الله فقط؟».**
- **«محمد، ما ألطفه وأرقاه، بالتأكيد ما يقوله عين الصواب، لكن هل سينجح في إقناع أهل مكة؟ لا أعرف».**
- **«حسنًا يا فاختة، قرِّبي أذنك، سأطلب منك خدمة، ويمكن أن تشركي (متعجرف) فيها أيضًا، يفعل شيئًا في حياته بدل التبختر الفارغ».**

قربت فاختة أذنها باهتمام شديد.

٦

ـ «**سنراجع اليوم ما جمعناه من معلومات عن (الفئة المستهدفة) من كفار مكة، نبدأ بالأكبر سنًّا**». قال الضرس ونظر إلى الخالة سريعة.

ابتسمت خالة سريعة له ولم تقُل أي شيء. ثم التفتت فرأت الكل ينظرون إليها.

ـ «**ماذا حدث؟ لماذا تنظرون إليَّ؟**».

قال الضرس: «**يا خالة، قلت الأكبر سنًّا**».

عقدت حاجبيها: «**تقصدني أنا؟ ليس من اللطف قط أن توجه كلامك لسيدة على هذا النحو، لا أعرف ما الذي حل بقواعد اللياقة**».

وضع الضرس يده على جبينه: «**لا، ليس مجددًا**».

ـ «**ثم إني أطالب -أصلًا- بإعادة النظر في مفهوم الأكبر والأصغر**». قالت سريعة.

ـ «**كيف يعني يا خالة سريعة؟ لم أفهم يا حياتي**». قالت دجانة.

- «نقيس الأمر على معدل عمر كل حيوان منّا.. مثلًا، السلاحف تعيش لمدة طويلة، بعضها يصل إلى ٤٠٠ عام، وجدتي كانت تقول إن أباها (سلحوف الأول) عاش ألف سنة، حسب هذا، أنا لا أزال شابة، بل لا أزال مراهقة. أما أنتم، فالأمر مختلف، الضرس -مثلًا- أعتقد أنه يعيش أزمة منتصف العمر الآن».

رفع الضرس حاجبيه بدهشة وهو يسمع ما تقول.

ثم قال لها: «حسنًا يا خالة سريعة، كما تريدين».

- «خالة! آنسة من فضلك».

تدخلت القصواء بسرعة: «حسنًا يا آنسة سريعة، سأبدأ أنا».

- «تحدثتُ مع الجعراء، ناقة أمية بن خلف. تقول: إن كل ما يهم أمية من الأمر هو ألَّا ينتشر خبر دعوة محمد بحيث يؤثر على موسم الحج القادم، وضع أغلب أمواله في قوافل التجارة إلى الشام، ويخشى أن العرب ستنصرف عن القدوم إلى الحج إذا سمعوا أن أحدًا من قريش يهاجم آلهتهم ويسفهها، خاصة أن أمية يعتقد أن مدينة (الطائف) المنافسة تنتظر حدوث أي هزة لمكانة الكعبة في مكة لكي تجعل (بيت الربة) في الطائف بديلًا عن الكعبة، يقول أمية: إنه من السهل على سادات الطائف وضع آلهة العرب في بيت الربة جنبًا إلى جنب مع اللَّات، خاصة أن الجو في الطائف ألطف ويمكن أن يكون جاذبًا للسياحة، كل شيء يمكن أن يتحول إليها بسهولة، ودعوة محمد قد تسهل حدوث ذلك».

- «**ممم، مثير للاهتمام موقف أمية**». قال الضرس.
- «**لم تقُل شيئًا عن إيمانه بالآلهة مثلًا؟**». سألها يقظان.
- «**أبدًا، على العكس، قالت شيئًا غريبًا.. قالت: إن أمية كثيرًا ما يسب الآلهة اللَّات ومَناة، خاصة عندما يغضب، ويكون وحيدًا أو معه مقربون فقط**». قالت القصواء.

علقت هريرة: «**يسب اللَّات ومَناة فقط؟ ولا يسب هُبَل؟ طبعًا؟ مجتمع ذكوري حقير حتى مع أصنامه. يسب الأصنام الإناث فقط ولا يسب الذكور منها**».

- «**لم تقُل إنه يسب هُبَل، لكنها قالت إنه يتحدث عن يده الذهبية ويقول: لو إن تجارًا أخذوا الذهب وتاجروا بأمواله لكان هذا أربح لهم**». قالت القصواء.
- «**هو مُحق بالمناسبة، إذا كان الصنم الذي يعبدون مكسور اليد، ما فائدة الذهب الذي صُلح به؟**». ضحكت هريرة.

«**إذن ما يهم أمية هو التجارة وأرباحها فقط، ليس متدينًا جدًّا ولا يحب الأصنام كثيرًا، إن كان يحبها أصلًا**». أطرق الضرس مفكرًا.

- «**مَن لدينا أيضًا يمكنه أن يضيف شيئًا؟**». سألت القصواء.
- «**بخصوص عقبة، سافر في اليوم التالي لاجتماعنا السابق، لذا ليس هناك الكثير عنه، غير أنه افتعل مسرحية كبيرة ليلة سفره، خلاصتها إنه ألعوبة بيدي صديقيه المقربين أمية وأُبَيّ ابنيْ خلف. شخصيته ضعيفة للغاية، ومِن الممكن أن يكون كل موقفه من دعوة محمد بن عبد الله بسبب ضعف شخصيته هذا**». قالت هريرة.

- **«لم أفهم، كيف يكون ضعف شخصيته سببًا في هجومه على محمد؟ ضعفاء الشخصية يتجنبون المواجهة عادةً يا حياتي»**. سألتها دجانة.
- **«فكرت بالشيء ذاته صراحة، ربما يمكنني أن أعرف المزيد عندما يعود، لكن المُهم الآن شيء آخر يتعلق بأبي لهب، شيء خَطِرٌ جدًّا»**. قالت هريرة.

التفت إليها الجميع.

- **«أبو لهب وزوجته أم جميل يُعدّان لمؤامرة كبيرة ضد محمد، لا أعرف التفاصيل، لكنهما أغلقا الباب بعد أن دخل عليهما عتبة وعتيبة، وتكلموا بصوتٍ خافت، لم أسمع كثيرًا، كانت الأصوات مُحتدة وكانت يبدو أن أم جميل تحاول أن تقنع ولديْها بشيء، تُطمّعهما»**.

سكتت هريرة قليلًا ثم قالت: **«اسمعوني، أعترف أني لا أحب الشخصيات البسيطة، أرى أن شيئًا من المشاعر السلبية؛ كُره، حقد، انتقام، عداوة، تكون مثل التوابل للطبخة، ضرورية أيضًا للشخصية.**

لكن أم جميل هذه، طريقة كلامها، تتنفس الحقد والكُره، جعلت شعري يقف، تجاوزت مرحلة التوابل، الطبخة كلها لا شيء فيها غير التوابل».

- **«نعم، هي لئيمة مثل أمها.. كانت مؤهلة لتدريب الشيطان شخصيًّا على الشر، ماذا يجول في ذهنها يا ترى!»**. قالت الآنسة سريعة.

قال نبّاح بعد تفكُّر: «**ابنا أبي لهب، أليسا متزوجين من ابنتيْ محمد؟ غالبًا الأمر متعلق بابنتيْه إذن**».

- «**هل اكتشفت ذلك بمفردك يا نبّاح أم تلقيت مساعدة من صديق؟ أليس واضحًا أن الأمر يتعلق بابنتيْ محمد؟**». سخرت هريرة.
- «**ماذا يريد أبو لهب أن يفعل ابناه يا ترى؟ يحرمان ابنتيْ محمد من رؤية أبيهما وأمهما مثلًا؟**». قالت الآنسة سريعة.
- «**يبدو الأمر أكبر من هذا!**». صهل الضرس.
- ثم قال: «**هل مِن أخبار أخرى من الشخصيات الأخرى؟ أبو جهل؟ عتبة؟**».

قال يقظان وهو ينظر إلى دجانة: «**لم أفعل شيئًا، اقترحت على دجانة أن تأتي معي بنفسها لزيارة ناقرة كي تتأكد من عدم وجود شيء بيني وبينها**».

- «**على جثتي يا يقظان، على جثتي، انسَ الأمر يا حياتي**». قالت دجانة بحدة.

شجعتها هريرة وهي تهمس لها: «**اخلعيه، قلت لكِ.. اخلعيه**».

- «**وماذا عن عتبة؟ هل قالت برغش شيئًا يا نبّاح؟**». سأله الضرس.
- «**لم ترد بعد.. سأذهب إليها اليوم، عسى أن تكون قد جمعت شيئًا**».
- «**وأبو سفيان يا مدموزيل سريعة؟**». قال الضرس.

- **«مدموزيل! كلك ذوق عزيزي ضرس. تقول فاختة: إن (متعجرف) شكا لها كثيرًا من إهمال هند بنت عتبة له، وقال أيضًا إنها ابتاعته فقط لتغيظ ضرتها صفية التي كان أبو سفيان قد جلب لها فَهْدًا حبشيًّا، ويقول إنها تريد أن تزيد عدد الأصنام في الكعبة لكي تشتري المزيد من الأحذية، لأنها مهووسة أحذية، لديها أحذية بقدر عدد الأصنام في الكعبة».**
- **«ليتني أراقبها بدل أم جميل، ذوقها في الأحذية والملابس سيئ جدًّا، يكاد يصيبني بالاكتئاب».** قالت هريرة.
- **«أحذية بعدد أصنام الكعبة. هل تسمع؟ هؤلاء هن النساء المحظوظات يا حياتي، يتزوجن مَن يجلب لهن طواويس وأحذية، ليس مثل حظي».** قالت دجانة وهي تلتفت إلى يقظان الذي تظاهر أنه لم يفهم تلميحها.
- **«لا، لم أسمع شيئًا».** هز يقظان عُرْفه نافيًا.
- **«يا جماعة، هل هذا معقول؟! كنا نريد أن نراقب أبا سفيان وليس زوجته وأحذيتها ومكيدتها لضرتها».** قال الضرس بغضب.

سكت الجميع.

- **«آنسة سريعة، نعرف كم هي مُهمة ومُشوقة أخبار أحذية هند، لكن فلنرجع إلى موضوعنا.. هل مِن شيء عن أبي سفيان وموقفه من الدين الجديد؟».**

- «**الحقيقة، ليس بعد. كل ما قالته فاختة إن أبا سفيان كتوم جدًّا، غامض، قليل الكلام، في كل شيء عمومًا، وفي هذا الأمر أيضًا. قالت إنه لا يتخذ موقفًا إلا بعد أن يحسب حساب كل شيء**». قالت سريعة.
- «**هذا هو انطباعي عنه أيضًا. ليس سهلًا قط أبو سفيان هذا**». قال الضرس.
- «**قالوا في الأمثال: قليل الكلام، كثير الحيلة**». علقت سريعة.
- «**ما هذا المثل؟ لم أسمع به من قبل، ربما ينطبق على البشر فقط، لست قليلة الحيلة قط، ولكني في الوقت نفسه أتكلم كثيرًا**». قالت هريرة بامتعاض.

نظر إليها الضرس وهمس بصوت غير مسموع: «**هذا واضح**».

هزَّت مكة في الأسبوع التالي أخبارٌ عن تطليق عتبة وعتيبة لرقية وأم كلثوم بنتيْ محمد بن عبد الله.

عتبة طلّق رقية ولكنه حصل مقابل ذلك على وعود من أمه أن تزوجه من قريبة لها.

أما عتيبة، فلم يكتفِ بتطليق أم كلثوم، بل قيل إنه تهجّم على أبيها، هجم على محمد في بيته وبصق في وجهه وقال له: «**كفرت بدينك، وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك**».

كانت هريرة تبكي وهي تحكي ما سمعته عمَّا حدث.

- «**ما ذنب رقية وأم كلثوم؟ كيف يمكن لأم جميل أن تكون بهذه القسوة؟**». سألت دجانة.
- «**ليس هذا فقط. سمعت أن أبا جهل ذهب إلى زوج بنت محمد الأخرى، زينب.. وعرض عليه أن يطلقها، لكي يكسر قلب محمد وخديجة أكثر وأكثر، لكن، الحمد لله، زوج زينب رفض وطرده**». قالت سريعة.

- **«كانوا يريدون أن يكسروه وهو يرى بناته الثلاث يرجعن إلى بيته كسيرات بسبب دعوته»**. قالت دجانة.
- **«ولهذا أقول دائمًا وأبدًا: على المرأة ألّا تعتبر الطلاق كسرًا وفشلًا لها، بل تعتبره بداية مرحلة جديدة للحرية والفرص المتاحة»**. قالت هريرة بعد أن غيرت من نبرتها.

نظرت إليها القصواء باستغراب: **«هل ترين أن الوقت مناسب لهذا الحديث؟ وفّري علينا خطاباتك الآن»**.

قال نباح بصوت منخفض: **«أراهن أنها ستتناسى كل هذه الشعارات فور أن يتقدم لها هرٌّ بالمواصفات المناسبة»**.

- **«اذهب وطارد ذيلك يا نبّاح»**. قالت هريرة باستخفاف.
- **«دعونا من هذه الخلافات الجانبية، هل سمع أي أحد منكم عن رد فعل لمحمد تجاه ما فعله عتيبة؟»**. سأل الضرس.
- **«سمعت أنه دعا عليه فقط. قال: اللهم سلّط عليه كلبًا من كلابك»**. قالت هريرة.
- **«وأين عتيبة الآن؟»**.
- **«لا أعرف، في البيت ربما، سيسافران غدًا هو وأبوه إلى الشام»**. قالت هريرة، وهذا يعني أن عندي إجازة، لأن عقبة سافر إلى الشام أيضًا، لا أحد لأراقبه.
- **«هل من أخبار أخرى؟»**.
- **«الناقة الجعراء تقول: إن أحد عبيد أمية بن خلف قد أسلم. أخبرتْها بعض الخراف التي خرج يرعى بها العبد، عندما اطمأن أنه أصبح بعيدًا عن أعين الناس، أخذ يُصلّي وذكر**

اسم محمد في صلاته.. أظنها قالت إن اسمه بلال». قالت القصواء.

- «**عرفته، هذا الفتى صاحب الصوت الجميل**». قال الضرس بصوت منخفض كما لو كان يتحدث مع نفسه. «**هل يعرف أمية بذلك؟ لو عرف سيؤذيه حتمًا**».
- «**لا أحد يعرف، الخراف لا تستطيع أن تخبر البشر بما رأت، الحمد لله**».
- «**أي أخبار أخرى من عتبة بن ربيعة؟ أم أن (برغش) لا شيء يأتي منها؟**». قالت القصواء مُوجِّهة حديثها إلى نبّاح.
- «**بلى، برغش جاءت بأخبار، تقول: إن الأمر بالنسبة إلى عتبة هو الآباء أولًا وأخيرًا. أحيانًا يتحدث مع آبائه وأجداده في المنزل، سمعته برغش بنفسها وهو يتحدث، وهو يقول ماذا يقول أبي وأجدادي لو عرفوا أننا نسمح لأحد من قريش يستبيح آلهتنا**».
- «**هل كانوا يردُّون عليه؟**». سألت هريرة.
- «**ما الفرق؟**». سأل نبّاح.
- «**فرق كبير، لكن كيف لمثلك أن يفهم هذا؟**». مطت هريرة فمها وهي تُبعِد وجهها.
- «**تقصد هريرة إن كان عتبة يتحدث مع نفسه ـ كما قد يحدث للجميع ـ أم أنه كان يتخيَّل أنهم يسمعونه ويردُّون عليه أيضًا؟**». قال الضرس لنبّاح.

- **«لم تقُل برغش شيئًا عن ذلك. لم يكُن يعتقد أنهم يسمعونه، لم تقُل إنه مجنون إن كان اللف والدوران عن هذا الأمر، كل ما في الأمر أن عتبة مصدوم من فكرة مخالفة الآباء، يُقدِّسهم ويُحبهم لدرجة تجعله رافضًا لفكرة محمد، ليس بسبب الآلهة على ما يبدو، بل بسبب الآباء»**.
- **«هذا مثير للاهتمام، حتى الآن لكل منهم سبب مختلف في عدائه لمحمد؛ عتبة بسبب تمسُّكِه بالآباء، أمية بسبب تأثير دعوة محمد على الأموال والتجارة، أبو لهب لأنه خائف على مكانته بين قريش بسبب كونه الأقرب لمحمد كقرابة، عقبة لم نفهم الفكرة بالضبط، لكننا سنفهم عندما يعود من رحلته من الشام»**. قال الضرس.
- **«بقيَ أبو جهل وأبو سفيان»**. قالت القصواء.
- **«لقد تحدثت مع (ناقور) زوج ناقرة، وقال لي: إنه سيحاول الحصول على الأخبار»**. قال يقظان وهو ينظر بحذر إلى دجانة التي أشارت إلى رقبتها بعلامة الذبح.
- **«هل يعرف أحدٌ منكم حمامة اسمها (زاجلة) بيضاء ناصعة وتبدو لطيفة جدًّا؟»**. سأل الضرس.
- **«الحمام الأبيض متشابه، لا يمكن التفريق بينه بسهولة، لذا ربما نكون قد رأيناها من قبل»**. قالت هريرة.
- **«ما بها؟»**. سألت دجانة.
- **«قالت: إنها سمعت بما نفعله، وتريد أن تنضم إلينا، وقالت إنها يمكن أن تنقل لنا أخبارَ أبي جهل لأنها كثيرًا ما تقف على سطحه»**. قال الضرس.

- «**هذا ممتاز، لن يتعارض هذا مع محاولات يقظان في معرفة الأخبار عن طريق ناقور، زيادة الخير خيران**». قالت القصواء.
- «**قلت أنْ آخذ رأيكم أولًا قبل أن أدعوها لحضور اجتماعنا القادم**». علّق الضرس.
- «**تحل أهلًا وتنزل سهلًا**». قال يقظان بسرور.

ضربته دجانة بجناحها ضربة جانبية: «**تفرح أنت كثيرًا بحضور الإناث يا ديك البرابر يا بعلي**».

- «**هل من أخبار من بيت أبي سفيان يا مدموزيل سريعة؟**». قالت القصواء.
- «**لكن ليس فيما يخص أحذية هند بنت عتبة، رجاءً**». قال الضرس.
- «**نعم، هناك شيء مهم جدًّا، نار شبّت في بيت أبي سفيان**». قالت سريعة.
- «**نار؟ طمئنيني! هل خزانة ملابس هند وأحذيتها بخير؟**». قالت هريرة.
- «**قصدت المعنى المجازي، وليس الحريق**».
- «**إجازي؟ يا حياتي.. أنا أحب الإجازات كثيرًا**».

رمقها الجميع بنظرات استغراب بينما أشارت لها هريرة بيدها: اخرسي.

- **«قال متعجرف لفاختة: إن (هند) قد اكتشفت أن رملة ابنة زوجها من ضرتها صفية قد أتبعت محمدًا»**. قالت سريعة بصوت منخفض.
- **«ماذا؟»**. صرخ الجميع في وقت واحد تقريبًا.

صفقت هريرة بفرح وقالت: **«وصبرت على هذا الخبر حتى الآن ونحن نبكي على ما حدث لرقية وأم كلثوم»**.

- **«نعم، اكتشفتْ هند في أثناء إحدى زياراتها لنسوة قريش أن رملة وزوجها قد أسلما، عادت إلى البيت وتشاجرت مع زوجها، مُنتهزة الفرصة لكي تهاجم ضرتها صفية وتعتبرها السبب في دخول رملة في الإسلام، استمرت بتحريض زوجها، ماذا ستقول الناس عنك؟ ماذا ستقول الناس عنك؟ ماذا ستقول الناس عنك؟ ثقبت رأسه بهذا السؤال، ثم قالت له أن يستدعي رملة وزوجها ويضربهما ويحبسهما حتى يعودا عن دين محمد»**. قالت سريعة وهي سعيدة باهتمام الكل بما تقول.
- **«وأبو سفيان، ماذا فعل؟»**. سألها نبّاح.
- **«لم يفعل شيئًا!»**. قالت سريعة. **«بقيَ ساكتًا يتأمل كما لو أنه يفكر، أو يحسبها بعمق، كان قلقًا من كلام هند عن مكانته بين الناس، لكنه قال لها إنها متزوجة ولا سلطة له عليها، وإنه سيكلمها وزوجها بالأمر لكنه لن يحبسهما بالتأكيد»**.
- **«موقفه يستحق الاهتمام، يبدو عقلانيًا جدًّا»**. قالت القصواء.

- **«لكن ما قالته هند بعدها هو الذي يستحق الاهتمام أكثر».**

قالت سريعة.

التفت الكل إليها مجددًا.

- **«قالت له: أنت تريد أن تستغل الأمر لصالحك، تخشى أن تصير الأمور لمحمد يومًا ما، وتريد أن تكون قد حجزت موقعًا مقربًا منه في حالة حدث هذا، أنت تعشق السلطة والقوة، وهذا يجعلك مترددًا في محاربة محمد، تريد أن تكون أموالك في كل القوافل، حتى لو خسرت واحدة، تكون لديك أخرى رابحة».**
- **«خَطِرة هند هذه، وماذا رد عليها أبو سفيان؟».** سأل الضرس.
- **«لا شيء، قال لها إنها مجنونة وأدار ظهره لها وغط في نوم عميق وبقيت هند تتشاجر مع نفسها».**

- «**هل رأيتم نبّاح؟ لم أره منذ الاجتماع السابق ويبدو أنه لم يحضر اليوم**». سأل الضرس.
- «**نعم، لاحظت الرائحة ألطف في المكان**». ردت هريرة.
- «**على أي حال نرحب اليوم برفقتنا الجديدة الآنسة زاجلة، ستكون مساعدتنا في مراقبة أبي جهل**».

هزت زاجلة رأسها مُحيّية للجميع برقة.

قال يقظان: «**تبارك الخالق فيما خلق، يا ما شاء الله!**».

قالت دجانة بصوت منخفض: «**تبارك الله في القهوة المُرة التي أريد أن أشربها عليك يا ديك البرابر**». ثم لزاجلة بصوت أعلى: «**إن شاء الله نستضيفك قريبًا في حظيرتنا، بقهوة مُرة يا حياتي**».

نظرت هريرة إلى زاجلة نظرة متفحصة وهزت ذيلها بعلامة الشك وسألتها: «**أين تسكنين عزيزتي؟ لم أرَك من قبل، أعرف كل الحمام في الأماكن الراقية في مكة، ولكني لم أنتبه لكِ من قبل، إذا كنتِ تسكنين في المناطق الشعبية فأنا لا أعرف أحدًا هناك**».

- «**جئت منذ مدة بسيطة مع تاجر في قافلة من اليمن، لكنه توفي قبل أن يصل إلى مكة، فطرتُ إلى أن وصلت إلى مكة وصرت أقضي الوقت في حي آل مخزوم، سطوحهم عالية ولديهم مخازن حبوب كثيرة**». أجابت زاجلة بصوت منكسر.
- «**وكيف سمعتِ بنا؟**». سألتها القصواء بتودد.
- «**الحقيقة أنا قادمة من بلد توجد فيه ثقافة أعمال تطوعية بكثرة**».
- «**توجد فيه ماذا يا حياتي؟**». قالت دجانة.
- «**أعمال تطوعية، مساعدة الآخرين، حملات تنظيف، هذه الأمور يعني**». قالت زاجلة.
- «**وقد رأيتكم تجتمعون مرة، وتصوّرت أنه عمل تطوعي، أو شيء مثل علاج جماعي**».
- «**مثل ماذا يا حياتي؟**». سألتها دجانة مرة أخرى.
- «**علاج جماعي، غروب ثيرابي يعني**».
- «**علاج جماعي؟! هل رأيتِنا مجانين لكي نحتاج إلى علاج جماعي؟**». علقت هريرة باستنكار.
- «**ثم اكتشفت أنكم تجتمعون من أجل قضية سامية، فأحببت أن أشارك معكم**».

التفتت دجانة إلى هريرة وسألتها: «**قضية سامية؟ مَن سامية هذه؟ أول مرة أسمع بها**».

- «نرحب بكِ جميعًا يا زاجلة، هل مِن خبر معين تريدين أن تخبرينا به عن أبي جهل؟».
- «الحقيقة، أبو جهل شخصية مركبة، ليست سهلة، لكن إيجابياتها تفوق سلبياتها بكثير، هو ليس عدوًّا لمحمد إلا لأنه مؤمن حقًّا بالأصنام. موقفه مبدئي وعقائدي.. مسألة مبدأ، لو تبين له أن الأصنام زائفة ولا تسمن ولا تغني من جوع فأنا واثقة أنه سيؤمن بإله محمد فورًا». قالت زاجلة.
- «جميل جدًّا، هذا يسهل مَهمتنا كثيرًا». قال الضرس. «بحركة بسيطة يمكننا أن نكسر أحد الأصنام أمامه، في بيته مثلًا، وهذا سيجعله يفكر بسخف عبادة الأصنام».
- «لا أعتقد أن الأمر بهذه البساطة، رأيته يبكي بخشوع لنسخة الصنم هُبل الموجودة في حجرته، لو تحطم صنم، فسيجد ألفَ تفسير قبل أن يترك عبادة الأصنام».
- «هذه الصورة التي تقدمينها يا آنسة زاجلة مختلفة تمامًا عن فكرتي عن أبي جهل، أبو جهل يبكي بخشوع؟ صحيح لو قال المثل، لا تحكُم على الكتاب من غلافه». قال الضرس.
- «أفهم ما تقول تمامًا، هذا شعوري نفسه، في البداية كان لدي انطباع سلبي جدًّا عنه، المظاهر خادعة بالفعل، عندما عرفته أكثر كان هذا بمثل نداء يقظة لي، أو كما نقول في بلادنا **wake up call**.. أن أترك الحكم على الآخرين بسلبية بناءً على أشكالهم، رأيته يُطعم قطة صغيرة أمها ماتت، تقطّع قلبي وأنا أراه يفعل هذا». قالت زاجلة بتأثُّر.

- «**نداء يقظة!**». مطت هريرة شفتيها ونظرت إلى الأعلى.
- «**أبو جهل يُطعم قطة صغيرة؟ لا أستطيع حتى تخيُّل الأمر، غالبًا القطة ستموت خوفًا منه**». قالت سريعة وهي تكتم ضحكتها.
- «**تقطّع قلبك؟ على أبي جهل؟ سلامة قلبك يا حياتي**». قالت دجانة.
- «**أبو جهل إنسان جيد، لكن الذين حوله سيئون. أؤكد لكم ذلك**». قالت زاجلة.

كتمت هريرة والقصواء ضحكتيهما، بينما قالت سريعة: «**كنت واثقة أنها ستقول هذا. التاريخ يكرر نفسه دومًا. غالبًا ستُقال هذه الجملة بعد ألف سنة أيضًا، فلان الفلاني جيد والذين حوله سيئون**».

كان من الواضح أن الفريق النسائي غير مرتاح لزاجلة، بينما الفريق الرجالي مُرحب بها وبما قالته.

- «**علينا أن نكون مرنين ومنفتحين يا جماعة، لسنا ضد أبي جهل كشخص، نحن ضده كأفكار ومواقف، وسنسعد به لو أسلم**». قال الضرس.
- «**هل أنتِ متأكدة أنه أبو جهل؟**». قالت القصواء.
- «**يطعم القطة بيديه؟**». سألتها هريرة.
- «**نعم، واثقة تمامًا**». قالت زاجلة.

فجأة سمع الجميع صوتَ عويلٍ قادم من الشارع، وجلبة كبيرة وأصوات متداخلة.

خرج يقظان مستطلعًا الأمر، ثم عاد بعد لحظات وقال:

- **«لقد رجع أبو لهب من رحلته»**.
- **«بهذه السرعة؟ لم يصل إلى الشام بالتأكيد»**. قالت هريرة.
- **«ولماذا هذا العويل؟ هل تعرضت القافلة لقُطّاع طرق؟»**. سألته القصواء.
- **«لا. القافلة حملت جثة ابنه عتيبة.. لقد التهمه أسدٌ وهو نائم»**.

شهق الجميع.

- **«كانوا قد وصلوا منطقة «الشراة»، في الطريق إلى الشام، وناموا عند صومعة راهب، فلما استيقظوا وجدوا الأسد قد أكل عتيبة، وما بقيَ منه إلا قليل»**.

عم الصمتُ، تذكر الجميع أن النبي قد دعا عليه.

أما الضرس فقد تذكَّر أيضًا شيئًا آخر. تذكَّر سؤالَ نبّاح عن مكان عتيبة وإلى أين سيسافر، وفكر بغيابه هذه المدة. ثم قال:

- **«غدًا ربما نرى (نبّاح) مجددًا، غالبًا كان في رحلة سريعة»**.

٩

اعتبرت زوجة أبي لهب ـ أم جميل ـ أن محمدًا قد قتل ابنها عتيبة.

كانت تشعر أن الكل قد خذلها، كان يجب أن يثأر من محمد، كان يجب أن يقتص منه، أن يقتل. لكنهم تخلّوا عنها جميعًا، حتى زوجها أبو لهب، حتى شقيقها أبو سفيان.. تأثروا وحزنوا لموت عتيبة، لكنهم لم يتَّهِموا محمدًا. لقد افترسه الأسد. اتهامهم لمحمد كان يعني أن دعاءَ محمد مستجاب من قِبَل الله، وهذا يعني ضمنًا أن قوله إنه نبي صحيح. لذا تجاهلوا الأمر وأعرضوا عن اتهامات أم جميل، وقرروا أن الأمر مجرد حادث.. قضاء وقدر.

لكن ليس بالنسبة إلى أم جميل. كانت تجتمع بالنساء في كل مكان وتقول إن محمدًا قد قتل ابنها، وتتوعده وبناته وزوجته بالشر. لم تكن تكف عن الحديث عن ذلك، ثم أخذت تجمع الحطب والقاذورات وتضعهم أمام بيت محمد وخديجة، الذي يقع مقابل بيتها بالضبط.

أحرج الأمر إنسانة هريرة، السيدة أروى بنت كريز، فخديجة جارتها، ولم تفعل لها أي شيء سيئ وكانت دومًا مثالًا للخلق والاستقامة. لم تتقبل أروى قط ما فعلته أم جميل من إجبار ابنيْها على تطليق بنتيْ

محمد.. كانت تحب بنات خديجة جدًّا، خصوصًا رقية، وأحزنها جدًّا أن تُطلَّق بهذه الطريقة، ثم جاءت حادثة عتيبة لتزيد الحرج. ما شأن محمد لتتهمه أم جميل؟ لقد أكله الأسد على طريق الشام، ثم هذا الحطب والقاذورات على الطريق. هذا أمر مخجل ولا يليق بكل الأحوال.

قالت السيدة أروى لهند بنت عتبة: «**هل يعجبك ما تفعله أم جميل؟ ألا ترين أنها تبالغ؟**».

بدا الانزعاج على وجه هند: «**ماذا تقصدين؟ هل تتعاطفين مع محمد أنتِ الأخرى؟**».

- «**أتعاطف مع خديجة وبنتيْها بالتأكيد، ومحمد ابن خالي.. لا علاقة لي بدعوته لكنه يبقى ابن خالي، ما فعلته أم جميل مع بنتيْ محمد لم يكن لائقًا ولا مروءة فيه، ثم ما حدث لعتيبة، كيف يمكن أن يُتهَم محمد فيه؟**».
- «**قلب الأم يا أروى.. مفجوعة بابنها، لا بد أن خديجة ومحمد قد شمتا بما حدث**».
- «**لا والله، تعرفين خديجة كما أعرفها حق المعرفة، ما كانت لتشمت في شيء كهذا، كل الأمر أن أم جميل تشعر أنها هي التي تسببت بمقتل ابنها، لذا تحاول أن تتهم محمدًا بالأمر**».
- «**ماذا تقصدين؟**».
- «**أم جميل تعي أن خطتها بتطليق عتيبة من رقية أدت إلى أن يتهجَّم عتيبة على محمد ويتعدى عليه، ومِن ثمَّ يدعو عليه محمد، ثم افترسه الأسد، تعرف أنها هي التي تسببت بكل**

ذلك، لذا تحاول أن تتهم محمدًا وخديجة طيلة الوقت، كيلا يلومها أحدٌ، أو حتى لا تلوم هي نفسها».

- **«لا أعرف، بدأ الأمر يصبح صعبًا أكثر وأكثر، لا أعرف كيف يؤمن الناس بمحمد».** قالت هند، ثم خفضت صوتها: **«هل تعرفين أن رملة ابنة زوجي من صفية قد صبأت هي وزوجها وأَتْبعت محمدًا؟».**
- **«نعم، سمعت بالأمر.. الأمر أصبح في كل البطون والعشائر، كيف هو أبو سفيان مع الأمر؟».** سألتها أروى بتردد.
- **«سيقتلني ببروده. دعاها وتحدث معها وطلب منها أن تعود إلى دين آبائها، رفضت وتشاجرا وانتهى الأمر، لا ضربها ولا حبسها ولا فعل شيئًا، يقول إن زوجها مسؤول عنها ولا يمكنه أن يفعل أكثر».**
- **«أتوقع أن ينتهي الأمر كله قريبًا، يتصالح الجميع ويكف محمد عن دعوته ويصبح الأمر كله مجرد ذكريات».**
- **«تسمع منك الآلهة كلها يا أختاه».** قالت هند.

دخلت هريرة الاجتماع وهي تقول: **«خبر بألف ألف درهم».**

قالت دجانة: **«هل يوجد رقم كهذا أم أنك اخترعته الآن يا حياتي؟».**

- **«ما الخبرُ يا هريرة شوقتِنا؟».** قالت القصواء.

- «**دعوني أرتاح قليلًا، الخبر طازج جدًّا، وصلني الآن، لو خرجت قبل قليل لما سمعته**». قالت هريرة وهي تلتقط أنفاسها.
- «**ماذا حدث؟**». قال الضرس.
- «**عثمان بن عفان، ابن إنسانتي أروى...**».

وضعت دجانة جناحيها على شكل قلب وقالت: «**عثمان.. حياتي**».

قال يقظان: «**احتشمي يا دجاجة**».

- «**ما باله؟**». قالت القصواء.
- «**اتضح أنه أسلم منذ مدة.. لقد أخبر أمه للتو بذلك**».

عمَّت الضجة بين الحاضرين.

«**ماذا فعلتْ؟ كيف فاتحها بالأمر؟ كيف كان رد فعلها؟**». توالت الأسئلة من الجميع.

- «**الحقيقة هو أخبرها بالأمر من خلال طلبه منها أن تخطب له رقية بنت محمد، وعندما قالت له أمه...**».

قاطعتها القصواء: «**ماذا تقولين؟ عثمان يخطب رقية؟**».

- «**نعم، هذا ما قُلته.. قال لأمه إنه يريد أن يتزوج مِن...**».

لم تكمل جملتها. أخذت القصواء ترقص فرحًا، بينما أطلقت دجانة زغرودة طويلة، ومسحت الآنسة سريعة دمعة فرح كانت قد نزلت من عينها.

- «**الحمد لله.. لقد عوضها الله خيرًا بعدما تعرضت له، ظُفر عثمان برقبة عتيبة وعتبة وألف مثلهما**». قالت سريعة وهي تمسح دمعة أخرى.

- **«وكيف أخبرها أنه مسلم؟»**. سأل الضرس.
- **«أمه أثنت على رقية وعلى أبويها، وقالت لن نجد نسبًا أفضل من هذا، لكنّ هناك وضعًا خاصًا بمحمد في مكة هذه الأيام، فقاطعها قائلًا إنه مع هذا الوضع الخاص، وإنه مثل رقية، مؤمن بأبيها»**. شرحت هريرة.
- **«أوه، ما أجمل كلامه! أحب قصص الحب عندما تكون فيها قضية سامية»**. قالت زاجلة بتأثُّر.
- **«سامية مجددًا؟ ما قصة سامية هذه وما قضيتها بالضبط؟ هل ممكن أن يشرح لي أحدّ الأمر يا حياتي؟»**. قالت دجانة باستغراب.

حاولت هريرة أن تشرح لها الأمر: **«سامية بمعنى.. بمعنى أن يكون لديك قضية مهمة وهدف في حياتك...»**.

- **«قضية وهدف؟ ما علاقة ذلك بسامية يا حياتي؟»**.
- **«انسي الأمر، سامية ربما تكون صديقة لزاجلة، لا عليكِ»**.
- **«كيف استقبلت إنسانتك الأمر يا هريرة؟»**. سألتها القصواء.
- **«يُخيَّل لي أنها كانت تعرف، أو كانت تشك بالأمر، لم تتفاجأ كثيرًا، حتى تفاجؤها، بدا لي أنها كانت تمثله، لم تغضب بالتأكيد ولم تحاول أن تتظاهر بالغضب، وكانت سعيدة بالتأكيد بموضوع خطبة رقية»**. قالت هريرة.
- **«رملة بنت أبي سفيان بالأمس، واليوم نكتشف أن عثمان بن عفان أيضًا، بيوت مكة الأرستقراطية ومجتمعها المخملي يتعرض لاختراقات مهمة، الحمد لله»**. قال الضرس.

- «**لكن أخبروني، هل تشعرون أن هناك نفعًا بما نفعله؟**». سأل يقظان بتردد.
- «**لماذا تقول هذا يا رجل؟**». رد عليه الضرس.
- «**لم نفعل شيئًا حتى الآن، جمعنا المعلومات، لكن ماذا بعد، ما الذي فعلناه؟ عرفنا أن أم جميل تُعِدُّ مصيبة لمحمد، ثم ماذا؟ لم نستطع أن نفعل شيئًا لمنعها**». قال يقظان بحزن.

تنحنح نبّاح بشدة، ثم زاد صوته وهو يفعل ذلك بطريقة جعلت الكل يلتفت إليه.

- «**تريد شربة ماء يا حياتي؟**». سألته دجانة.

صهل الضرس وهو يقول: «**أعتقد أن (نبّاح) لديه ما يقوله عن الأمر بحيث تتغير فكرتك كليًا يا يقظان**».

«**نبّاح؟ كيف؟**». تساءل الجميع.

- «**كنت أعتقد أنكم قد ربطتم بين ما حدث لعتيبة واختفاء نبّاح في تلك المدة**». قال الضرس وهو يبتسم.
- «**ماذا؟ هل تقصد أن (نبّاح) هو الذي أخبر الأسد أن...**». قال يقظان بذهول.
- «**أخبِرهم يا نبّاح**». قال الضرس.
- «**لا شيء مهم حقيقة، أعرف الأسود في تلك المنطقة، قبل أن أذهب مررت على بيت عتيبة وأخذت شيئًا من ملابسه، ثم سبقتهم إلى «الشراة»، وتحدثت مع أحد الأسود الطيبة هناك، واختبأت لأتأكد من الأمر**».

- **«هل شاهدت الأمر وهو يحدث؟ لا بد أنك قوي جدًّا»**. قالت زاجلة بدلع.

نظرت إليها دجانة شزرًا وقالت: **«ليس أقوى منك يا حياتي»**.

وضعت هريرة يديها على أذنيها: **«لا تدخل في التفاصيل يا نبّاح. ما حدث حدث ونحمد الله أنه حدث. لكن لا داعي لأن تروي لنا ما حدث؛ نريد نومًا هانئًا بلا كوابيس»**.

- **«لم يكن لدي أدنى فكرة عن الأمر، أحسنت يا نبّاح»**. قال يقظان.
- **«وما كان لهذا أن يحدث لولا المعلومات اللوجستية التي أمدتنا بها الآنسة هريرة، لم نفعل الكثير حتى الآن، لكننا فعلنا»**. قال الضرس.

ساد صمتٌ للحظات قبل أن تقول القصواء:

- **«أردت أن أخبركم.. الأمور مع أمية بن خلف ليست بخير»**.
- **«ماذا حدث؟»**.
- **«أحد العبيد أراد أن يفشي سر المسلم الجديد (بلال) لسيده أمية»**.
- **«وماذا حدث؟»**.
- **«بالصدفة كان أمية راكبًا على الجعراء، فما أن بدأ العبد بالحديث عن بلال، انتبهت الجعراء وأخذت ترفس وتركض وسقط أمية على رأسه، وطبعًا لم يستطع الواشي أن يكمل حديثه.. لكنه سيجد فرصة أخرى بالتأكيد»**.
- **«ماذا يمكننا أن نفعل يا ترى؟»**. قالت الآنسة سريعة.

- «**نبّاح، هل تعرف أسدًا قريبًا في مكة يمكنه أن ينجز الأمر ونتخلص من العبد الواشي يا حياتي**». قالت دجانة.
- «**لا، هذا كثير، حذار من العنف، عتيبة كانت قصته مختلفة**». صهل الضرس وهو يُهدئ دجانة.
- «**لا شيء نفعله الآن، لا يمكننا التدخل إلا بعد أن يحدث شيء، لكن أمية لو عرف سيكون شديدًا جدًّا على بلال، سيعتبر الأمر إهانة شخصية له. أن يتمرد بعض أولاد العوائل الأرستقراطية على آبائهم أمر مؤلم بالتأكيد، لكنهم أولادهم في النهاية مَهما حدث، أما تمرُّد العبيد فهو إهانة تواجَه بقسوة شديدة**». قالت القصواء بهدوء.
- «**هل من أخبار على الجبهات الأخرى؟**».
- «**متعجرف يقول: إن (هند) بنت عتبة قد دخلت في حالة اكتئاب شديدة، لا يعرف سرها ولا أسبابها، لكنها تقضي يومها في النوم، ولم تَعُد تهتم بنفسها كثيرًا كما في السابق، ولم تشترِ زوج أحذية جديد منذ أسبوعين تقريبًا، وهذا يدل -حسب متعجرف- أن الأمور سيئة جدًّا**». قالت سريعة.
- «**سمعت يا حياتي، لم تشترِ حذاء من أسبوعين**». قالت دجانة ليقظان.
- «**لا، لم أسمع شيئًا**». قال يقظان وهو يهز عُرْفه.
- «**لعلها تشك في أن زوجها يخونها؟ الرجال خونة عمومًا، ويزيد الأمر مع دخولهم أزمة منتصف العمر، أظن أبا سفيان في هذه المرحلة**». قالت هريرة.

- **«سألت فاختة عن هذا الأمر، فقالت: إن (متعجرف) أكد لها عدم وجود أي أدلة تشكك بأبي سفيان من هذه الناحية، لا يتأخر مساءً ثم يقول لها إن لديه عملًا إضافيًّا، لا يضع عطرًا أو يعتني بنفسه أكثر من المعتاد، مشكلتها ليست مع أبي سفيان من هذه الناحية، حتى إنها كفَّتْ عن التشاجر معه بخصوص ابنته رملة»**. قالت سريعة.
- **«ربما أنا أعرف سبب اكتئاب هند»**. قال نبّاح ثم صمت قليلًا قبل أن يكمل: **«... لست متأكدًا جدًّا، لكنه منطقي برأيي»**.
- **«كُف عن التشويق لأنك لا تجيده»**. قالت هريرة.
- **«رأيت حذيفة بن عتبة، شقيق هند، يتردد على دار الأرقم بن أبي الأرقم، حيث يجتمع المؤمنون بمحمد ويدرسون القرآن، لست متأكدًا من إسلامه، لكنه أمر محتمل جدًّا»**.
- **«منطقي بالفعل، ربما هند تعلم شيئًا عن الأمر، وهذا سبب اكتئابها، ولعل هذا جعلها تكُف عن تعيير زوجها بابنته، أسلمتْ ابنته وأسلم شقيقها»**. قالت القصواء.
- **«رملة وحذيفة وعثمان، الله أعلم مَن هناك أيضًا قد أسلم ولم نعرف عنه»**. قالت سريعة.
- **«هل علم عتبة شيئًا عن الأمر؟ ألا يفترض أن برغش علمتْ شيئًا؟»**. قال الضرس لنبّاح.
- **«حذيفة لم يأتِ إلى والده منذ مدة، وعتبة لا يمكن أن يمرر الأمر بسهولة»**. قال نبّاح.
- **«هل من أخبار من أبي جهل؟»**. التفت نبّاح إلى زاجلة.

- **«أبو جهل، يبدو أقرب كل يوم إلى الإيمان، لا أستبعد أبدًا أن يسلم في أي يوم، وطبعًا لو أسلم فكل شيء سينقلب لصالح دعوة محمد، أبو جهل بمركزه في قريش وثروته سيسهل دخول الكل إلى الإسلام»**. قالت زاجلة.
- **«لو حدث هذا، ماذا سيكون كبار رجال قريش الآخرين؟ عتبة، أمية، أبو سفيان، كيف سيتصرفون مع أبي جهل؟ هل سيحاربونه؟»**. سأل الضرس.
- **«أعتقد أن هذا هو سبب تأخير إعلانه للأمر، ربما يفكر أن يقنعهم بالتدريج، لعله يريد منهم أن يتقبّلوا الأمر، أو يهادنونه، كيلا تجري الدماء في مكة»**. قالت زاجلة.
- **«ماذا عن تأثير الأمر على التجارة في مكة؟ أبو جهل واحد من كبار تجارها، لو تعطّل مجيء العرب إلى الكعبة بسبب نبذ الأصنام، تجارته ستتأثر حتمًا، السوق في مكة سينهار، ماذا سيفعل؟»**. سأل نبّاح.
- **«لا أعرف، كل ما أعرفه هو أن الإيمان يصنع المعجزات، ربما يتخلى أبو جهل عن كل شيء في سبيل ذلك»**.
- **«في الحقيقة، لدي شيء أقوله عن هذا»**. قال يقظان.

التفت الجميع إليه.

- **«صديقي الديك ناقور يقول: إن أبا جهل شديد القسوة على المسلمين، وإنه اكتشف إسلام خادمة عنده فضربها ضربًا مبرحًا»**. قال يقظان بحذر وهو ينظر إلى زاجلة.

- **«هذه إشاعات يطلقها أعداء النجاح كما تعرفون، أبو جهل شخصية ناجحة بكل المقاييس، الأشخاص الفاشلون لا بد أن يطلقوا ما يُسيء لأمثاله، هذه القصة لا أساس لها، ما اسم الخادمة؟»**. ردت زاجلة بحماس.
- **«اسمها فارعة»**. قال يقظان بتحدٍّ، ثم أكمل: **«وما مصلحة ناقور في أن يتداول إشاعات ضد أبي جهل، هو ديك، ما وجه المنافسة بينه وبين أبي جهل كي يكون عدوًّا لنجاحه!»**. قال يقظان.
- **«أولًا، فارعة سرقتْ ذهبًا من سيدتها زوجة أبي جهل، ضربها أبو جهل تأديبًا لها، وليس لأنها أسلمت، هكذا تنشأ الإشاعات كما تلاحظون، وليس بالضرورة أن يكون صديقك ناقور هو عدو الناجحين.. يمكن فقط أن يردد ما يقوله أعداء النجاح»**. قالت زاجلة بثقة.

قال يقظان بتردد: **«أيضًا قال ناقور: إنه لا يوجد قطة صغيرة أطعمها أبو جهل بيديه»**.

- **«ماذا تقصد؟ أنا أكذب؟ أنا أُعرِّض نفسي للخطر وأُتهَم بهذا الآن! لم أتوقع هذا تحديدًا منك أنت بالذات يا يقظان»**. قالت زاجلة وهي تبكي تأثُّرًا.

نظرت إليها دجانة وقلدت طريقتها في الكلام: **«تحديدًا منك يا يقظان أنت بالذات... يا حياتي»**.

- **«أعتذر، لم أقصد شيئًا يا آنسة زاجلة، فقط نقلت ما قاله ناقور»**. قال يقظان مرتبكًا.

- «**ذرة رجولة يا ديك، ذرة لا أكثر يا حياتي**». قالت دجانة وهي تضرب يقظان جانبيًّا بجناحها.

تدخل الضرس: «**نتمنى بالفعل أن يسلم أبو جهل قريبًا، سيسهل هذا كل شيء على المسلمين**».

- «**أنا واثقة من هذا، قريبًا جدًّا سيسلم**».
- «**هل عاد عقبة من الشام يا هريرة؟**». قالت القصواء.
- «**من المتوقع خلال الأيام القادمة، مرت أحداث كثيرة منذ أن سافر، سيُفاجَأ بما حدث**». قالت هريرة.
- «**لعله يموت من المفاجأة ونخلص من واحد، يا حياتي**». قالت دجانة.
- «**ليت الأمور بهذه السهولة**». قالت هريرة.

١٠

كان الأسبوع التالي عاصفًا في مكة.

بدأ الأمر بعودة عقبة بن أبي معيط من رحلته إلى الشام واكتشافه أن ابن زوجته عثمان بن عفان، لم يسلم فقط، بل يريد أن يتزوج من ابنة محمد. أيّ تحدٍّ لقريش هذا؟ أبو لهب عم محمد يعزل محمدًا وبنتيْه، فيأتي ابن زوجته ليكون عوضًا عن ذلك.

- **«ماذا سأقول للناس؟! ماذا سأقول لأمية وأُبَيّ ابنيْ خلف؟ ابن زوجتي أسلم ويريد أن يتزوج من ابنة محمد؟ ليس لي سلطة على أهل بيتي!»**. سأل عقبة لزوجته.
- **«لا تبالغ، عثمان رجل وليس لأحد أن يمنعه مما يريد، ليس طفلًا لكي تحاول منعه من أي شيء، ثم ما دخلك أنت؟ أنت زوج أمه ولست أباه، وماذا تعتقد؟ عثمان وحده مَن أسلم من بيوتات مكة الكبيرة؟ رملة بنت أبي سفيان وزوجها أسلما. حذيفة أخو هند وابن عتبة أسلم أيضًا، هشام بن سيد بني سهم العاص بن وائل أسلم أيضًا، الأمر يزداد ويتوسع»**.

- **«ماذا تقولين؟ بنت أبي سفيان؟! حذيفة بن عتبة؟ هشام بن العاص؟ كل هذا في مدة غيابي في الشام!»**. رد عليها مستغربًا.
- **«هذا ما حدث، إياك أن تفتح فمك مع عثمان»**.
- **«عليَّ أن أذهب إلى أمية لأرى ما رأيه فيما يحدث»**.

عندما ذهب عقبة وجد أمية غاضبًا ثائرًا.

أسرّ له أحد خدمه أن (بلال) واحد من أفضل عبيده، قد أسلم سرًّا.

توقع أولًا أن يكون الأمر وشاية حسد لأن (بلال) كان الأثير المُقرَّب لديه.

نادى على بلال أمام كل الخدم والعبيد وطلب منه أن يُكذِّب ما يُقال عن إسلامه؛ بأن يكفر بمحمد وإلهه ويقول عنه إنه كاذب دعي. كان أمية يريد أن يؤدّب أولئك الذين يفترون على بلال لغرض التقرب منه. بلال نشيط وذكي وهو يعتمد عليه في كثير من المَهام. لا يحب مكائد العبيد ومؤامراتهم الرخيصة. سيخرس بلال الجميع الآن عندما يقول أمامهم إنه لا يؤمن بمحمد أو بإلهه.

لكنّ (بلال) لم ينطق بكلمة. بقيَ صامتًا، لا شيء.

للوهلة الأولى، لم يفهم أمية ماذا حدث، تصوَّر أن (بلال) لم يفهم المطلوب منه.

أخذ يكرر أوامره له بأن يذكر محمدًا بسوء.

وبلال لا ينطق، ولا كلمة.

فهم أمية. نظر حوله وهو لا يصدق ما يحدث، صفعه. تصوَّر أن الصفعة قد تنبِّهه. صفعة أخرى، بلال لا يقول شيئًا. عيون الخدم تنظر إلى ما يحدث. أخذ أمية يضربه بالسوط، بلال لا يقول شيئًا.

هنا جاء عقبة ورأى ما يحدث.

أمر أمية أن يُحبَس بلال.

التفت إلى عقبة: «**أرأيت؟! لقد وصل الأمر إلى عبيدنا، في داخل بيوتنا، هذا ما يفعله محمد، لن يكف حتى تخرب مكة تمامًا**».

عندما جاء موعد الاجتماع الأسبوعي، كان هناك الكثير مما حدث.

في اليوم التالي لاكتشاف إسلام بلال، أخرجه أمية إلى الصحراء وأخذ يعذبه بقسوة. وضع صخرة كبيرة الحجم على صدره وبقي يضربه حتى تعب.

الجعراء، ناقة أمية، تمكنت من إيصال خبر ما يحدث إلى عشراء، ناقة أبي بكر، صديق محمد المقرب.

كان أبو بكر على الناقة في طريقه إلى قرية خارج مكة. لكن الناقة عصته وأخذته إلى حيث كان بلال يُعذَّب في الصحراء.

بعدها كان الأمر أسهل. عرض أبو بكر على أمية أن يشتري (بلال) بضعف الثمن الذي يريده. بالنسبة إلى أمية، المال والأموال هي كل ما يهم. لذا، لم يماطل كثيرًا. الضعف ربح جيد. لا حاجة له ببلال.

أخذه أبو بكر، وداوى جراحه، ثم أعتقه. أصبح بلال حرًّا.

لكن حادثة بلال أشعلت مكة. أصبح كل سادة مكة يبحثون بين عبيدهم وحلفائهم من العشائر الضعيفة عمَّن أسلم لكي يجبروه على العودة إلى دينهم وسب محمد ودينه.

وإذا كان العبيد يمكن حمايتهم بعرض سعر مُغرٍ يحررهم.

فالحلفاء من العشائر الضعيفة كانوا في وضع صعب للغاية.

- «**هل هذا هو أبو جهل الرقيق اللطيف يا حياتي!**». قالت دجانة لزاجلة بلهجة مستفزة.
- «**لقد قتل سُميّة وزوجها! قتلهما! لأنهما أسلما!**». قالت القصواء.
- «**هل هذا هو أبو جهل الذي على وشك أن يسلم؟**». قالت هريرة.
- «**لا أعرف ماذا حدث! أعتقد أن ثمة خطأً في الأمر، لا أدري ما هو! أبو جهل يفعل هذا؟ لا بد أنه لم يكن في وضعه الطبيعي، أو لعله كان يريد أن يثبت لقريش أنه مخلص لأصنامها، فقرر أن يمثل أنه يعذبهم، ثم حدث ما حدث بالخطأ**». قالت زاجلة.
- «**يقول المثل: حدِّث العاقل بما يعقل، لقد وضع رمحًا في بطن سُميّة. كيف يحدث هذا بالخطأ؟**». قالت سريعة.
- «**كل هذا ينسجم أكثر مع ما قاله ناقور، أبو جهل شديد العداء للمسلمين، لا أثر للطف والرقة والرحمة في سلوكه**». قال يقظان.

صهل الضرس ثم سأل: «**ما حدث كان مأساة كبيرة، هل هناك أخبار أخرى؟ أي خبر سار؟**».

- «**عتبة عرف أن ابنه حذيفة قد أسلم، وطرده من البيت، وقال إنه بريء منه إلى الموت، خرج حذيفة من البيت ولم يعد، لذلك تظاهر عتبة أنه سيموت وطلب من هند أن تخبر حذيفة أن أباه يطلب منه أن يعود إلى دينه قبل أن يموت**». قال نبّاح.
- «**طريقة (قلبي، قلبي) الكلاسيكية، من أهم طرق السيطرة على الأبناء منذ بدء الخليقة، كلنا جربناها، إما سمعناها وإما قُلناها**». علقت سريعة.
- «**ماذا فعل حذيفة؟**». سألت القصواء.
- «**قال لهند إنه يمكن أن يأتي ليسلم على أبيه، لكنه لن يترك دين محمد، وما أن عرف عتبة جواب حذيفة حتى قام كالدُّب ولا كأنه كان على وشك الموت**». قال نبّاح.
- «**وأبو سفيان؟**».
- «**يقول متعجرف: إنه سمع أبا سفيان يقول لهند أن أمرَ محمد لا يمكن أن يُحل عن طريق القوة.. لا بد من استخدام المسايسة والمرونة معه**». قالت سريعة.
- «**كيف؟**».
- «**قال ربما يمكن أن نعرض عليه أن يأخذ مفاتيح الكعبة، أو مفاتيح دار الندوة، أو أن يكون له ركن في الكعبة يعبد فيه الله وحده دون أن يكون فيها أصنام، هند عارضته بشدة،**

واتهمته بالجبن، لكنه قال لها إن مكة قد تضيع إذا استمر النزاع هكذا، وإن القبول بحلولٍ وسط مهادنة قد يجعل دعوة محمد تنكمش بالتدريج». قالت سريعة. «**أبو سفيان يحسب الأمور على نحو مختلف، حتى الآن هو يبدو الأكثر مهادنة، على الأقل مقارنة بأبي لهب وأمية وأبي جهل**».

- «**وزوجته أيضًا أكثر أناقة من زوجاتهم**». قالت هريرة وهي تلف ذيلها حولها بأناقة.
- «**طمئنيني يا حياتي، هل خرجتْ هند من اكتئابها واشترت أحذية جديدة؟**». قالت دجانة لسريعة.
- «**نعم، وصلتها تشكيلة من الشام، أحذية وأثواب جديدة، فخر الصناعة الشامية، من ضمن ما وصلها شيء يوضع فوق الرأس وفيه ريش، يُقال إنه آخر صيحة، حسبما قال متعجرف**». قالت سريعة.
- «**أتمنى لو نجد طريقة لنتفرج فيها على خزانتها**». قالت هريرة.
- «**لم نحل قصة أبي جهل حتى الآن، نعرف سبب عداء الجميع إلا هو، ما تقوله زاجلة يتناقض مع ما يفعله، ويبدو أنه الأقوى والأشد عداء، هو الوحيد الذي تورط بالقتل، قتل سُميّة وزوجها تحت التعذيب**». قالت القصواء.

بدت زاجلة محرجة.

- «**يبدو أن وجودي أصبح غير مرغوب فيه**». قالت وهي تمسح دموعها.

التفتتْ دجانة فورًا إلى زوجها وقالت له: «**إياك أن تقول أي كلمة، ولا كلمة**».

- «**لم يقُل أحدٌ أن وجودك غير مرغوب فيه، لكن كما ترين، أنتِ ترين شخصًا آخر لا نعرفه، كل ما تقولينه يناقضه أبو جهل في سلوكه**». قال الضرس.
- «**لا أعرف، حقيقة لا أعرف، أنا محرجة جدًّا منكم، أسأل نفسي أنا هذا السؤال، كيف يمكن أن هذا الرجل اللطيف الرقيق يقتل امرأة؟ لن تصدقوا كم بكى على سُميّة وزوجها عندما عاد إلى البيت، بقي يبكي ويشهق بالبكاء وهو يكرر اسميهما ويستغفر الله على ما يفعل، لم ينم من ليلتها**». قالت زاجلة ودموعها لا تزال تذرف.
- «**أبو جهل يبكي على سُميّة! يا حياتي**». قلدتها دجانة بسخرية.
- «**هل تعتقدين أننا سنصدقك؟ هذه حركات يخدع بها البشر بعضهم بعضًا، لأنهم أغبياء، حتى لو رأيت أبا جهل يبكي بنفسه على سُميّة فلن أصدقه**». قالت هريرة.
- «**نعم، كلٌّ يحكُم بعينيه وحسب أخلاقه، أنا لا أستطيع أن أكذب لذا لا أتخيَّل أن يكذب أي أحد، أما مَن يعيش حياته بالخداع والكذب فهو لا يرى الناس إلا مثله**». قالت زاجلة وهي تنظر إلى هريرة بتحدٍّ وقد اختفت الدموع من عينيها فجأة.

وقف شعر هريرة فورًا: «**هل سمعتم ما قالته؟ مَن تقصدين بهذا الكلام يا عديمة الأصل يا مَن لا نعرف لك نسبًا ولا أهلًا؟**».

- **«أنا عديمة الأصل؟ هل تعيبين عليَّ أني يتيمة وغريبة وليس لي سند أو قريب أو حبيب؟»**. انفجرت زاجلة تبكي.
- **«دعكِ من هذه المسرحية يا حياتي، ربما الذكور هنا ستنفع معهم مسرحياتك، لكن ليس معنا نحن»**.
- **«اسمعي يا زاجلة، نعم أنا قطة أرستقراطية ومهذبة وبنت أصول، ولكن تأكدي، عند الحاجة سأكون قطة ابنة شارع وتتعامل معكِ كما يليق بكِ، لذا فاحذري شرّي»**.

انسحبت زاجلة قليلًا وقالت بصوت غليظ مختلف عن صوتها الذي تتحدث به عادةً: «**وهل تتوقعين أنك ستصبحين قطة ابنة شارع دون أن أتحول أنا إلى نسرٍ بمخالب؟ لا تهددينني فأنتِ أضعف من ذلك**».

بُهت الجميع من تغيُّر لهجة زاجلة وصوتها فجأة! ثم تدخل الضرس والقصواء ليفضّا النزاع.

- **«لا تجعلا خلافاتكما تنسيكما السبب الذي اجتمعنا عليه، يا زاجلة.. تذكري القضية السامية...»**. قال الضرس.
- **«سامية مجددًا... مَن يُعرفني إليها يا حياتي؟»**.

11

- «**ما الذي فعلته يا رجل؟**». قالت أروى لزوجها عقبة.
- «**ماذا فعلت؟ عليكِ أن تفخري بزوجك الشجاع الذي لا يخاف شيئًا**».
- «**يا للعار. أريد أن أدفن رأسي في رمال الصحراء خجلًا مما فعلته يا عقبة. سَوّد الله وجهك كما سَوّدت وجهي اليوم**».
- «**ما لكِ يا امرأة! أنا اليوم أرجل وأشجع رجل في قريش، أنا اليوم مَن أعاد لمكة هيبتها ولقريش كرامتها**». قال عقبة بفخر.
- «**أنتَ اليوم عار على بني عبد شمس كلهم، لم يبقَ لي كرامة ولا هيبة بين الناس بعد فعلتك، كيف طاوعتك نفسك على هذا الفعل الجبان الخسيس؟ كيف ترمي هذه الأوساخ على محمد وهو يصلي في الكعبة؟ هل هذه رجولتك؟ أن تهاجم رجلًا وهو يصلي؟**».
- «**هذا الرجل تهجّم على آلهتنا وما عبده آباؤنا وفرّق بين الأب وابنه والأخ وأخيه، ماذا تريدين أن أفعل له؟**».

- «واجهه، تحدث معه، خاصمه واختصم معه، لكن أن يكون ساجدًا على الأرض وتأتي بأحشاء ناقة وبقاياها، تحملها كل المسافة من حيث كانت إلى الكعبة، فقط لكي تلقيها على ظهره وهو ساجد، يا لك من جبان، يا لك من خسيس».
- «اخرسي يا امرأة، هذا ما يستحقه».
- «شاهدت فاطمة بنت محمد وروت لي ما فعلته، طفلة صغيرة جاءت لتزيل الأذى عن أبيها وتدعو عليكم، أين أذهب بوجهي منها ومن خديجة؟ بل من محمد نفسه!».
- «نال ما يستحقه».
- «انظر في عيني وقُل لي، بحق كل ما تقدسه، هل كانت الفكرة فكرتك أم أنهم أخبروك أن تفعلها، وفعلت ما أمروك به كخادم تافه؟».
- «ما هذا الكلام؟ أنا لا أطيع أحدًا ولا أسير خلف أحدٍ، الفكرة فكرتي ولكنها أسعدتهم واستمتعوا بها».
- «قل معي إذن: تحترق عظام أبي معيط في قبره إن كنت أكذب».
- «ما هذا! طبعًا لن أقول شيئًا كهذا، هل جننت؟!».
- «إذن أنت تكذب. مَن قال لك أن تفعل هذه الفعلة؟ أمية بن خلف مجددًا؟».

تراجع عقبة إلى الخلف: «ماذا تريدين مني؟».

- «مَن؟». قالت أروى بحدة.

- **«أبو جهل وأمية وأُبَيّ ابنا خلف.. قالوا لي إني لم أفعل شيئًا ضد محمد بينما فعلوا هم.. وقالوا لي إن عليَّ أن أثبت موقفي.. وأشاروا عليَّ بأحشاء الناقة».**
- **«يا لتفاهتك.. ما رضوا لأنفسهم أن يدنسوا أسماءهم بفعل دنيء، وجعلوك تركض لتفعله».**
- **«ماذا تريدين أن أفعل؟ كنت سأخسرهم لو لم أفعل ذلك، ما كانوا سيتحدثون معي أو يُجلِسونني معهم.. هل تريدين أن أخسرهم؟».**
- **«هل تعتقد أنهم يحبونك عندما يجعلونك تفعل ما لا يفعلون؟ يا لك من إمعة».**
- **«أعرف، لا يحبونني، لا أحد يحبني، أنا لا أحد يحبني».**

أخذ عقبة يبكي وحاول أن يحتضن أروى.

لكنها دفعته.

- **«كفى، كنت أشفق على ضعفك سابقًا، كنت تثير عطفي، الآن؟ لا شيء سوى القرف، أنت مثير للاشمئزاز».**

حكت هريرة كل هذا بإتقان في الاجتماع، كانت تمثل ما حدث كما لو كان مشهدًا مسرحيًّا.

الكل كانوا قد سمعوا بما فعله عقبة من رمي القاذورات على النبي بينما هو يسجد في الكعبة.

لكن هذه الكواليس التي تحدثت عنها هريرة كانت مجهولة تمامًا بالنسبة إليهم. لم يكونوا يعرفون أن أبا جهل وأمية وشقيقه هم الذين أشاروا على عقبة أن يفعل ما فعله.

- **«لكن هذا ليس كل شيء يا سادة يا كرام، لم ينتهِ المشهد هنا»**. قالت هريرة.
- **«ماذا حدث؟»**.
- **«القطة منا عليها أن تفعل ما يجب أن تفعله، من أجل المصلحة العامة»**.
- **«ماذا فعلتِ يا حياتي»**.
- **«لا عليك، المهم أن عقبة استيقظ فجرًا ليجد نفسه غارقًا في البول، اعذروا لغتي، صرخت أروى مشمئزة وقالت له لا بد أن محمدًا قد دعا عليك أيضًا، صدق وارتعب، ثم بطريقة ما قرر أن هذا السائل لا يعود له، بل لي، وقال لأروى أن تطردني، فرفضت.. فقال لها: إما أنا، وإما هريرة»**.
- **«ماذا أجابته؟»**.
- **«ماذا تظنون، لم تفكر، لم ترمش عيناها، قالت له: هريرة طبعًا»**.

صفقت دجانة وسريعة والقصواء.

لكن هريرة قالت لهم: **«وفروا تصفيقكم للنهاية»**.

- **«جمعت له ملابسه وحاجياته ورمتها في وجهه، وقالت له قبل أن يخرج: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله)»**.

علت الصيحات والضحكات والصفقات. احتضن الجميع فيما بينهم، لكن كانت دجانة بالمرصاد كيلا يحتضن يقظان زاجلة.

بعد أن هدأ كل شيء، قالت زاجلة: «**لكن لدي ملاحظة بسيطة، عقبة هذا ضعيف الشخصية، ويمكن جدًّا أن يكذب، إذن لا داعي لتصديقه فيما يقوله إن أبا جهل هو المحرض على هذا الفعل، أبو جهل لا يمكن أن يفعلها**».

نظر الجميع إلى بعضهم بعضًا. نظريًّا كلامها صحيح، عقبة شخص تافه، لكن ما مصلحته في الكذب هنا، وما الموقف الذي قدمه أبو جهل بحيث يكون كلام زاجلة صحيحًا؟

قالت لها هريرة: «**زاجلة، إن أحببتِ ألا تنامي اليوم في معدتي، فاسكتي تمامًا. ولا كلمة**».

- «**كيف تسلل كل هؤلاء من مكة دون أن يشعر بهم أحدٌ**». قالت القصواء.
- «**نعم، عدد كبير، وفيهم من أهم عشائر قريش، بل فيهم ابنة أبي سفيان نفسها، وعثمان ورقية، ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم.. كل هؤلاء تفقدهم مكة في ليلة واحدة**». قالت سريعة.
- «**مِن المنطقي أنهم خرجوا متخفين.. تعمدوا ذلك كيلا يلحق أحدٌ بهم**». قال الضرس.
- «**أين يتجهون يا ترى؟**». قالت هريرة.
- «**قال متعجرف: إن أبا سفيان عازم على اللحاق بهم وإرجاعهم، وإنه ينوي أن يخرج اليوم مساء أو ربما غدًا في الفجر لكي يلحق بهم هو وثلاثة فرسان من قريش**». قالت سريعة.
- «**هل سيلحق بهم؟ خرجوا أمس الفجر.. أو أول أمس ليلًا على أبعد تقدير، لا بد أنهم قطعوا مسافة الآن**». قال يقظان.

- «**نعم، هو ومَن معه على الخيل، وهم على الإبل، يستطيع أن يلحق بهم**».
- «**هل يعرف أحدٌ منكم أين وجهتهم؟**». قالت زاجلة.
- «**لا أحد يعرف يا حياتي**». قالت دجانة.
- «**للأسف لم يتركوا عناوينهم.. الذي يخرج متخفيًا لا يفعل ذلك عادة**». قالت هريرة بسخرية وقلبت عينيها إلى الأعلى.
- «**الأمور تتجه إلى التصعيد، بغض النظر عن وجهة المهاجرين، فهذا إحراج إلى مكة، لا أعتقد أن أبا سفيان لديه فرصة في الوصول إلى الحل الوسط**». قال الضرس.
- «**الحل الوسط؟ هل سيقبل محمد أصلًا به؟**». قالت القصواء.
- «**لا، لكن بقية سادات مكة لن يسمحوا له بتقديم أي عرض لمحمد، أصبحت الأمور الآن صراعَ بقاءٍ، لا أظنهم يتراجعون، أبو جهل وأبو لهب وأمية، لا يمكن لهم أن يقبلوا بمحاولات أبي سفيان للتهدئة، حتى لو سانده فيها عتبة والد هند**». قال الضرس.
- «**أبو جهل ليس معهم صدقوني، هو أكثر قربًا لمحمد من الجميع**». اعترضت زاجلة.
- «**تعالي هنا يا حياتي.. ما قصتك مع أبي جهل؟ هل أنت عاشقة له؟ لم أسمع بحمامة تعشق إنسيًّا! لكن كل شيء جائز في آخر الزمان الذي نعيشه هذا، ما قصتك يا حياتي؟**». قالت دجانة.

- «**هل تتهمينني في شرفي وسُمعتي يا أخت دجانة؟ لم يكن هذا العشم قط، سامحك الله**». قالت زاجلة وهي تغالب دموعها.
- «**تعشقين أنتِ الدموع والدراما، تتحينين الفرص لاستعراض قدرتك على البكاء، سألتك عن سر دفاعك عن أبي جهل الذي لا نرى منه إلا كل شر وتجعلين منه ملاكًا مُنزلًا، حوَّلتِ الأمر إلى شرف وسُمعة ومظلومة يا ناس مظلومة وبريئة لكن متهومة**». قالت دجانة بتهكم.
- «**كفوا عن هذه المشاجرات الآن.. علينا أن ننتظر ما يحدث، المُنتصر هنا بين سادات مكة هو مَن سيُرجِع المهاجرين طوعًا أو كرهًا. رغم أن الأخبار تشير إلى أن المهاجرين ذهبوا في طريقهم إلى الحبشة، فإني سمعتُ من مصادر خاصة جدًّا أنهم اتجهوا إلى البحرين، شرق الجزيرة**». قال الضرس.
- «**البحرين؟ ماذا يفعلون هناك؟**». قالت القصواء مستغربة.
- «**مركز كنيسة المشرق هناك، وقد تُقدِّم لهم الحماية، خاصة أن القبائل هناك لا تربطها مصلحة تجارية مع قريش**». قال الضرس.
- «**تبًّا لقريش، أما كان يمكن لها أن تؤمن بالله بدلًا من كل هذا الذي يحدث الآن**». قال نبّاح.
- «**إن غدًا لناظره قريب**». قالت سريعة.
- «**ماذا يعني هذا يا حياتي**». قالت دجانة.
- «**لا عليكِ**». رد عليها الضرس.

- «صحيح، ما أخبار سامية وقضيتها، منذ مدة لم يتحدث عنها أحد يا حياتي؟».

فجرًا انطلق أبو سفيان مع ثلاثة فرسان آخرين نحو الساحل لكي يلحق المهاجرين قبل ركوبهم البحر للوصول إلى الحبشة، لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى أخذت خيول الفرسان تتصرف بغرابة، كما لو أنها قد اتفقت على أن تتصرف كما لو كانت ثملة في وقت واحد. لم يصدق أبو سفيان عينيه وهو يرى فرسه المفضلة (دهماء) وهي تدور حول نفسها مثل كلب يطارد ذيله، وهو الشيء ذاته الذي فعلته الخيول الأخرى في المجموعة التي خرجت معه. ثم فجأة، توقفت الخيول عن الرقص والدوران، وتظاهرت جميعها بالموت. كان أمرًا لم يرَ أبو سفيان مثله في حياته، ولا سمع به، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الفرسان معه. الخيول جنّت. لم يعرف أحدٌ قبل هذا أن الخيول تجن مثل البشر، وأن جنونها يمكن أن يكون جماعيًّا.

ثم فجأة، انتهت نوبة الجنون وعادت الخيول إلى طبيعتها كما لو أن شيئًا لم يكُن. أخذ أبو سفيان يصفق يدًا بيد. لم تنتهِ نوبة الجنون إلا بعد أن أفسحت وقتًا كافيًا للمسلمين لكي يكونوا في عرض البحر. وعندما وصل فرسان قريش إلى ميناء جدة، تأكدوا من أن وجهة المسلمين كانت الحبشة. وعلموا أنهم كانوا على وشك أن يلحقوا بهم، لولا نوبة جنون الخيول الجماعية.

كان غيظ أبي سفيان من الخيول عظيمًا، ولولا حاجته لها للعودة إلى مكة، لأمر بذبحها جميعًا، ولكنه بقيَ يتوعدها بالذبح طيلة الطريق، وعندما عاد إلى مكة كان قد هدأ وتبخر غضبه.

يومها أَسرَّ لهند قبل أن ينام: «**ما حدث كان غريبًا، كما لو أن هناك قُوى تتحكّم بالخيول وتمنعنا من الوصول إلى أتباع محمد، شيء غير مفهوم!**».

أما هند فقد قالت له أن يتغطى جيدًا.

في صباح اليوم نفسه، كان الضرس قد وضع عيونًا لتراقب بيت أبي جهل. كان يريد أن يتحقق من شيء في ذهنه.

وتأكد منه.

قررت قريش أن هجرة المسلمين إلى الحبشة، واللجوء عند ملك الحبشة، النجاشي، أمر لا يمكن أن يمر دون عقوبة ورد فعل مناسب لجرم تعريض مكانة وهيبة مكة إلى الأذى عند ملك صديق مهم مثل النجاشي.

كانت الخطة أولًا هي أن تسترد قريش أتباع محمد من النجاشي عبر طلب ذلك منه، وتسليم المَلِك المسلمين لقريش سيكون ضربة كبيرة لأتباع محمد.. الرسالة ستكون واضحة: أينما فررتم، سنصل إليكم، وسنأتي بكم.

جهزت قريش وفدها المتجه إلى النجاشي بهدايا غالية ونفيسة تليق بمكانة الملك وبأهمية الطلب وحساسيته، كلفت هذه الهدايا أثرياء

قريش ثروة طائلة، ذهب وحرير وعطور وتوابل وبخور، لكن لا بأس. الخسارة ستكون أكبر لو تمكن محمد من الانتصار بدعوته.

ترقب أهل مكة عودة الوفد، بين متلهف يريد أن يرى الوفد وقد عاد خاليًا وقد فشل في مَهمته، وخسر الهدايا أيضًا، وبين حاقد يريد أن يرى الوفد يجر أتباع محمد ليتشمت بهم.

حمدًا لله، عاد الوفد خاليًا، ذهب بالهدايا التي كلفت (قريش) ثروة، فعاد من دونها، ومن دون أتباع محمد أيضًا. خسرت قريش عدة مرات، هرب منها أتباع محمد وأقنعوا النجاشي بقضيتهم، فرفض أن يسلمهم، وخسرت كرامتها وهيبتها بعد أن رفض النجاشي طلبهم.

وأخيرًا خسرت الأموال التي أنفقتها على هدايا النجاشي، دون فائدة.

قالت أم جميل لزوجها أبي لهب: «**يا رجل، كُف عن البكاء مثل الثكلى المفجوعة، لقد ولولت على ضياع أموالك في هدايا النجاشي أكثر مما فعلت عندما أكل الأسد ابنك**».

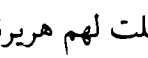

ضحك الجميع عندما نقلت لهم هريرة ما قالته أم جميل.

قال الضرس: «**لكن لا أعتقد أن (قريش) ستكتفي بالولولة على ما حدث، غالبًا ستفعل ما هو أكثر بكثير**».

ـ «**ماذا سيفعلون يا ترى؟**». قالت القصواء.

ـ «**ما رأيك يا زاجلة؟**». قال الضرس.

تفاجأت زاجلة: «**أوه، إنه لشرف لي أن تسألني أنا عن رأيي، لا أعرف شيئًا في هذه الأمور يا أستاذي، أنا مجرد حمامة تنقل لكم ما تراه في بيت أبي جهل، لكني سعيدة جدًّا بأنك مهتم بمعرفة رأيي، هذا وِسامُ شرفٍ أضعه على صدري**».

- «**وِسامُ شرفٍ أضعه على صدري**». قالت دجانة وهي تقلد أسلوب زاجلة في الحديث.

«**تذكَّري أنكِ أقسمتِ ألا تردي اليوم عليها**». قالت هريرة بصوت منخفض وهي تحدث نفسها وتكرر ما تقوله.

- «**ولكن ما رأي حضرتك؟ ماذا ستفعل قريش؟**». قالت زاجلة للضرس.
- «**لا أعرف، كل شيء وارد**». قال الضرس.
- «**يقول متعجرف: إن أبا سفيان محبط، ويخشى أن مكانته في مكة قد تأثرت بفشله في الحبشة، لا المطاردة نفعت، ولا المساومة، وهذا سيهبط من أسهمه ويرفع من أسهم الآخرين**». قالت سريعة.
- «**مَن الآخرون؟ مع مَن يتنافس أبو سفيان؟ على الأقل في تصوُّره**». سأل الضرس.
- «**الرجل الغامض بسلامته لا يتحدث أبدًا بصريح الأسماء، هند تُسمِّيه أحيانًا أبا الهول**». قالت سريعة.
- «**مَن أبو الهول يا حياتي؟**». قالت دجانة.
- «**هو زوج أم الهول، قريبة هند بنت عتبة، لم يكُن يتحدث قط مع زوجته**». قالت هريرة وهي تخفض أذنيها وتلف ذيلها حولها.

- **«كل الرجال أبو الهول، خصوصًا عند الحاجة إليهم يا حياتي»**. ردت دجانة.
- **«مَن ينافس أبا سفيان مثلًا؟ أو مَن ينافسه أبو سفيان؟ أبو جهل أولهم، ربما أيضًا أمية بن خلف، أو العاص بن وائل، لكن بالتأكيد ليس أبا لهب، ولا عقبة»**. قالت القصواء.
- **«ما لكم وأبو جهل؟! ماذا رأيتم منه؟»**. قالت زاجلة.
- **«كل شر، قتل سُمية وزوجها وعذّب ابنها بيديه، وحرَّض عقبة على إلقاء القاذورات على النبي، والتعرُّض له كلاميًّا في كل مناسبة»**. قالت القصواء.
- **«موضوع سُمية كان حادثًا، قضاء وقدر. هل تعترضون على قضاء الله وقدره؟ ثم إنه ندم جدًّا على الأمر. تحريضه على إلقاء القاذورات كذبة من عقبة، تعرُّضه كلاميًّا للنبي ليس سوى تمثيلية أمام رجال قريش لكي يخفي تعاطفه مع محمد»**. قالت زاجلة.
- **«يقول المثل: مجنون يحكي، وعاقل يسمع، ويقول مثل آخر: الله ما شاهدوه بالعين، عرفوه بالعقل»**. قالت سريعة.

«**أقسمت ألَّا أرد عليها**». كررت هريرة مع نفسها بصوت منخفض.

- **«يا جماعة، فلنحسن الظن، ربما تكون زاجلة على حق، أشققتم عن قلب أبي جهل؟ ربما هو مؤمن أكثر مني ومنكم»**. قال الضرس.

التفت الجميع إليه مدهوشين.

نفخت هريرة على الضرس فورًا. وقالت دجانة: «**هل سحرتك زاجلة أنت أيضًا؟**».

قالت القصواء: «**هل هذا ما يقولون عنه «الكاميرا الخفية»؟ صحيح؟ صحيح يا ضرس؟**».

- «**لا أقول سوى فلنحسن الظن، فلننتظر، ربما يكون ما تقوله زاجلة صحيحًا، هل تعرفون كم سنربح لو أن أبا جهل أعلن إسلامه!**». قال الضرس.
- «**هل أنت بخير يا ضرس؟ حرارتك مرتفعة؟ أجلب لك شيئًا لتأكله؟**». قال نبّاح.

فجأة ضحك يقظان وأخذ يتمرغ على الأرض من الضحك.

- «**لماذا لا تضحكون يا جماعة؟ مؤكد أن الضرس يمزح، هذه نكتة، أليس كذلك يا ضرس؟**».
- «**نكتة سخيفة ولا طعم لها**». قالت هريرة وهي تنظر إلى الضرس بنصف عينها.
- «**لا طبعًا، أنا جاد، علينا أن نحسن الظن، ربما يكون قد قتل سُمية، لكن ربما يكون أيضًا قد تاب، لا نستطيع أن نحكُم عليه**». قال الضرس.
- «**هذا ما كنت أقوله.. وحدك تفهمني يا عزيزي الضرس**». قالت زاجلة بغنج.

فجأة سمع الجميعُ أصواتًا في الخارج.

قال الضرس: «**اذهب يا نبّاح واستطلع الأمر، ربما يكون أبو جهل قد أعلن إسلامه، وبهذا يكون النقاش قد حُسِم**».

قال هذا وهو ينظر مبتسمًا إلى زاجلة التي تطلعت بقلق إلى الباب.

عاد نبّاح وآثار الحماس على وجهه، بدا كما لو أنه قد صغر وعاد جروًا صغيرًا يلعب.

- «**لن تصدقوا ما حدث!**».
- «**ماذا؟**».
- «**هل أسلم أبو جهل؟**».
- «**لا، لقد أسلم عمر!**».

«**عمر بن الخطاب؟**». قال الجميع بصوت واحد تقريبًا.

- «**نعم، عمر بن الخطاب**».

ما حدث بعدها كان مثل السحر، مثل ألعاب نارية أنارت السماء، كل شيء أصبح مفرحًا ومضيئًا فجأة. الجملة التي قالها نبّاح جعلت النور يتسرب من عيون الجميع.

عمر بن الخطاب أسلم، عمر القوي الشديد، صاحب الرأي واللسان والعقل. شعر الجميع أن كل شيء سيتغير الآن. لم يكُن عمر من سادة قريش لأن نادي سادة قريش كان مغلقًا على عشائر معينة تملك الثروة والقوة، أما عمر فقد كان من واحدة من العشائر الفقيرة، لكنه كان قوي الشخصية، لا يهاب أحدًا، كانت له هيبة مختلفة عن الجميع.

أدرك الجميع أن هذه كانت لحظة فارقة.

كانوا في أقصى الفرح، وكانت زاجلة تبكي..

من الفرح طبعًا.

١٣

قالت هريرة: «**إنسانتي أروى ذهبت إلى فاطمة بنت الخطاب لتعرف منها ما حدث فعلًا مع شقيقها عمر، ولن تصدقوا ما حدث!**».

- «**ماذا حدث يا حياتي؟**».
- «**ذهبت معها.. وسمعت كل شيء من فم فاطمة نفسها، دعوني أخبركم أولًا بما قالته، تقول: إنها كانت تقرأ في القرآن مع زوجها، وسمعت فجأة صوت عمر على الباب، وطبعًا هي تخاف منه أن يعرف أنها أسلمت هي وزوجها، لذا فقد حاولت أن تخفي القرآن، وتتصرف على نحو طبيعي، لكنه كان قد جاء بعد أن سمع وشاية عنها.. قيل له إنها أسلمت هي وزوجها فجاء وهو ينوي أن يقتلهما إن تأكد الأمر، لم يحتمل أن يصل الأمر إلى أهل بيته، ويبدو أنه سمعهما وهما يتلوان القرآن، فلم يقتنع بتصرف فاطمة بأن كل شيء طبيعي وربما بان ارتباكها، فواجهها مباشرة بسؤال إن كانت قد تركت دين الآباء، فلم تنكر بل وقفت بوجهه وقالت له إن عليه هو أن يؤمن أيضًا، لم يكترث لها**

وأراد أن يضرب زوجها فوقفت بينهما وتلقت الضربة، فاطمة ليست قليلة قط، وقفت بوجهه وتحدته، قالت له إن مَن هو في عقله لن يبقى على الأصنام لمجرد أن أجداده عبدوها.. تحدته، وقبل التحدي، وطلب أن يقرأ من القرآن».

سكتت هريرة كما لو كانت تريد أن تثير شوق السامعين.

- **«وهل أعطته من القرآن ليقرأ فيه؟»**.
- **«تخيَّلوا! لم تعطِه. قالت له أنت نجس، اذهب واغتسل أولًا.. قالتها له بقوة. يعجبني أن الإيمان جعل النساء يكتشفن قوتهن»**.
- **«ولم يضربها عندما قالت له أنت نجس؟»**. سألت القصواء.
- **«لا، لقد ذهب واغتسل، وعاد ليقرأ»**. قالت هريرة.

سكتت هريرة.

- **«هريرة، دعي فواصل التشويق هذه، ماذا حدث؟»**. قالت القصواء.
- **«آيات فقط، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»**. قالت هريرة وصوتها يكاد يختنق تأثُّرًا.

«الله أكبر». ترددت الكلمة بين الجميع.

قالت سريعة: **«يحتاج هذا الموقف إلى موسيقى تصويرية مناسبة للحدث، هذه اللحظات مؤثرة جدًّا بالنسبة إليَّ، تُذكِّرني بما كانت تقوله لي جدتي عن بناء سفينة نوح»**.

- **«لكن كيف يحدث شيء كهذا؟ كيف يتغير شخص لهذه الدرجة في ثوانٍ؟»**. سأل نبّاح.

- **«غالبًا، كان لديه صراع نفسي قوي بين الإيمان بالنبي، وبين ما يعبده الأجداد، وفي لحظة الصراع، جاءت مواجهة فاطمة وتحديها له، ثم آيات القرآن، فكان أن تغير كل شيء.. يبدو أنه في ثوانٍ، لكن هو نتيجة لأحداث متراكمة في داخله»**. قال الضرس.
- **«دعكم من هذه التفسيرات والفلسفات، لم أقل لكم بعد أهم ما في الأمر»**. قالت هريرة.
- **«هل هناك ما هو أهم من كل ذلك؟»**. سألتها القصواء.
- **«نعم، قبل أن نخرج أنا وإنسانتي دخل عمر!»**.
- **«شاهدتِه عن قرب يا حياتي؟»**.
- **«وربّت على رأسي!»**.
- **«يا حياتي، عمر أمسكك بيده، وضع يده على رأسك؟!»**. ورسمت علامة القلب بجناحيها.
- **«احتشمي يا دجاجة»**. صرخ بها يقظان.
- **«مكة مقلوبة رأسًا على عقب بسبب إسلام عمر، الناس ليس لها حديث إلا هذا»**. قالت القصواء.
- **«لم يحدث هذا حتى مع إسلام حمزة، رغم أنه ليس أقل مكانة ولا قوة من عمر»**. قال يقظان.
- **«الأمر مختلف، حمزة عم النبي، الناس تتوقع أن يكون للقرابة أثر في إسلامه»**. صهل الضرس.
- **«ليس هذا فقط يا ضرس، هناك ما هو أهم بكثير»**. قالت القصواء، ثم أكملت:

«عمر هو أول مَن يسلم وقد كان في الطرف المُعادي لمحمد، أول مَن ينتقل في موقفه، كل مَن أسلم قبل عمر أسلم بعد أن اقتنع بمحمد وفكر بما قاله، عمر كان شديد العداء لمحمد، وفجأة آمن! هذا يعني أن كل مَن نراهم اليوم في المعسكر المُعادي يمكن أن يؤمنوا».

- **«هذا ما كنت أقوله لكم، قد تبدو الأمور في قلوب البعض مختلفة عن ظاهر ما نرى»**. قالت زاجلة.
- **«وما أخبار رقيق القلب لطيف الخلق فتى الشاشة الأول يا حياتي؟»**. قالت دجانة لزاجلة.
- **«أبو جهل فرح جدًّا بإسلام عمر، أتوقع أن يعلن هو الآخر إسلامه في أي لحظة»**. قالت زاجلة بارتباك.
- **«على العكس، سمعنا أنه شارك في ضربه عندما تجمع الناس عليه بعد أن دخل الكعبة وأعلن إسلامه فيها»**. قالت القصواء.
- **«نعم، يحاول أن يوهم سادات قريش أنه معهم لأنه يتحين الفرصة لكي يشهر إسلامه»**. قالت زاجلة بينما كانت هريرة ودجانة تتهامسان وتضحكان بينهما.
- **«كنت أعتقد أن مثل (أخرق من حمامة) يقال لأن الحمام يبني أعشاشه في اتجاه الريح، لكن يبدو أن الخرق أكبر من هذا»**. قالت سريعة.
- **«هل شاهدتم المسلمين يُصلُّون أمس في الكعبة، شعروا أن وجود عمر سيحميهم فصلُّوا لأول مرة علنًا»**. قال نبّاح.

- «**كان مشهدًا مؤثرًا بالفعل**». قالت دجانة.
- «**سمعت بالأمر، وأردت أن أشاهده، لكن عندما خرجت من دار الندوة كانت الصلاة قد انتهت فعُدت**». قالت سريعة.
- «**فيهم مَن لم نكن نعرف أنهم مسلمون أصلًا، تشجعوا وأظهروا الأمر مع إعلان عمر**». قال نبّاح.
- «**خلال أيام، سيسلم كل مَن كان مترددًا في الإسلام، بعدها، لا نعرف ماذا سيحدث**». قال الضرس.

مكتبة
t.me/t_pdf

١٤

- «**ماذا يحدث في مكة يا ضرس؟ أشعر أن ثمة توترًا غير طبيعي؟**». قالت سريعة.
- «**نعم، محمد لم يظهر منذ الصباح، عمه قلق عليه، لا أحد يعرف أين ذهب، لا خديجة ولا علي ولا زيد**». قال الضرس.
- «**هل يعقل أن يكونوا قد خطفوه؟ أو آذوه؟**». قال يقظان.
- «**اسكت يا غراب الشؤم يا حياتي**». ردت عليه دجانة.
- «**سمعتُ أم جميل تُحقق مع أبي لهب، أكَّد وأقسمَ لها بكل أصنام الكعبة أنه لا يعرف شيئًا عن الأمر**». قالت هريرة.
- «**متعجرف قال: إن أبا سفيان قلق أيضًا، وقال لهند إذا كان هناك من آذى محمدًا فلن يكون سوى أبي جهل**». قالت سريعة وهي تنظر إلى زاجلة بنظرة ذات مغزى.
- «**توء توء توء. لا حول ولا قوة إلا بالله. كيف ترمون التُّهم هكذا؟ أبو جهل مريض بالحمى منذ ليلة أمس ولم يغادر فراشه**». قالت زاجلة بحزن.
- «**مريض؟ يا حياتي.. ألف سلامة عليه**». ردت دجانة.
- «**وعتبة؟**».

تنحنح نبّاح ثم قال: «**هناك أمر مهم مع عتبة، كنت أريد أن أخبركم به، لكن غياب النبي اليوم والتوتر الذي حدث منعني**».

«**ماذا حدث؟**». اتجه الجميع إليه بأنظارهم.

- «**أرسله كِبارُ سادات قريش ليفاوض محمدًا، قال له فرّقت بين الأب وابنه وفضحتنا بين العرب، ثم عرض عليه أن يُزوِّجوه بأجمل نساء قريش ويجعلوه أغنى رجل في مكة، على أن يكف عن دعوته**».

«**وماذا رد عليه؟**». اقتربوا جميعًا منه.

- «**قرأ عليه شيئًا من القرآن، شيء انتهى بصاعقة ثمود، وفزع عتبة وعاد إلى سادات قريش وقال لهم لم أفهم شيئًا غير أنه يتوعدنا بصاعقة، عاد بعدها عتبة إلى المنزل وروى ما حدث إلى زوجته ونام وهو يرتعد من الخوف**». أكمل نبّاح.

- **هل لهذا كله علاقة يا ترى بغياب النبي اليوم؟ هل تعرضوا له بمكروه يا ترى؟**». قال يقظان.

- «**قلت لك اسكت يا غراب الشؤم**».

فجأة علت الأصوات في مجلس دار الندوة.

قالت هريرة: «**ما الذي يحدث؟ ليس هذا وقت اجتماعهم**».

أشار الضرس للجميع بعدم إصدار أصوات كيلا ينتبه لهم أحدٌ.

كانت هناك أصوات حوار مرتفع الحدة قادمة من المجلس الرئيسي لدار الندوة.

أشار الضرس لهريرة: «**اقفزي على النافذة بهدوء وأخبرينا ماذا يحدث**».

قالت هريرة: «**لن أستطيع القفز اليوم، لدي تشنُّج في عضلات الساقين بسبب التمارين الصباحية، أريد أن يرفعني أحدٌ إلى النافذة**».

- «**تشنُّج في عضلات الساقين يا حياتي أم في عضلات البطن بسبب حصة عقبة من الطعام التي أصبحت لك بعد طرده**».
- «**قلبك أسود يا دجانة، عيناكِ على طعامي**».

قامت القصواء برفع هريرة ووضعها على النافذة ثم خفضت رأسها بسرعة.

- «**حسنًا، أرى الجميع؛ أبو لهب، أمية، أبو جهل، لا يبدو مريضًا كما ادّعى البعض بل هو يقف أمامي كالدُّب، عتبة يبدو أنه هو المريض، عقبة يرتدي قفطانًا أحمر يبدو فيه كالمُهرج، كانت زوجته تمنعه من ارتدائه، أبو سفيان يرتدي ثوبًا حريريًّا طبيعيًّا أظنه هندي المنشأ.. موشى بخطوط زرقاء في الجانبين**».
- «**هريرة، هل جننتِ؟ هذا ليس عرضًا للأزياء كي تنقلي لنا ماذا يرتدي كلٌّ منهم، ماذا يحدث في المجلس؟**». قال الضرس.
- «**آه آسفة، الجمال في كل شيء يجذبني، لا أستطيع المقاومة، حسنًا، دخل الآن توًّا أبو طالب.. معه شباب كُثُرٌ لا أعرف كل أسمائهم، لكن يُخيَّل لي أنهم من بني هاشم.. أبو طالب يتكلم بحدة، يقول إذا حدث شيء لابن أخي، لم أسمع بقية الجملة، أبو جهل رد عليه بشيء لكن لم أسمعه**».

شهقت هريرة بفزع فجأة، ووقف شعر جسدها كله.

- «**ماذا هناك يا هريرة؟ ماذا حدث؟**». همس الضرس لها.

أدارت هريرة وجهها وجسمها لا يزال متخشبًا.

قالت بصوت مختنق: «**الشباب الذين مع أبي طالب...**».

- «**ما بالهم؟**».
- «**أخرجوا سيوفًا من ثيابهم، وشهروها**».

شهق الجميع.

قالت دجانة: «**أرى أن ننسحب كلٌّ إلى بيته يا حياتي**».

- «**ما رد فعل قريش؟**». سأل الضرس.
- «**جمدوا جميعًا، يُذكِّرني بالهررة الذين يطاردونني في الشتاء**».
- «**هل لدى قريش سيوف أيضًا؟**».
- «**نعم، أيديهم عليها ولكن لم تُشهَر بعد**».

أطلقت هريرة صرخة بينما علا صوت قادم من المجلس.

- «**ماذا حدث؟**».
- «**دخل محمد فجأة وبدا مدهوشًا لما يحدث، ركض له أبو طالب واحتضنه، يبدو أنه يسأله أين كان، الآن السيوف رجعت إلى أماكنها، شباب بني هاشم ينسحبون، أبو طالب يقول شيئًا، وأبو جهل يرد عليه، أبو سفيان يحاول أن يُهدّئ الأمور، خرج محمد وعمّه، بقيَ رجال قريش ووجوههم مصفرة.. لا، الآن محمرة.**

أبو جهل يقول شيئًا لم أسمعه، لكني عرفت ماذا يقول من حركة شفتيه».

- «**ماذا قال؟**».
- «**قال: لا بد أن نحاصر كل بني هاشم**».

١٥

أصرت زاجلة أن قراءة هريرة لشفتيْ أبي جهل لم تكُن دقيقة، وأنها عندما رجعت إلى البيت سمعته يقول لزوجته (فلوة) إنه قال لسادة قريش: «**لا بد أن نتصالح مع بني هاشم**».

ذهبت زاجلة لكل واحد منهم على حدة، عدا دجانة وهريرة، وشرحت له أن أبا جهل يتعرض لمؤامرة من قبل أطراف خارجية لا يستبعد أن تكون هريرة متورطة فيها.

- «**أروى، سيدة هريرة، تغار من السيدة فلوة زوجة أبي جهل، لأنها أجمل منها وأكثر رشاقة ولأن زوجها هو أبو جهل، بينما زوج أروى تافه وطردته من البيت، هناك مَن لديه مصلحة في تشويه سمعة أهم رجل يمكن أن يساعد في نشر الإسلام في مكة، أبو جهل**». قالت زاجلة بمنتهى الجدية.

«**لا أستطيع أن أتهم أحدًا، لكنه شخص متآمر شرير، ربما أكثر من شخص، كل ما أستطيع تأكيده هو أن هناك مؤامرة تستهدف أبا جهل وسُمعته، أولًا موضوع سُمية.. تم استغلال حادث حصل كقضاء وقدر، ثم ثانيًا اتهمه عقبة بأنه حرضه على إلقاء القاذورات على النبي، وعقبة**

كذاب معروف، والآن تتهمه هريرة بأنه يريد أن يحاصر بني هاشم، أنا أتساءل.. لمصلحة مَن هذا التشويه، لمصلحة مَن؟». ثم تنهار بالبكاء في كل مرة تصل إلى هذه الجملة.

الآنسة سريعة تعاطفت مع دموع زاجلة، على الأقل أمامها، وقالت لها: «**إن الله سيظهر الحق مَهما طال الظلم**». الضرس قال لها: «**إنه مقتنع بالفعل بما تقول لكنه يستبعِد توورُّط هريرة في شيء**» القصواء لم تبدُ مقتنعة لكنها جاملت زاجلة. أما نبّاح فقد نبح في وجهها وقال: «**إن أبا جهل هو آخِر مَن يسلم، إذا أسلم أصلًا**».

عندما وصلت الأخبار إلى هريرة أكدت أنها واثقة مما قاله أبو جهل. «**أنا هريرة، أقرأ الممحي وما لم يُكتَب بعد.. لا أحد يقول علينا أن نتصالح مع بني هاشم وهو يكز على أسنانه غيظًا! أما بخصوص الرشاقة والأناقة، فالسيدة فلوة ليست لها أدنى علاقة**».

وشرحت للجميع كيف أن (فلوة) جاهلة بأبسط قواعد الأناقة، وأنها ترتدي «**ستائر المطبخ**» وتضع «**مزهرية**» على رأسها. وتبرعت دجانة بنقل ردود هريرة بالتفصيل إلى زاجلة، بالاتفاق المسبق مع هريرة.

في هذه الأثناء، بينما هريرة وزاجلة تتبادلان الاتهامات، استيقظت مكة على أخبار جديدة.

- «**فرحتِ الآن؟ فرحتِ؟ توقعت أن أراكِ بتسريحة جديدة، أو أن تكوني قد ذهبتِ إلى «أم زفر» الماشطة احتفالًا بما حدث!**». قالت هريرة لزاجلة بعصبية.

قالت دجانة بصوت تقلد فيه زاجلة: «**أبو جهل رقيق القلب، يجب أن نتصالح مع بني هاشم، يطعم القطة اليتيمة بيده الطيبة الكريمة، يا حياتي**».

- «**اتفقوا عليه جميعًا، كان يتوسل إليهم ألا يوقّعوا الصحيفة التي يتفقون فيها على حصار ومقاطعة بني هاشم، لكنهم أصروا وتجاهلوه**». قالت زاجلة بإصرار.
- «**سبحان الله! ولكنه أول مَن وقّع! أول مَن وقّع! أراهن أنه تدافع لكي يوقّع**». قال نبّاح.
- «**عندما أتفق أنا بجلالة قدري ومكانتي كهريرة مع كلب يطارد ذيله مثل نبّاح، فهذا يعني أنه لا يوجد ذرة شك بأن أبا جهل هو رأس المصائب**». قالت هريرة.
- «**دعونا نترك التلاوم الآن، واضح أن زاجلة طيبة القلب وتبالغ بحسن الظن، لكننا الآن أمام مشكلة كبيرة، قريش وقّعت على اتفاق يقاطع بني هاشم وبني المطلب، لا بيع ولا شراء ولا زواج منهم، إلا أن يُسلِّموا النبي إلى قريش لكي تقتله**». قال الضرس.
- «**يا للسفالة! هذه أفعال أبي جهل، بالضبط كما قال في دار الندوة**». قالت هريرة وهي تنظر إلى وجه زاجلة لتحرجها، لكن الأخيرة تجاهلتها تمامًا.
- «**هل سيفعلونها حقًّا؟ كيف يمكن لهم أن يفعلوا ذلك؟ لن يبيع لهم أحد؟ حتى الطعام؟ ولن يشتري منهم أحد شيئًا؟ ولا زواج سيُعقَد بينهم؟**». قال نبّاح كما لو أنه يُفكّر بصوت مرتفع.

- «**إلا أن يُسلِّموا النبي...**». أكمل يقظان.
- «**نجوم السماء أقرب لهم يا حياتي**».
- «**انسحب كل بني هاشم وبني المطلب إلى شعب أبي طالب بين جبل أبي قبيس وجبل الخندمة ليحموا النبي من أي محاولة لإيذائه، يبدو أنهم عازمون على عدم السماح لقريش بالتعرُّض للنبي**». قالت القصواء بهدوء وحزن.
- «**نعم، لكن، سيكون هناك جوع، وسمعت أن (قريش) تحالفت مع قبائل خارج مكة لإحكام السيطرة والمقاطعة، كيلا يتسرب الطعام من خارج مكة**». قال الضرس.
- «**هل رأيتم الصحيفة؟ لقد علقوها في الكعبة! يريدون أن يجعلوها مقدسة**». قالت القصواء.
- «**لم يعجبني الخط قط. خرابيشي أنا ألطف وأجمل**». قالت هريرة.
- «**صحيح يا هريرة.. هل ذهب أبو لهب مع قومه إلى شعب أبي طالب؟**».
- «**أبو لهب! أبدًا. أقام وليمة ليلة أمس احتفالًا بتوقيع الصحيفة، وقال: إن هذه هي الخطوة الأولى الصحيحة على طريق إعادة الأمن والأمان إلى مكة، ذبح الذبائح وجلب المغنية (قريبة).. ارتدتْ فستانَ سهرة ربما كان مناسبًا عندما ارتدته جدتها، وغنت أغاني فيها تعريض بالنبي، ونشزت كثيرًا أيضًا، لكن لم ينتبه لذلك أحدٌ أصلًا، انتهى زمن الطرب الأصيل وأصبح الغناء عملَ مَن لا عمل له، لا موهبة ولا صوت ولا شكل ولا أناقة**».

- **«هريرة، لو أمكن.. نعود إلى موضوعنا».**
- **«نعم نعود طبعًا إلى موضوعنا، موضوعنا.. ماذا كنا نقول؟».**
- **«أبو لهب وموقفه من الصحيفة، ألم يحاول -مثلًا- أن يُلطِّف الأمور كي تُخفف قريش من قبضتها على قومه؟».**

سألها الضرس.

- **«أين تعيش يا ضرس؟! أنت مثالي جدًّا. أبو لهب تعهد أمس أن يدفع أجور الحراسة على مداخل شعب أبي طالب كي يتأكد أن لا طعام يدخل إلى قومه!».**
- **«يا للنقص!».**
- **«كان يتملق للجميع ليلة أمس. يطوف بضيوفه واحدًا واحدًا ويسألهم: هل ترون أني نصرت اللَّات والعُزَّى؟ هل ترون كيف أني مع قريش.. حتى إن أم جميل اللئيمة نادته وقالت له أن يكُف عن إذلال نفسه».**

عجيب جدًّا.

- **«أعتقد أني ربما أعرف السبب في هذا السلوك»**. قالت الآنسة سريعة.

التفت الكل إليها.

- **«أنتم لا تذكرون هذه القصة لأنها حدثت قبل مولدكم، لا تفهموا أني كبيرة في السن فمعايير السن مختلفة كما اتفقنا».**
- **«تبدين أصغرنا وأكثرنا شبابًا يا حياتي.. أخبرينا القصة فقط».**

- **«في زمنٍ ما، قبل أن يصبح سيد عبد المطلب سيد مكة، وكان لا يزال شابًا، اختلف مع عمِّه نوفل على قطعة أرض، كانت تعود له، وأخذها منه عمُّه، يومها انحازت قريش ضد عبد المطلب ووقفت مع عمِّه وأبناء عمومته، فتحالف عبد المطلب مع قبيلة خزاعة، وهي قبيلة جدته، وكان الحِلْفُ يتضمن أن تقف خزاعة مع عبد المطلب ضد كل العرب! أيْ ضد قريش كلها، وعلق الحِلْفُ في الكعبة، كما علقوا الصحيفة الآن، الحِلْفُ وقتها كسر (قريش) وأجبرها على أن تُرجع حق عبد المطلب له، وأصبح سيدها بعد هذه الواقعة».**
- **«وما علاقة أبي لهب بالأمر؟ أعمام النبي الآخرون لم يتأثروا بهذه القصة؟ أبو طالب والعباس وحمزة كلهم مع النبي، لماذا أبو لهب هو الذي وقف هذا الموقف المضاد للنبي وتُفسّرينه أنتِ بقصة حِلفه مع خزاعة؟»**. قال الضرس.
- **«عندما تحالف عبد المطلب مع خزاعة، تزوَّج من لُبنى ابنة زعيم القبيلة، ليقوِّي الحِلْفَ بالمصاهرة والنسب.. لُبنى هذه أنجبت له عبد العزى»**. قالت سريعة وسكتت.

تبادل الجميع النظرات مستغربين: «**مَن عبد العزى؟**».

أكملت سريعة: «**الشهير بأبي لهب**».

بدا على الجميع الدهشة من هذه المعلومة الآن.

- **«هذا يُفسر الكثير الآن، أم جميل كانت تقول لزوجها طيلة الوقت: «وضعك مختلف، وضعك مختلف، كنت أعتقد أنها**

تقصد أنها تعايره بعينه الحولاء، الآن أفهم ما تقصد». قالت هريرة.

- **«غالبًا كانت تقصد أنه أحول وهذه القصة أيضًا يا حياتي»**.

ذهبت القصواء إلى سريعة واحتضنتها وهي تقول: **«نحن محظوظون بك يا خالة.. كم أنت ذكية!»**.

ردت سريعة بانزعاج: **«خالة؟! خلخال يخلخل أحوالك يا قصواء. بمعايير سن السلاحف والإبل، أنتِ بسن والدتي!»**.

داعبتها قصواء من خدها: **«حسنًا يا صغيرتي، لا تزعلي، أنا خالتك وعمتك وجدتك أيضًا، نحن محظوظون بك.. فهمنا سلوك أبي لهب، لكن ماذا سنفعل لكي نساعد النبي ومَن معه في الشعب؟»**.

- **«لا تقلقوا من الأمر»**. قالت زاجلة.
- **«أبو جهل يرتب الأمور بحيث ينقل لهم كل ما يحتاجون إليه من طعام ومؤونة؛ سمعته يقول لزوجته إنه مُستعد أن يبذل كل ثروته في سبيل نصرتهم»**.

ضحكت هريرة ودجانة بشدة بينما نبح نبّاح، وأخفت قصواء ضحكتها.

- **«أبو جهل يبذل كل ثروته لنصرتهم»**. قالت دجانة وهي تقلد زاجلة في الكلام. **«يا حياتي، هل نبدو لك أغبياء لهذه الدرجة؟»**.
- **«تحتاجين إلى فحصٍ للسمع يا عزيزتي»**. قالت هريرة.
- **«أو للدماغ»**. أكملت دجانة.

انفجرت زاجلة: «**لم أعُد أحتمل هذا التنمُّر، إذا وجدتموني ذات يوم منتحرة فأنتم تعرفون السبب**».

رفعت هريرة يديها ودجانة جناحيها ونظرتا إلى السماء وهما تقولان: «**يا رب! بسرعة يا رب!**».

قال الضرس: «**كفى يا هريرة ودجانة، ماذا يضرنا لو أن أبا جهل أرسل طعامًا إلى النبي وأتباعه، بالعكس.. هذا مريح لنا**».

- «**يا لسذاجة الذكور، لا أعرف أصلًا كيف نجوا في معركة الصراع من أجل البقاء**». قالت هريرة..
- يقول المثل: «**درهم بخت ولا قنطار شطارة**».
- «**علينا الآن أن نراقب ما يحدث، الآن ليس أمامنا غير الانتظار**». قال الضرس.

قبل أن يفترق الجميع قال الضرس لنبّاح: «**أحتاج إليك في أمرٍ ما**».

١٦

- «**لم أكُن أعتقد أن السفالة تصل إلى هذه الدرجة**». قالت القصواء.
- «**لم يكتفوا بتنفيذ ما قرروه، لا شراء ولا بيع، ولكنهم أيضًا يمنعون بقية العرب من البيع لهم، تأتي القوافل إلى مكة في الموسم لتبيع لأي كان، لكن سادة قريش يضاعفون السعر فيشترون من التجار بأسعار مضاعفة، بحيث لا يستطيع بنو هاشم الشراء**». قال الضرس.
- «**أبو لهب تحديدًا، امتلأت باحة البيت وكل الغرف بالبضاعة التي اشتراها من القوافل بأسعار مضاعفة فقط لكي يمنع إخوته وأبناء عمومته من شراء ما يحتاجون**». قالت هريرة.
- «**هل يعرف أحد كيف الأمور داخل الشعب؟**».
- «**سيئة؛ المؤونة نفدت. هم محاصرون منذ أشهر إلى الآن، بعض الأفراد من قريش ممن لهم أقارب داخل الشعب، يتسللون ليلًا وهم يحملون أكياس الدقيق، لكن الأمور سيئة، هذه التسللات لا تستطيع أن تنقل كل ما يحتاجون إليه بنو هاشم.. هم بالعشرات داخل الشعب.**

لكن والحق يقال، أبو جهل لم يقصر قط، أرسل قافلة أولها في الشعب وآخرها في اليمن». قالت هريرة ساخرة وهي تنظر إلى زاجلة بمكر.

- «**أمور أبي جهل صعبة جدًّا حاليًّا؛ قافلة الشام لم تَعُد بعد، وقافلة اليمن خسرت. كان قد وضع كل أمواله فيها لكي يساعد المسلمين بأرباحها**». قالت زاجلة بتأثُّر.
- «**يتعشى بكِ كلب أعور حزين وينام على ريشك أخوه الجربان، بحق واحد أحد يا حياتي**».
- «**علينا أن نفكر بطريقة لمساعدتهم، يجب أن نجد سبيلًا إلى ذلك**». قالت القصواء.
- «**لقد شددوا الحراسة على المداخل، يصعُب جدًّا أن نتسلل، أعتقد أن علينا الانتظار حاليًّا**». قال الضرس.

بدت الخيبة على وجوه الجميع.

قبل أن يتفرّق الجميع، أشار الضرس إلى هريرة بالبقاء، ونادى على نبّاح والقصواء.

- «**كيف الأمور؟**». قال لنبّاح.
- «**بطيئة، ولكنها مستمرة**». قال نبّاح وهو يلتفت.

التفت الضرس إلى هريرة والقصواء وقال: «**اسمعاني جيدًا، لدي ما أقوله لكما**».

حسب الخطة، تسللت هريرة من بيت أروى بنت كريز عبر الحائط المشترك إلى بيت أبي لهب.

فتحت الباب من الداخل فدخل الضرس والقصواء ومعهما ستة جمالٍ أخرى.

خلال أقل من ساعة، حُمِّلَت كل البضاعة التي في الباحة وفي المخزن الخلفي على ظهور الجمال، ثم خرجت الجمال، وأغلقت هريرة الباب، ثم عادت إلى بيت إنسانتها ونامت في سريرها وهي تهرهر سعيدة وقد أرضت ضميرها تجاه أتباع النبي، وأرضت بالمرة كراهيتها لأم جميل وزوجها.

بعد قليل، وبالصدفة السعيدة، تعرَّض أحد حراس المداخل إلى قرصة عقرب مسموم فقدَ الوعي على إثرها.

أما زميله الذي حاول مساعدته فقد عضه كلب جاء فقط لكي يعضه ثم يفر هاربًا.

دقائق ودخلت قافلة من سبعة جمال وحصان، دون قائد يسوسها، لكنها مُحمّلة بأكياس القمح والدقيق، استغرب بنو هاشم من أن تدخل القافلة هكذا، لكنهم أنزلوا كل البضاعة، وأسرعت الجمال والحصان بالعودة من حيث عادت، ولم يكُن الحارس قد استفاق بعد، والحارس الآخر لم يَعُد من تضميد جروحه.

استيقظت أروى بنت كريز فزعة على صراخ قادم من منزل أبي لهب.

فهبّت إلى الشرفة لترى ما حدث، أما هريرة فقد تمطت في الفراش وابتسمت بسعادة.

- «**يا أم جميل، ماذا حدث؟ مات أبو لهب؟**».

صاحت أم جميل وناحت: «**مات؟ يا ريت! بل انفلج، سيكون عليَّ أن أرعاه**».

- «**انفلج؟ يا ساتر استر يا رب، كيف؟**».
- «**استيقظ صباحًا ليجد السراق قد نهبوا كل بضاعته، كلها.. لم يبقَ له شيء، وكان قد اشتراها بسعر مضاعف.. لم يحتمل، وانفلج**».
- «**توء توء توء.. لا حول ولا قوة إلا بالله، صحيح.. على نياتكم ترزقون، ذهب الأمن والأمان من مكة منذ هذه الصحيفة المشؤومة**». قالت أروى بلهجة تفهمها أم جميل تمامًا.
- «**أمنتك أمانة يا أم جميل، إذا احتجتِ أي شيء أخبريني، نحن أخوات**». وأغلقت الشرفة.

- «**الأخبار السارة لا تأتي فرادى**». قالت القصواء.
- «**الحمد لله، أَفرِحينا يا قصواء فمنذ مدة لم نسمع خبرًا مفرحًا**». قالت سريعة.
- «**أمس، كان حكيم بن حزام يُدخِل الطعام إلى عمته السيدة خديجة، فشاهده أبو جهل وأمسك به وجاء شخصٌ آخر من أقارب السيدة خديجة فضرب أبا جهل وشجّ رأسه**».
- «**هذا كذب، افتراء، تضليل إعلامي وتزوير للحقائق، مؤامرة تستهدف أبا جهل، كان يريد أن يساعدهما بحمل الكيس لأنه كان يبدو ثقيلًا عليهما**». قالت زاجلة.

صاحت دجانة: «**انتهى.. للصبر حدود يا جماعة، للصبر ماذا؟**».

أجابوها جميعًا: «**حدود!**».

هجمت دجانة فورًا على زاجلة، انقضت عليها بحركة واحدة وأخذت تنقر بوجهها وأحاطتها بجناحيها لتمنعها من الطيران.

أخرجت هريرة مرآة صغيرة وأخذت تتأكد من ترتيب شعرها وهي تقول: «**سلمية سلمية يا دجانة.. لا تنسي ذلك**».

ثم نظرت إلى ما يحدث فقالت: «**قُلنا «سلمية». ولكن ليس لهذه الدرجة.. اضربيها أقوى قليلًا، سلمية سلمية.. ولكن اجعلي يدكِ أشد وأقوى في الضرب**».

تدخلت القصواء والضرس لفك الاشتباك.

قالت دجانة: «**هل سمعتم ما قالته؟**».

قال الضرس: «**نعم، تعودنا على زاجلة، لديها طيبة قلب مفرطة، البعض هكذا، لا نستطيع تغييرهم**».

ردت هريرة: «**والله لا يوجد طيبة قلب مفرطة إلا عندك وعند مَن يصدق هذه اللئيمة**».

- «**المهم، تطور الموقف أمس بعد أن ضُرب أبو جهل، طلب حكيم ومَن معه أن تجتمع قريش لمناقشة أمر الصحيفة، وهم مجتمعون الآن بالكعبة، نبّاح يقف على مقربة منهم وسيأتي لنا بالأخبار**». قال الضرس.
- «**سمعت من فاختة عن متعجرف أن أبا سفيان ليس مرتاحًا لوضع الحصار، يقول: إنه لم يؤدِ إلى نتائجه المرجوة، وفضح (قريش) بين العرب.. بل وأصبح هناك مَن يعرف عن محمد أكثر من قبل بسبب انتشار أمر الحصار بين العرب، سمعت أيضًا أن عتبة مؤيد له.. لكنه مكتئب جدًّا ولا يتوقع أن يكون هناك أيُّ حل للأمر**».
- «**الجعراء أيضًا قالت: إن أمية منزعج من كل الوضع، يقر بأن الحصار لم ينجح، لكنه يعتقد أن الحل هو بالتخلص من محمد شخصيًّا وبأسرع وسيلة**». قالت القصواء.

- «**أبو لهب لا يعرف ماذا يفعل الآن، سمع أن أبا طالب تردت صحته في الحصار.. لو حدث وتوفي، فسيصبح هو كبير بني هاشم، وسيكون هذا محرجًا جدًّا له لأنه تخلى عنهم طيلة هذه المدة، لذا ربما سيظهر في الاجتماع أنه ضد استمرار الحصار، فقط لكي يحفظ وجهه أمام بني هاشم، هذا ما قالته له أم جميل أن يفعله، قالت له موقفك لن يقدم ولن يؤخر عند قريش، لكنه قد يعيد لك مكانتك عند بني هاشم**». قالت هريرة.
- «**أبو جهل يريد أن ينهي الحصار طبعًا، هذا مؤكد**». قالت زاجلة.
- «**اخرسي.. اخرسي.. اخرسيييي**». صاحت دجانة بها.
- «**علينا أن ننتظر نبّاح ونرى ماذا سيحدث**». قال يقظان.

دقائق وجاء نبّاح والفرح بادٍ عليه.

سألته هريرة: «**ها يا نبّاح.. حمامة ولا غراب؟ بفارق أن الحمامة هي الخبر السيئ في حالتنا**».

قالت ذلك وهي تنظر إلى زاجلة شزرًا.

قال نبّاح ضاحكًا: «**في هذه الحالة سرب غربان، وليس غرابًا واحدًا**».

- «**ماذا حدث؟**». سأله الضرس.
- «**خرج أكثر من شخص، من عشائر مختلفة، وأعلنوا نقضهم للصحيفة، وأحرج هذا سادات قريش، وقال أبو جهل: هذا أمرٌ قُضيَ بِلَيل**».

- **«كيف (قُضيَ بِلَيل) يا حياتي؟ الشمس لم تغرب بعد».**
- **«(قُضيَ بِلَيل) يعني اتفقوا فيما بينهم في السر، تعبير مجازي يا دجانة، على الأقل اسأليني بصوت منخفض وليس أمام زاجلة».** قالت هريرة.
- **«مؤكد أنه، (قُضيَ بِلَيل) واضحة وضوح الشمس يا حياتي أنه (قُضيَ بِلَيل)».**
- **«أبو جهل قال: إنه لم يسبق أن نقض اتفاقًا عُلِّق في الكعبة، وقال: إن هذا سيكون شؤمًا على مكة بأجمعها».** قال نبّاح.
- **«ماذا ردوا عليه؟».** سألته القصواء.
- **«طلبوا منه أن يجلب الصحيفة لعلهم يجدون فيها بندًا يتيح لهم الخروج من الاتفاق».**
- **«وجلبها؟».**
- **«أوصى أحد الخدم أن يجلبها، وهنا كانت المفاجأة الصاعقة!».** قال نبّاح.
- **«ماذا حدث؟».**
- **«الصحيفة أكلتها حشرة الأرضة. لم يبقَ منها غير كلمة واحدة: بسمك اللهم».**

علت صيحات التكبير وصفقت هريرة ودجانة فرحًا بالأمر.

- **«نقض الاتفاق الآن؟ أصبح بإمكان بني هاشم البيع والشراء والنبي ليس في خطر؟».**
- **«نعم، الحمد لله».** قال نبّاح.
- **«كيف استقبل سادات قريش الأمر؟».**

- «أبو جهل غاضب ومكفهر الوجه وعلى وشك الانفجار، أبو لهب يحاول أن يتصرف كما لو أن الأمر انتصار له، ولكن لا أحد يأبه له، أمية يقول إن مكة خسرت الكثير من الأموال بسبب دعوة محمد وإنها قد تخسر أكثر إذا استمر في الدعوة، عقبة بن أبي معيط يؤيد الجميع في كل ما يقولون، عتبة بن ربيعة يبكي على مكة وعلى أيام الخير والصفاء والوئام قبل بعثة النبي، ويقول إن هناك شؤمًا كونيًا حل بمكة، وأبو سفيان يقف على مسافة واحدة من الجميع.. حريص على ألَّا تتأثر مكانته سلبًا».
- «إحم إحم. لدي معلومات شبه مؤكدة من مصادر مطلعة أن أبا جهل هو الذي رتب أمر الصحيفة، مزقها بحيث تبدو كما لو أن الأرضة أكلتها، لكي يكون الأمر حلًّا يرضي جميع الأطراف». قالت زاجلة.
- «ما دامت معلوماتك شبه مؤكدة فأنا مضطر إلى أن أقول ما عندي من معلومات مؤكدة، علينا أن نشكر نبّاح الذي قام بنقل الأرضة من بيت عتبة بن ربيعة إلى الكعبة، بالتنسيق مع برغش». قال الضرس.
- «منذ أن علقت الصحيفة تقريبًا، أكثر من عامين والأرضة تأكل فيها إلى أن وصلت إلى بسمك اللهم!». قال نبّاح.
- «عامان من أجل صحيفة! ثم يضربون الأمثال بي في البطء». قالت سريعة.

- **«رائع يا نبّاح، رائع، تفعلون أشياء كثيرة في السر ولا نعرف عنها شيئًا.. مم تخافون؟»**. سألت دجانة.
- **«من حب الثرثرة الموجود عند بعض الأخوات هنا»**. قال الضرس باقتضاب.
- **«معك حق»**. قال يقظان وهو ينظر إلى دجانة وهريرة.
- **«اسمعوا يا حفنة ذكور متنمرين. تتهموننا بأننا نثرثر ونهتم بالملابس والأحذية وما تعتبرونه تفاهات، وتنسون حبكم للعب الكرة وحديثكم عنها لساعات، ثم ما دخلكم أنتم بالأمر؟ نحن نقوم بواجباتنا على أكمل وجه وربما أفضل منكم، حجم مساعدتي أنا والقصواء ودجانة للقضية أكبر من حجم مساعدتكم جميعًا»**. قالت هريرة بنبرة خطابية.
- **«لا أحد يقلل من شأن المرأة يا هريرة، كنا نمزح فقط»**. قال الضرس.
- **«أريد أن أتأكد من شيء الآن، هل انتهى كل شيء الآن؟ رفع الحصار؟ النبي سيعود إلى بيته؟ بنو هاشم يخرجون من الشعب؟»**. سألت القصواء.
- **«نعم، هذا ما اتفقوا عليه الآن، قبل دقائق، ولا بد أن الخبر قد وصل إلى الشعب أو سيصل الآن»**. قال نبّاح.
- **«أريد أن أتعرف إلى برغش!»**. قالت هريرة فجأة موجهة كلامها لنبّاح.
- **«لماذا يا حياتي؟ تصورت أنك تقرفين من البراغيث»**.

- **«هذا موضوع آخر، لكني أريد منها أن تدخلني إلى بيت عتبة».**
- **«ماذا تريدين من عتبة يا هريرة، أنت تخصصك عقبة بن أبي معيط وأبو لهب!»**. قالت القصواء.
- **«لا أريد شيئًا من عتبة، أريد من بيته، بيت يضم البراغيث والأرضة، لا بد أنه سيضم الفئران أيضًا، وأنا منذ مدة طويلة.. طويلة جدًّا، لم ألعب ولم أتسلَّ مع الفئران، أحتاج إلى الدوبامين الذي يُفرَز بمطاردتهم، لا شيء يشبه ذلك»**. قالت هريرة.
- **«يا هريرة، لقد أعلنَّا عن هدنة بين كل الأنواع المتنازعة تقليديًّا، من أجل الوصول إلى هدفنا، وأنت قدوة ورمز، كيف تتخطين هذا الأمر؟»**. قال الضرس معاتبًا.
- **«هل تتناقض الهدنة مع اللهو بين القطط والفئران! بالعكس، اللهو يرمز إلى تحويل الهدنة إلى صلح وسلام دائمين»**. قالت هريرة.
- **«دعكِ من هذا يا هريرة»**. قال الضرس.
- **«إذا وصلتك شكوى من فأر فأنت على صواب وأعتذر»**. قالت هريرة وهي تبتسم بمكر.

فجأة علت الأصوات في الخارج.. أصوات تكبير وهتافات.

- **«يبدو أن بني هاشم وبني المطلب قد خرجوا من الشعب»**. قال نبّاح.

- «**فلنخرج لنشاهدهم، لقد ساهمنا في هذا الانتصار، على الأقل نشارك في الفرح**». قال يقظان.

خرجوا جميعًا بهدوء بعد أن وضعوا سريعة على القصواء لأن انتظارها كان سيعني فوات المشهد كله، دجانة ويقظان على الضرس، بينما تمشّى نبّاح وهريرة جنبًا إلى جنب لأول مرة. زاجلة قالت إنها ستراقب من بعيد.

من خلف دار الندوة نظر الجميع إلى النبي ومَن معه من المسلمين يصلُّون في الكعبة. انتبه الجميع إلى نور غريب يشع من الوجوه، نور رغم التعب والإرهاق المتراكم عبر سنوات الحصار الصعبة.

قالت هريرة: «**ما أجمل منظرهم! هذه من المرات النادرة التي أتمنى لو خلقني الله إنسانة، عدا ذلك، أنا سعيدة جدًّا بكوني قطة أكثر تطورًا من البشر**».

- «**لهذا يقال تبارك الخالق، وليس لتلك الحمامة التي بياضها يشبه بياض الموتى**». قالت دجانة وهي تنظر إلى يقظان.
- «**مَن هذا الشيخ الذي يتكئ على النبي وعلى علي بن أبي طالب؟**». سأل نبّاح.

سكت الجميع وهم يحاولون معرفة هذا الشيخ، كأنهم يعرفونه، يشبه شخصًا يعرفونه.

- «**رباه! هذا أبو طالب**». قال الضرس.
- «**يا إلهي! كأنه كبر عشرين عامًا، لقد شاخ جدًّا في هذه المدة، يبدو غير قادر على السير إلا بمساعدة**». قالت القصواء.

- «**مَن سيخلف أبو طالب في زعامة بني هاشم لو، لا قدر الله، توفي؟**». سأل نبّاح.

- «**أبو لهب!**». قال الضرس.

سكت الجميع وهم يفكرون بهذا الأمر.

قالت القصواء: «**يبدو أن الحصار رُفِع، لكن ربما نحن قادمون على نوع مختلف من المصاعب**».

- **«مات.. لقد مات!»**.

دخلت هريرة الاجتماع وتبكي.

- **«لم أتخيل أني سأبكي لهذه الدرجة بموت أبي طالب، لكن المشهد كان مؤثرًا جدًّا»**.
- **«سمعنا أنه كان مريضًا جدًّا وأنه على فراش الموت، لكن لم نسمع أنه مات!»**. قالت القصواء.
- **«أقول لك مات للتو، جئت من بيته الآن»**.
- **«كنتِ هناك؟! كيف دخلتِ؟»**.
- **«الباب مفتوح، والناس تدخل وتخرج، تريد أن تودعه، أقاربه وأولاده، وأبناء عمومته، نساء ورجال يبكونه، لا أحد يمكن أن ينتبه لي، لو جاء فيل أبرهة شخصيًّا لما انتبه له أحدٌ»**.
- **«ماذا حدث؟»**.
- **«دخلت وتسللت إلى غرفته، وجدت النبي عنده هناك يودعه»**.

- «**كفله وربّاه وهو يتيم، هذا هو العم الذي يستحق أن يُبكَى عليه، وليس مثل عمي أنا، هل تعرفون؟ كنّا أيتامًا صغارًا، وأمي لا تزال شابة لم تكمل مائة سنة بعد، ومات والدي، قام عمي بالاستيلاء على كل الإرث، لم يترك لنا شيئًا، لكني سامحته، قلبي نظيف، فقط أدعو عليه وعلى أبنائه كل يوم**». قالت سريعة بتأثُّر.
- «**أكملي يا هريرة، ورجاء لا أحد يضرب أمثلة أخرى على الأعمام السيئين الآن**». قال الضرس.
- «**النبي كان يطلب من عمّه أن يقول كلمة واحدة، كان يرجوه أن يقولها، يقول له كلمة واحدة يا عمّاه.. كلمة واحدة فقط لكي أحاجج بها ربي يوم القيامة**». قالت هريرة وهي تغالب دموعها.
- «**كلمة واحدة؟ ما هي يا ترى؟**». قالت دجانة.

التفت الجميع إليها بعصبية.

«**أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**».

- «**نعم فكرت بها، لكن هذه ليست كلمة واحدة يا جماعة! وأخذت تحسب في رأسها؛ واحد، اثنان، ثلاثة...**».
- «**الكلمة هنا بمعنى مجازي، الجملة كلها، وقلت لك مائة مرة أن تسأليني بصوت منخفض بدلًا من أن تفضحينا أمام كل من هب ودب**». قالت لها هريرة بعصبية.
- «**وهل قالها؟**». سأل الضرس.

- **«والله كان على وشك أن يقولها، يُخيَّل لي أنه كان قد بدأ بنطقها، كانت على شفتيه، الجو كان مشبعًا لاستقبالها منه، ثم دخل فجأة وجه الشؤم والشر...»**.

«**مَن؟**». سأل الجميع.

- **«مَن غيره؟ فتى الشاشة الأول، رقيق القلب، العطوف بالقطط الصغيرة، ضحية المؤامرة والتضليل الإعلامي، أبو جهل**». قالت وهي تنظر إلى زاجلة.
- **«يا حياتي، كان المشهد يحتاجه.. ماذا فعل؟»**.
- **«كما لو أنه سمع أن النبي عند عمّه ويريده أن يقول الشهادة، أول ما دخل وهو يردد جملة واحدة؛ أتترك دين عبد المطلب؟ أتترك دين عبد المطلب؟ أتترك دين عبد المطلب وآبائه يا أبا طالب، النبي يقول لعمّه كلمة واحدة يا عمّاه.. يا عمّاه.. ووجه الشؤم يقول له دين عبد المطلب دين عبد المطلب، هو لا يكترث لا لأبي طالب ولا لعبد المطلب، لكنه يريد أن يكسر قلب النبي كسر الله أضلاعه»**.
- **«وماذا حدث؟»**.
- **«قال: على دين عبد المطلب، ثم مات»**. وانفجرت وهي تبكي.
- **«واضح أن هناك سوءَ فَهمٍ في الموضوع، أبو جهل كان يريد أن يقولها أبو طالب باقتناع، عن قناعة تامة، لا مجاملة منه للنبي، ولا تحت تأثير المرض، لا يجب تحميل الأمر أكثر من هذا»**. قالت زاجلة.

مسحت هريرة دموعها بسرعة وهي تقول: «**أقول لكم شيئًا، تعرفون؟ لقد بَلَغ السَّيْلُ الزُّبَى وفاض بي ومَلّيت!**».

قفزت قفزة واحدة على زاجلة وغرزت أنيابها في رقبتها، لم يستغرق الأمر بين «**فاض بي ومليت**» والإمساك بالرقبة أكثر من ثانيتين، لم تترك مجالًا لأحد كي يحاول أن يحمي زاجلة منها. بقيت هريرة متمسكة برقبة زاجلة بينما الأخيرة تصرخ وتنوح وريشها الأبيض يتطاير، والضرس والقصواء يحاولان الفكاك بينهما، حاول يقظان أن يتدخل أيضًا لكن دجانة أشارت له إشارة الذبح.

بعد دقائق تمكّن الجمع من فك أنياب هريرة عن رقبة زاجلة التي كانت دخلت في حالة إغماء بينما حاول الضرس إسعافها وإيقاف نزيفها.

قالت دجانة: «**المنظر مع الريش الأبيض يتطاير ويتساقط كان تحفة، لقطة سينمائية يا حياتي**».

عندما استعادت زاجلة وعيها قالت وهي تشهق:

- «**متوحشة، دموية، لا تتقبل الرأي الآخر، كل ما عبّرت عنه هو رأيي، لكن ماذا أقول! الذنب ذنبي أنا، قدَّمتُ وقتي وجهدي من أجل قضية سامية، لكن لا يوجد تقدير**».
- «**يا حياتي، لم أعرف حتى الآن مَن سامية وما قضيتها**».

صرخ يقظان بدجانة: «**خالتك، سامية هي خالتك يا دجانة**».

- «**القضية السامية يا دجانة هي أن يكون لديك هدف تعيشين من أجله**». قالت لها القصواء وقد أزعجها صراخ يقظان بدجانة.

- **«هل هناك مَن يعيش دون هدف يا حياتي؟ الأمر بديهي. كلُّ مَن يعيش له هدفٌ».**
- **«إذن ما هدفك يا دجانة؟».**
- **«هدفي أن أعيش يا حياتي. أُربِّي صغاري وأعتني بهم. أسكن في منزل لطيف. ويحبني يقظان أكثر مما يفعل الآن».**
- **«جملة نموذجية تعبر عن أحلام الطبقة الوسطى».** علق الضرس بسخرية.
- **«الطبقة الوسطى؟ لا يا حياتي، أنا لا أسكن في الطبقة الوسطى، ذاك مسكن جارتي (فروخ).. أنا أسكن في الجزء الأرضي من الحظيرة، على اليمين، بعد الباب مباشرة، مكان واسع ومشمس».**
- **«وماذا يعيب أحلام الطبقة الوسطى يا ضرس؟ كفاكم تهميشًا لها وتكبُّرًا عليها بشعاراتكم».** قالت هريرة بحدة.
- **«أهدافك طبيعية ومشروعة يا دجانة.. ليس معيبًا أن يكون هدفك أن تُربِّي صغارك ويكون لديك مسكن جيد.. لكن الحياة الجيدة لا تتعارض مع أن يكون لديك قضية سامية، أن يكون لك هدف خارج هذه الأهداف الشخصية، شيء ينفع الناس والمجتمع وإيمانهم، هذه هي القضية السامية.. أن يكون لك هدف آخر غير أن تعيشي حياتك».** قالت قصواء.

بقيت دجانة صامتة وهي تنظر إلى قصواء.

- **«هل فهمتِ ما قلته لك يا دجانة؟».**
- **«بالتأكيد يا حياتي، ماذا تظنينني؟ الأمر سهل جدًّا».**
- **«الحمد لله».** تنفست قصواء الصعداء.
- **«ولكن لم أعرف مَن سامية حتى الآن!».**

١٩

- «**لم تجف دموعنا على أبي طالب بعد، وها هي السيدة خديجة ترحل**». قالت القصواء وهي تبكي.
- «**أعانه الله، كانت أكثر من مجرد زوجة، كانت داعمة حقيقية في كل شيء، بحبها وحكمتها ومالها، كل شيء**». قال الضرس.
- «**هل سمعتم تفاصيل عن وفاتها؟**».
- «**لا، لم نسمع أنها مرضت، الجميع فوجئ بالخبر، إنسانتي أروى صُدِمت جدًّا، كانت تنوي زيارتها في اليوم التالي، ذهبت لتعزي أمس**». قالت هريرة.
- «**كيف هو النبي؟**». قال نبّاح.
- «**متحامل على جروحه، كان يحبها جدًّا، لم يخفِ حزنه أو يتكبر عليه**». قال الضرس.
- «**سمعت أنه نزل معها إلى القبر، دفنها بيديه، ذهب معه ابن أخيها حكيم وعلي وزيد وأبو بكر وعمر، وآخرون من أتباعه، لكنه كان ساكتًا طيلة الوقت**». قال الضرس.

- **«وقفت معه في كل شيء، عندما جاءه الوحي أول مرة، خاف أن يكون قد تخيَّل شيئًا، يقولون إنه جاءها فزعًا ليلتها، يسألها (يا خديجة، ما لي؟) يخاف أن يكون قد أصابه شيء، فقالت: «لَا وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ...»، ثم أخذته إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل، كان نصرانيًّا، ويقرأ في كتب أهل الكتاب، شرح له النبي ما حدث... فقال له ورقة إنها النبوة، كما مع نبي الله موسى»**. قالت القصواء.
- **«امرأة نموذجية، قوية وحرة ومستقلة.. وتدعم زوجها، ليست مثل البعض»**. قال يقظان.
- **«يا حياتي، تريد لزوجتك أن تكون مثل خديجة.. والله طموحك مرتفع، أنت يقظان، تملأ الدنيا بيقظانك، ولا فائدة منك، لا تقارن لأنك ستخسر»**.
- **«كيف هو وضع البيت الآن وقد غادرته خديجة؟»**. قالت سريعة وقد أزعجها نقاش دجانة ويقظان.
- **«مثل كل بيت تغادره سيدته وقد كانت ست النساء وأكملهن وأحن الأمهات وألطفهن، وخير الزوجات وأخلصهن، بناتها لا بد يشعرن باليتم، زينب جاءت من بيتها، أم كلثوم وفاطمة الصغيرة في البيت مفجوعتان، ورقية مع زوجها عثمان في الحبشة»**. قالت القصواء.

- «**البيت مظلم بالتأكيد من دون خديجة، ليس مثل الأم، وكيف لو كانت مثل خديجة**». قالت سريعة.

قالت هريرة فجأة: «**أمس جاء أبو جهل في الليل للقاء أبي لهب**».

- «**بمفرده؟**». سألها الضرس.
- «**نعم، انتبهت بالصدفة فتسللت**».
- «**ماذا كان يريد منه؟**».
- «**كان يريد أن يتأكد أن أبا لهب لن يمانع فيما لو قتلوا محمدًا**». قالت هريرة بثبات.
- «**ماذا؟ قال له هذا؟ أنت متأكدة؟!**». سألها الضرس.
- «**طبعا متأكدة. هل سبق لي أن جئت بأخبار غير مؤكدة؟**».
- «**لا لا لا، هذا كثير جدًّا، اتهامات باطلة، لمصلحة مَن تقومين بذلك يا هريرة؟ لماذا تشوهين سمعة أبي جهل؟ مَن هي الجهة التي تقف خلفك؟**». صرخت زاجلة.
- «**لن أرد عليكِ، أنتِ غير موجودة، أحقر مِن أن أراكِ أو أسمعكِ حتى، يمكنني بسهولة أن أقفز عليكِ كما المرة السابقة وأنتهي منكِ، لكن طعمك كان زنخًا ومثيرًا للاشمئزاز، لذا لن أكرر الأمر**». قالت هريرة.
- «**أنا طعمي زنخ؟ واحدة مثلك تحب لحم الفئران، هل يمكن الاعتماد على ذوقها؟**». ردت زاجلة.
- «**كُفَّا عن هذا وقولي لنا ماذا كان رد أبي لهب؟ هل وافق؟**». سألها الضرس.
- «**لا. لم يوافق**».

- **«ماذا؟! أبو لهب رفض أن يتعرض محمد لخطر؟!»**.
- **«نعم»**.

علت التكبيرات وصيحات الفرح.

- **«كيف حدث هذا؟ هل أسلم أبو لهب؟»**.
- **«لا أبدًا، قال لأبي جهل بوضوح، لن أدع الناس تقول إني أقل قوة وزعامة من أبي طالب، فيحدث لمحمد في عهد زعامتي ما لم تجرؤ قريش على فعله وقت أبي طالب»**. قالت هريرة وهي تمط شفتيها.
- **«خير وبركة، أفضل من لا شيء يا حياتي»**.
- **«دون شك، لكنّ أبا طالب كان عنيدًا، يتمثل بعبد المطلب ويقول إنه ما كان سيرضى حدوث أي شر لمحمد، وهو مَن ربَّاه وكفله، لذا فعلاقتهما كانت وطيدة، الأمر مع أبي لهب مختلف، هنا أبو لهب يخاف على سمعته من المقارنة مع شقيقه»**. قالت القصواء.
- **«إضافة إلى هذا، أبو لهب شخص متقلب، من السهل جدًّا أن يغير رأيه أيُّ أحدٍ، لذا لا أتوقع موقفًا ثابتًا منه»**. قالت هريرة.
- **«ماذا كان رد أبي جهل عليه؟»**.
- **«شتمه وخرج، ثم جاءت أم جميل وعندما عرفت شتمته أيضًا وصاحت وناحت، قالت له إنه فاشل، وإنه غلطة عمرها، وإنها نادمة بقدر شعر رأسها وفشله لأنها لم تتزوج العاص بن وائل عندما خطبها وقبلت به هو، يا فاشل يا فاشل يا فاشل،**

وقالت إنها تدعو الله وكل الأصنام أن يسامح أباها لأنه أقنعها بحاجة بني عبد شمس بالتصاهر مع بني هاشم».

- **«العاص بن وائل خطب أم جميل؟! أول مرة أسمع بهذا، أذكر أنه كان قد خطب أمها!»**. قالت سريعة.
- **«قالت له كل هذا! يا حياتي، وماذا رد عليها؟»**.
- **«والله لم أرَ أبا لهب بهذا البرود من قبل. قال لها إنه نادم أيضًا لأنها لم تقبل بالعاص بن وائل، لأنه كان سيتزوج من ضباعة بنت عامر بدلًا عنها»**. قالت هريرة.
- **«ليس هينًا أبو لهب هذا، يريد أن يشعلها حربًا شاملة بين نساء مكاء، ضباعة من أجمل الجميلات، يقال إن شعرها يصل إلى الأرض»**. ضحكت سريعة.
- **«نعم، استشاطت أم جميل غيظًا من ذكر ضباعة وشتمتها بالأم والخالة والجدة، وقالت لزوجها أن يترك البيت وينام عند أخته صفية، لكنّ أبا لهب لم يأبه لها، أخذ وسادته ونام في الصالة»**. قالت هريرة.
- **«أعتقد أن هناك سوءَ فَهمٍ كالعادة»**. قالت زاجلة.
- **«خير يا طير؟ ماذا عندك يا حياتي؟»**.
- **«من الواضح أن أبا لهب هو الذي يريد أن يقتل محمدًا، وأن أبا جهل منعه وشتمه وضربه لكي يمنعه ويقول له عار عليك أن تفكر بذلك»**. قالت زاجلة.

ضحك الجميع بسخرية مما قالته زاجلة.

- «اسمعي يا حياتي، والله الذي لا إله إلا هو، أنا دجانة، لست هريرة، أنا لا أشتم بالفصحى، أنا بنت شارع، بنت حارات وأزقة، جملة أخرى من هذا النوع وستسمعين مني ما لم تسمعيه في حياتك، أشياء لن يقبل بها الكاتب الذي يكتب قصتنا الآن، وستجعل الكل هنا يضعون أيديهم أو حوافرهم أو أجنحتهم في آذانهم، فهمتِ يا حياتي؟ لذا استري على نفسك وكل سلالتك وكُفي عن تفسيراتك البليدة، فهمتِ؟».
- «أنا أيضًا حمامة بنت شارع على فكرة، يمكنني أيضًا أن أشتم، لولا حيائي من الإخوة والأخوات هنا».
- «أنا نفد رصيدي من الحياء بسبب تعليقاتك يا حياتي».

تدخل الضرس: «ما علينا من يريد أن يقتل النبي، سواء كان أبا لهب أو أبا جهل، نريد أن نمنع حدوث ذلك».

- «ما علينا؟ كيف يمكن أن نمنع حدوث ذلك إن كان (ما علينا) من يريد أن يحدث ذلك؟! هل حقًّا الدراسات عن ذكاء الخيول صحيحة؟ بدأت أعتقد أنها مزورة». قالت هريرة.
- «ربما الدراسات صحيحة بالنسبة إلى إناث الخيول، والأمر مختلف في الذكور يا حياتي».
- «نعم، أحسنتِ يا دجانة، هذا منطقي أكثر».

- «**يبدو أن أبا جهل لم يعتقد أن أبا لهب جاد في موقفه**». قال يقظان.
- «**كيف عرفت؟**». سأله الضرس.
- «**قال ناقور: إنه سمع أبا جهل يتحدث مع الحارث بن قيس بن عدي، طلب منه أن يشتم النبي وينال منه عندما يراه في الشارع، بحيث يراه الجميع، ويصل الخبر إلى أبي لهب**».
- «**الحارث هذا، هل أمه هي الغيظلة؟**». قالت سريعة باهتمام.
- «**نعم، هي بعينها**». قالت القصواء.
- «**كنت أعرفها في طفولتها وشبابها، عقربة منذ نعومة أظفارها، لا يستبعد أبدًا أن يكون ابنها مثلها، يقول المثل: مَن شابه أمه فما ظلم**».
- «**إذن هذا الموقف الذي حدث قبل أيام كان بتخطيط من أبي جهل ليعرف جدية أبي لهب في دفاعه عن النبي؟**». قالت القصواء.
- «**والموقف أثبت أن أبا لهب جاد، وصله الخبر كما أراد أبو جهل، فذهب إلى الحارث بن قيس بن عدي وشتمه ونال منه وهدده، ثم ذهب إلى النبي، لأول مرة منذ سنوات طويلة، وقال له بما معناه اعتبر أن أبا طالب لم يمُت، افعل ما تشاء**». قال الضرس.
- «**الحارث هذا هل أمه هي الغيظلة؟**». سألت سريعة باهتمام.

نظروا جميعًا إلى سريعة ثم تبادلوا النظرات بينهم.

- «**هل أنتِ بخير؟**». سألتها زاجلة وهي تقترب منها.

- **«نعم، الحارث هو ابن الغيظلة يا خالة سريعة».**
- **«كنت أعرفها في طفولتها وشبابها، عقربة منذ نعومة أظفارها».**

نظرت القصواء إلى سريعة بتردد، ثم قالت لتغير الحديث: «**ماذا سيفعل أبو جهل الآن؟ أراد أن يختبر أبا لهب فكانت هذه النتيجة، ما الخطوة التالية؟**».

- **«أعتقد أنه من الطبيعي أن يحاول أبو جهل التحقق من موقف أبي لهب، أليس ذلك أفضل للنبي؟ لماذا تُسيئون الظن بكل شيء؟ أهذه هي تعاليم نبينا الكريم؟ أبو جهل يريد أن يتأكد من حماية النبي».** قالت زاجلة.
- «**صحيح، أصلًا ربما كان أبو جهل قد أسلم سرًّا**». سخرت هريرة.
- «**مَن يدري؟ ربما، هل تعرفين ما في قلبه؟!**».

صرخت هريرة: «**اخرسيييييي**».

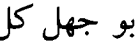

في الأيام التالية جمع أبو جهل كل سادات قريش من العشائر الأخرى، واتفق معهم على أمر جامع. مِن حق أبي لهب أن يحافظ على مكانته عند بني هاشم، لذا يجب مراعاة هذا، وفي الوقت ذاته يجب حصره بحيث يتخلى عن محمد دون أن يفقد ماء وجهه.

كانت الخطة ببساطة هي أن يطلب سادات مكة من أبي لهب أن يسأل محمدًا سؤالًا واحدًا فقط، ويتصرف مع الجواب كما يحلو له.

- «**ما السؤال؟**». سأل الضرس.
- «**لا أعرف بعد، العجراء تقول: إن هذا ما سمعته من أمية وهو يتحدث مع شقيقه، لا تفاصيل أكثر**». قالت القصواء.
- «**هم يُعِدُّون فخًا لمحمد إذن**». قالت سريعة.
- «**لا. الفخ لأبي لهب، ليس لمحمد، يريدون إجبار أبي لهب على أن يتخلى عن حماية ابن أخيه، لكنّ محمدًا لم يطلب هذه الحماية ولم يتوقعها**». قال الضرس.
- «**للأسف، أبو لهب وأم جميل لا يتحدثان منذ موقعة (ضباعة ويا فاشل يا فاشل يا فاشل)، لذا لم أعرف شيئًا عن هذا الاجتماع**».
- «**وإنسانتك يا هريرة؟ لم تسمع شيئًا؟ هل تصالحت مع زوجها؟**».
- «**لا، ولا أظنها ستفعل ذلك أبدًا، قالت لصاحباتها قبل يومين إنها كانت قد وضعت شروطًا لعودته، أولها أن يسلم أمام كل سادات قريش في دار الندوة، لكنها ندمت على ذلك الآن، ماذا لو أحرجها وأعلن إسلامه أمام الجميع؟ هي لا تريد عودته بكل الأحوال، تقول على الأقل ارتحنا من شخيره. أنا أيضًا ارتحت من شخيره**».
- «**هل كان يشخر كثيرًا؟**».
- «**كان يشخر حتى وهو مستيقظ، الله لا يُعيدها أيامًا ولياليَ**».
- «**ماذا سنفعل الآن؟ ألن نعرف السؤال؟**». قالت سريعة.
- «**سنعرفه قريبًا بالتأكيد**».

قال يقظان: «**أخبرني ناقور أن أبا جهل جمع سادات قريش عنده في وليمة، ودعا إليها أبا لهب أيضًا كي يتصالحا؟ أمام الجميع بعد أن تعكرت علاقتهما بسبب الموقف من النبي**».

حضر الجميع، ومدَّ أبو جهل أطايب الطعام والشراب، ثم في لحظة معينة يبدو أنها كانت متفق عليها بينهم، تحدث عتبة بن ربيعة مع أبي لهب بصوت مرتفع كي يسمعه الجميع.

قال عتبة لأبي لهب: «**ماذا تقول لو أن رجلًا جاء إليَّ الآن وشتم أبي وعرض به أمامي؟**».

- «**يكون عدوك بلا شك**».
- «**وهل أحمي عدوي؟**».
- «**لا. إلا لو تراجع واعتذر**».
- «**فماذا لو جاء رجل وشتم أباك أنت؟**».
- «**ماذا تقول يا عتبة؟ يشتم عبد المطلب؟ يكون عدوي وربما أقتله**».
- «**فهل تجيره أو تحميه؟**».
- «**قطعًا لا، ماذا تقول؟**».
- «**إذن أقول لك أمام الجميع، وأشهدهم على ذلك: أنت بالفعل تحمي رجلًا يشتم عبد المطلب!**».
- «**ويحك يا عتبة! كيف تقول هذا؟!**».
- «**فماذا يفعل محمد إذن؟ ألا يشتم عبد المطلب؟**»
- «**لم أسمعه يشتمه قط!**».
- «**فأيهما أشد، شتمه أم قوله إنه في النار؟**».

- **«هل يقول ذلك؟»**.
- **«نعم. يقول إن عبد المطلب يحترق في النار»**.
- **«والله لو كنتَ صادقًا لأتخلى عنه وأرفع عنه جواري وحمايتي، وأقول ذلك أمامكم وأشهدكم جميعًا»**.
- **«إذن اسأله، واعرف بنفسك»**.
- **«سأفعل حتمًا!»**.

- **«لقد أعدوا الفخ بإتقان، يا لشرّك وحقدك يا أبا جهل!»**. قالت هريرة.
- **«يا لحقدك أنتِ يا هريرة، كل الكلام كان من عتبة، ولكنك تلومين أبا جهل، كل شيء يحدث يكون بسبب أبي جهل، سأنتظر لكي أرى وجهك عندما يشهر إسلامه وينصر المسلمين في مكة»**. قالت زاجلة.
- **«نعرف أنه رتب هذا الحوار بأكمله، هو مخرج المسرحية، عتبة نفّذ الخطة عليه من الله ما يستحق، وعليك أيضًا بالمناسبة»**. قالت هريرة ثم نفخت على زاجلة.
- **«هل اتفقوا على موعد محدد لكي يسأل أبو لهب النبي؟»**.
- **«نعم، قال أبو لهب إنه سيفعل ذلك غدًا، طلب منهم أن يقفوا أمام بيت محمد، يدخل هو ويسأله، ثم يخرج ليقول لهم ما قال، ويحدد موقفه منه»**.

وقفت على السياج.. اجتمعوا عند أبي لهب، كلهم؛ أبو جهل، أمية، أبو سفيان، عتبة، عقبة، العاص بن وائل، كلهم.. حتى هند جاءت مع زوجها.

ثم خرج أبو لهب إلى بيت النبي المقابل لبيته بالضبط. وقف الجميع عند مدخل بيت أبي لهب ينتظرون.

لم يتأخر في بيت النبي، خرج ليقول لهم: «**سألته أين عبد المطلب، فقال: (مع قومه)، لم يقُل في النار كما زعمتم**».

فرد عليه أبو جهل زاجرًا: «**فقدت عقلك يا أبا لهب؟ اسأله فأين قومه؟**».

دخل أبو لهب مجددًا، وسمع الجميع صوته صارخًا بغضب.

فتح الباب وقال: «**قال لي في النار، أشهدكم جميعًا أني عدوه وعدو ما يدعو به ما حييت، لا أحميه ولا أدفع عنه**».

سكت الجميع بعد أن أنصتوا لما روته هريرة.

قال الضرس: «**مِن دون عمّه أبي طالب ولا السيدة خديجة، وبعد هذا الموقف، مقبلون نحن على صعاب كثيرة**».

- **«أريد من أحد أن يُفسّر لي، نمت أمس وكان كل شيء على حاله، تأخرت في الاستيقاظ، وعندما استيقظت وجدت مكة مقلوبة رأسًا على عقب، ما الذي حدث في أثناء نومي؟»**. قالت سريعة.
- **«فاتك الكثير يا حياتي»**.
- **«أمس ليلًا، أُسْرِيَ بالنبي إلى بيت المقدس»**. قالت القصواء.
- **«صحيح يا حياتي، ما فهمت هذه الكلمة، تكررت كثيرًا اليوم»**.
- **«تعني أنه سافر ليلًا»**. قال الضرس.
- **«النبي ترك مكة؟!»**. قالت سريعة بفزع.
- **«لا. ذهب ورجع»**. قال الضرس.
- **«في الليلة نفسها؟»**. سألت سريعة.
- **«نعم، وهذا هو سبب الضجة في مكة»**. قالت القصواء.
- **«الأمر مثير بالفعل، أريد التفاصيل»**. قالت سريعة.

- **«أنا أقولُ لك التفاصيل، ما دام فيها وحش الشاشة وفتاها الأول»**. قالت هريرة وهي تنظر إلى زاجلة نظرة معينة.
- **«عدنا إلى تشويه الحقائق»**. قالت زاجلة بلهجة مَن نفد صبره.
- **«صباحًا، شاهد أبو جهل النبي وهو مطرق يفكر، بالتأكيد يعرف أن ما حدث معه أمس سيجد مَن لن يصدقه ويستهزئ به، جاء أبو جهل وسأله إن كان قد حدث شيء؟ فرد النبي عليه بالإيجاب، فسأله أبو جهل عن الذي حدث، فقال له النبي: أسريت إلى بيت المقدس، فسأله: وأصبحت في مكة؟ فقال له: نعم. هنا كما لو أن أبا جهل قد وجّه فرصته، لم يكذّبه، بل تظاهر بالتصديق، صاح بأهل مكة أن يتجمعوا لأن النبي لديه ما يقوله لهم، وتجمّع أهل مكة.. فقال أبو جهل للنبي أن يقول لهم ما أخبره به للتو، فأخبرهم، وكما هو متوقع وكما كان يريد وجه الشر، كانت ردود فعل الناس بين التكذيب والسخرية والاستهزاء»**. قالت هريرة.
- **«انظروا إلى التضليل الإعلامي، كل ما فعله أبو جهل هو مساعدة النبي في إيصال صوته إلى أهل مكة ليخبرهم عمَّا حدث، أبو جهل ليس مسؤولًا عن رد فعل الناس، لا يمكن تحميله كل أوزار أهل مكة، كل ما فعله هو المساعدة، ورغم ذلك نجد مَن يتهمه بأسوأ أنواع الاتهامات! أنا من هذا المنبر أتساءل، لمصلحة مَن هذا التضليل؟ هل هذا جزاء الرجل أنه حاول أن يوصل صوت النبي إلى الناس؟ هل كان عليه أن يتكتم على الخبر؟»**. قالت زاجلة.

- **«اللهم أني ممتنعة عن الرد، مع الاحتفاظ بحقي فيه»**. قالت هريرة.
- **«مِن هذا المنبر؟! أي منبر يا حياتي؟ لا أرى شيئًا»**.
- **«ألا تلاحظين أنك تعيشين الدور أكثر مما يجب وأكثر مما يحتمل؟ هل يمكن أن يصدق عاقل ما تقولين؟»**. قال نبّاح.
- **«ما القصة يا جماعة؟ علينا أن نتذكر أن سوء الظن مذموم، قد لا أتفق مع رؤية زاجلة للأمور ووجهة نظرها، ولكن من حقها أن تعبّر عنها، ومن واجبنا احترام ذلك»**. قال الضرس.
- **«أصبح للبعوض وجهة نظر ورؤية للأمور»**. قالت هريرة.
- **«حياتي يا ضرس، بدلًا من أن تدافع عن زاجلة، كان يجب أن تشعر بالغيرة مما حدث أمس»**.
- **«الغيرة، مِمَّ؟ لماذا؟»**.

أشارت القصواء إلى دجانة أن تسكت وهمست لها: **«لم يعرف بعد»**.

- **«ما القصة؟ ماذا هناك؟»**.
- **«ألم تسمع كيف أُسْرِيَ النبي يا حياتي؟»**.
- **«بقدرة الله طبعًا، ماذا في ذلك؟»**.
- **«نعم بقدرة الله طبعًا، لكن قدرة الله تقدر وسائل للفعل. لا تشغل بالك يا ضرس، لم تقصد دجانة شيئًا»**. قالت القصواء، ثم التفتت: **«أغلقوا الموضوع الآن»**.
- **«ماذا هناك؟ ما الأمر؟ ما الموضوع أصلًا؟»**.
- **«الموضوع هو أن النبي أُسْرِيَ به عبْرَ حصان»**. قال نبّاح.

- «**ماذا؟ حصان؟! ذهب ورجع في هذه الرحلة على حصان؟!**». قال ضرس.
- «**نعم، حصان يا حياتي**». قالت دجانة وهي تتصنع الشفقة.
- «**ثم ماذا؟ لماذا عليَّ أن أشعر بالغيرة؟ عادي.. عادي جدًّا، بالتأكيد سيذهب على حصان. لماذا تتحدثون عن الأمر كما لو أنه كارثة، على العكس، أنا فخور بهذا الحصان، وأتمنى له كل خير وتوفيق وسعادة، عادي جدًّا، عادي.. ولماذا تصدرين صوتًا بأسنانك يا هريرة؟ ألا تعرفين أن هذا مزعج.. وأنت يا يقظان، عُرْفك اليوم يبدو نافرًا مستفزًا، زاجلة، لماذا تنظرين إليَّ هكذا.. لمَ أنتم مزعجون هكذا اليوم، أين الأخلاق؟ أين الذوق؟ أين المروءة؟**».
- «**عادي جدًّا يا حياتي، عادي جدًّا، واضح جدًّا أنه عادي**».
- «**بصراحة هذه أول مرة أرى (ضرس) عاديًّا لهذه الدرجة**». قالت هريرة وهي تضحك.
- «**لم أكن أعرف أن الخيول تغار أيضًا لهذه الدرجة**». قالت سريعة.
- «**نعم، تتربع الكلاب عادة على عرش الغيرة، غالبًا بسبب شعورها بالنقص ورغبتها المرضي في الحصول على رضا أصحابها، لا أذكر أني شعرت بالغيرة طيلة حياتي، على العكس، أشعر بالملل من الناس حولي وأتمنى لو يشغلهم شيء آخر عني**». قالت هريرة وهي تحرك ذيلها بانزعاج وتنظر إلى نبّاح.

- «**مَن قال شيئًا عن الغيرة؟ أنا أغار؟ بالعكس، أنا مسرور جدًّا لهذا الزميل الذي نال هذا الشرف، أنا مسرور جدًّا، أكاد أطير من السعادة**». قال الضرس وبدأ صوته يخونه في الجملة الأخيرة.

«**أنا مسرور جدًّا لهذا الزميل لدرجة أني أكاد أبكي من الفرحة من أجله... هذه دموع الفرح.. ألا ترونها!**». وانفجر باكيًا بصوت يدل على أن دموعه لا علاقة لها بالفرح.

«**كنت أعرف أني لا أستحق شرف كهذا، كنت أعرف، أحاول أن أحافظ على لياقتي، أتدرب طيلة الوقت، عسى أن أنال شرف مهمة يركب فيها النبي عليَّ.. لكن يبدو أن لا فائدة، يبدو أني لا أستحق ذلك**». أجهش الضرس بالبكاء.

- «**هون عليك يا ضرس، لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها**». قال نبّاح.
- «**كنت آمل أن يكون وسعها أعلى مما هو عليه**». قال الضرس.
- «**طموح أنت يا حياتي، أنا لا أطمح أكثر من أن أبيض بيضة شهية يأكلها النبي، أو أن أتشرف بأن يأكل زوجي العزيز يقظان**».
- «**كنت أطمح إلى أن يركب عليَّ، ولو قليلًا، لكن الآن، أسمع أن حصانًا آخر قد شارك في هذه المعجزة، أشعر أني لا شيء، أشعر بأن تقييمي لذاتي قد أصبح في الحضيض**».

- «**ضرس، كن منطقيًا، انظر إليَّ وقل: هل كنت تستطيع أن تأخذه إلى بيت المقدس وترجع به في الليلة نفسها؟**». قالت القصواء.
- «**لا، للأسف لا**». وبكى بشدة.
- «**هل تعتقد أن حصانًا من بين كل الخيول التي رأيتها وعرفتها قادر على ذلك؟**».
- «**الحقيقة لا، لا أستطيع حتى تخيُّل ذلك**».
- «**إذن هذا حصان (مختلف)!**».
- «**بالتأكيد، لكنه حصان**».
- «**هل تعرف كيف وصفه النبي؟**».
- «**لا. لم أسمع بالأمر أصلًا إلا منكم الآن**». قال وهو يكفكف دموعه.
- «**اسمع إذن، لم يقل إنه حصان أصلًا، قال: إن اسمه البراق، فوق الحمار، ودون البغل، ويضع حافره في الأفق**».
- «**البراق**». قال ضرس كما لو أنه يحاول أن يتذكر الاسم، ثم قال: «**لم أسمع به من قبل**».
- «**بالتأكيد لم تسمع به من قبل، لم يسمع أي أحد بمثله من قبل، لأنه ليس من المخلوقات الأرضية، هو مخلوق آخر تمامًا، ربما خلقه الله أصلًا لهذه المَهمة، ربما لم يكُن مثلنا، ليس حيوانًا، لا نعرف ذلك، لكن المؤكد أن قدراته لا علاقة لها بقدراتنا، بل هي في مجال آخر تمامًا، لذا لا معنى في الشعور بالغيرة أو تدني تقييمك لذاتك**». قالت القصواء.

- «**كلامك منطقي جدًّا**». قال الضرس.
- «**ما أجمل كلامك يا قصواء! أفضل من أي معالج نفسي يكلف أموالًا طائلة**». قالت سريعة.
- «**لكن لن تعرفوني لو شعرت بالغيرة، أنا غيورة أكثر من نتاح بكثير**». قالت قصواء وهي تضحك.
- «**هناك ما هو أهم من كل ذلك بالمناسبة، لم يقله النبي أمام كفار مكة، بل قاله للمؤمنين فقط، سمعت إنسانتي أروى تتحدث مع ابنتها أم كلثوم**». قالت هريرة.

قاطعتها سريعة: «**ما شاء الله، أروى أصبح عندها بنت الآن؟**».

- «**نعم، ثلاثة ذكور وبنت واحدة، أكبرهم أصبح رجلًا الآن ـما شاء اللهـ من زوجها الأول الذي كان لطيفًاـ عثمان زوج بنت النبي، وأم كلثوم وصبيّان صغيران من عقبة الفاشل**».
- «**جميلة مثل أمها أم قميئة مثل أبيها يا حياتي؟**».
- «**جميلة كالبدر ليلة ١٤، لولا أن ثقتي بنفسي عالية لمُت من غيرتي يوم وُلِدت، جميلة ومهذبة، وتجيد كل أعمال البيت، طبخ وتنظيف وخياطة وتفصيل وتريكو، كل شيء، وقبل كل ذلك: أسلمت مع أمها**».
- «**هل ممكن أن تتركي شغل الخاطبات يا هريرة وتركزي في الموضوع الأصلي**». قال الضرس.

- **«أكيد، علمًا أني لا أعمل كخاطبة، مجرد هواية، رغم أن العمل ليس عيبًا كما تعرفون، الموضوع الأصلي.. ما الموضوع الأصلي؟»**.
- **«قلتِ إن هناك ما هو أهم من الإسراء إلى بيت المقدس، لم يقله النبي إلا للمؤمنين»**.
- **«نعم. بعد الوصول إلى بيت المقدس ذهب النبي في رحلة إلى الأعلى، إلى السماوات السبع.. وقابل الأنبياء كلهم تقريبًا، على الأقل الذين نعرفهم منهم، وصلى بهم أيضًا»**.

تعالت التكبيرات من الجميع.

- **«وجاء أيضًا من هناك بالأمر بالصلاة»**. أكملت هريرة.
- **«ماذا يعني هذا يا حياتي؟»**.
- **«كل مسلم ومسلمة سيكون عليه أن يصلي خمس مرات في اليوم من الآن، في خمسة أوقات محددة»**.
- **«نحن أيضًا؟»**. قالت دجانة.
- **«لا، فقط البشر، للأسف»**.
- **«لماذا كل هذا الآن يا ترى؟ لماذا هذا التوقيت؟ الإسراء.. وبعدها الرحلة إلى السماوات، وبعدها الصلاة؟»**. قالت القصواء.
- **«هناك حكمة في كل توقيت، لا بد أن يكون هناك حكمة، ربما لن نفهمها الآن»**. قال الضرس.
- **«أشعر أننا ندخل في مرحلة جديدة مختلفة عن السابق»**. قالت سريعة.

- «**ماذا تقصدين؟**». سألتها زاجلة.
- «**لا أعرف، لكن هذا لا يحدث بالصدفة**».
- «**هل تعرفون أن بعض المؤمنين لم يصدقوا بالأمر، ورجعوا عن الإسلام؟**». قالت هريرة.
- «**ربما هذا مقصود أيضًا**». قال الضرس.
- «**ماذا تعني يا حياتي؟ قدِّر قليلًا أن دماغي لم يُخلَق لكي يفهم ألغازكم**».
- «**يعني ربما المرحلة القادمة صعبة بحيث أن ضعفاء الإيمان يجب أن ينسحبوا الآن، أفضل من أن يكونوا عبئًا معرقلًا في مرحلة قادمة**». قال الضرس.
- «**ربما هذه الرحلة بالأساس كانت لتهيئة النبي لمرحلة قادمة، مختلفة عن كل ما سبق**». قالت القصواء.
- «**ماذا تعنون؟ هل لديكم معلومات عن أشياء محددة؟**». سألتهم زاجلة.
- «**لقد صبر النبي طويلًا على مكة، مرت عشر سنوات صعبة الآن، لا بد أن يحدث شيء**». قال الضرس.
- «**أشعر برياح التغيير قادمة**». قال نبّاح.
- «**رياح التغيير؟ أعرف رياح السموم.. ورياح الجنوب.. ورياح الدبور.. ولكن ما سمعت برياح التغيير هذه يا حياتي.. ولا أشعر بأي رياح أصلًا**».

كتبت هريرة شيئًا بسرعة على صحيفة معها، ثم رفعتها.

«**هذا مجاز**». كتبت على الصحيفة.

- «**في كل مرة يُقال شيءٌ لا تفهمينه انظري إليَّ فقط، وسأرفع لك أنا هذه اللافتة.. لا داعي لفضحنا**».
- «**رياح التغيير مجاز، طيب، لم أفهم، ولكن لا بأس، فقط أخبروني كي أحتاط عندما تأتي**».

٢١

- «**هناك أخبار عن أن النبي قد ترك مكة!**».

قال يقظان فور دخوله المجلس.

- «**سمعت تلميحات عن هذا أيضًا**». قالت هريرة.
- «**مَن قال لك يا يقظان؟**».
- «**ناقور قال: إن أبا جهل كان يتحدث بقلق مع ابن الحارث بن قيس بن عدي، يقول له إنه قد وضع عيونًا لمراقبة النبي وإنه مُختفٍ منذ أيام**».
- «**الحارث هذا هل هو ابن الغيظلة؟**». سألت سريعة باهتمام.
- «**لا يا خالة سريعة، مجرد تشابه أسماء**». خفض الضرس رأسه.
- «**ابن مَن هو إذن؟ هل تزوج قيس بن عدي على الغيظلة؟ لا بد أنها حولت حياته إلى جحيم. عقربة منذ نعومة أظفارها**».

ضرب الضرس على رأسه وقال: «**نعود إلى موضوعنا لو أمكن**».

- «**نعم، لا بد أن نعود إلى موضوعنا، لا حول ولا قوة إلا بالله، أبو جهل قلق على النبي، غيابه يقلقه، هو حريص على**

سلامته لدرجة أنه وضع عيونًا عليه، وأنتم تتناقلون الخبر بطريقة شريرة».

- **«يا حياتي؟ قلق عليه؟ لماذا لا يسلم بدلًا عن هذا القلق؟».**
- **«مَن قال إنه لم يسلم؟ ربما هو مسلم في قلبه، أشققتِ عن قلبه؟ ها؟ ها؟ أشققتِ؟».**
- **«لم أشق عن قلب أبي جهل بعد، لكني سأشقك الآن إلى عدة شقوق بحيث لا يمكن تمييز قلبك عن رأسك».** قالت دجانة وهجمت فورًا على زاجلة التي أخذت تستغيث.

صهل الضرس بحزم واقترب منهما خطوتين ليفصل بينهما.

- **«مِن أين عرفتِ أنت يا هريرة؟».**
- **«عقبة كان يتحدث مع نفسه، يريد أن يُسمِع أروى كي يثير فضولها وتتحدث معه».**
- **«عقبة رجع؟ ألم تقولي إن أروى لن تسمح له بذلك».** سألتها دجانة.
- **«رجع إلى البيت، أعطته غرفة (المؤونة) لكي ينام فيها، لا تسمح له بالتجول في البيت إلا في أوقات محددة، ولا صعود إلى الطابق العلوي ـ حيث غرفتها ـ مطلقًا وتحت أي ظرف».**
- **«ماذا قال لها؟».**
- **«قال لها: سمعت أن ابن خالك قد غادر مكة قبل أيام».**
- **«وماذا ردت عليه؟».**

- **«لم ترد طبعًا، لكن تعابير وجهها كانت متفاجئة، ثم خرجت بعد قليل وزارت بيت النبي، لم تأخذني معها للأسف ولكنها عادت بعد قليل وهي قلقة وغاضبة، لم تداعبني ولم ترد على أسئلة ابنتها ونامت فورًا، تفعل هذا عندما تكون قلقة، كل هذا برأيي يدل أنها علمت أن النبي بالفعل ليس في مكة»**. قالت هريرة.
- **«الحبشة يا ترى؟»**.
- **«الآن فهمت ما قاله متعجرف لفاختة؛ قال أبو سفيان لهند إنه ربما يضطر إلى أن يذهب إلى الحبشة مجددًا، كانت هند غاضبة وتقول له: إنه كان يجب أن يسمع نصيحتها، لكنه نهرها وقال: إن السم سلاح الجبناء»**. قالت سريعة.
- **«السم سلاح الجبناء، إذن هند كانت تقترح استخدام السم وأبو سفيان لم يرضَ»**. قال نبّاح.
- **«السم؟ لمَن يا ترى؟»**. قالت زاجلة بينما نظر إليها الجميع في دهشة.

رفعت هريرة لافتة كتبت عليها: **«أحتفظ بحق الرد»**.

- **«لضرتها، تريد أن تستعمل السم لضرتها يا حياتي»**.
- **«آه، فهمت.. يحدث هذا بين الضرائر بالفعل»**.
- **«الرجاء عدم تشتيت الحديث، نعود إلى الموضوع»**. قال الضرس.
- **«لا أعرف، موضوع الحبشة محتمل.. لكن لماذا الحبشة الآن؟»**. قالت القصواء.

- «**لا أعتقد أنه ذهب إلى الحبشة**». قال نبّاح. «**أغلب أتباعه في مكة؛ علي، أبو بكر، عمر، لم يختفِ أحد منهم بغيابه، فقط زيد.. ابنه بالتبني، لو كان قد رحل إلى مكان بعيد، عبر البحر، لأخذ معه مجموعة من أتباعه، لكن زيد فقط؟ مستبعد، غالبًا ذهب إلى مكان أقرب من ذلك بكثير**».
- «**قريش تفضل أن يذهب النبي إلى الحبشة بالتأكيد، إذا استقر بعيدًا هناك فلن يتسبب لها بضرر، أما لو استقر في مكان قريب، فقد يكون خطرًا عليها**». قالت القصواء.
- «**لن تأمن قريش على نفسها إلا بموته، لكن ابتعاده في الحبشة أفضل بالنسبة إليها مِن أن يكون قريبًا من مكة**». قال الضرس.
- «**هل لاحظتم أنه أصبح يتجنب الخروج من البيت منذ مدة من الزمن؟ لعل ذلك كان لكي يتجنب محاولات القتل**». قالت القصواء.
- «**أو ربما لكيلا ينتبهوا إلى غيابه فورًا، عندما يترك مكة**». قال الضرس.

سكت الجميع كما لو أنهم يتأملون فيما قال الضرس.

- «**أين يمكن أن يكون قد ذهب؟**». فكرت القصواء بصوت مرتفع.

خلال أيام وصل الخبر.

النبي ذهب إلى الطائف، المدينة المنافسة لمكة، التي لا تبعد عنها أكثر من مسيرة يومين على الجمل.

كان عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة يملكان بستانًا في الطائف، وبالصدفة ذهبا إليها كما يفعلان كل صيف، وشاهدا النبي وهو يعرض دعوته على أهل الطائف طالبًا منهم نصرته.

عاد عتبة مسرعًا إلى مكة ليخبر سادتها بأن أسوأ توقعات قريش قد حدثت. النبي ذهب إلى مدينة منافسة، وليس إلى الحبشة، وهو لا يطلب فقط «**اللجوء أو الحماية**»، بل يطلب «**النصرة**». يطلب منهم أن يساعدوه.

صحيح أن أهل الطائف رفضوا نصرته وأساؤوا استقباله، إلا أن مجرد ذهاب النبي إليهم يدل على تحدٍّ كبيرٍ لقريش.

وقع الخبر كالصاعقة على سادة مكة. اعتبروا أن النبي قد تجاوز كل توقعاتهم السابقة، وأنه بذهابه إلى المدينة المنافسة لمكة قد جعل مكة كلها في مواجهة جديدة.

سادة مكة كانوا في منتهى الغضب والغيظ، لكنهم أخفوا ذلك فيما بينهم، أما علنًا فقد أظهروا الفرح والشماتة بالنبي بسبب ما تعرض له على يد أهل الطائف، نشروا ذلك وتناقلوه بين أهل مكة، مهيئين الجميع للتوعد بالمزيد عند عودته من الطائف.

كانت هريرة تبكي...

- **«لم أحتمل الكلام، كانت اللئيمة أم جميل ترقص وتضحك ساخرة وهي تسمع أبا لهب يتحدث لها عمَّا حدث للنبي في الطائف.. تخيلوا! كانت اللئيمة تقول: ليت خديجة كانت حية اليوم لأشمت بها أمام الجميع، أخبرني ماذا فعلوا به مرة أخرى، أطرِبني»**.
- **«وماذا كان كتلة عقد النقص التي تُسمى أبا لهب يرد عليها؟»**. سألتها القصواء.
- **«كان يخبرها أنهم طردوه، ضربوه، وجّهوا له الإهانات، جعلوا الأطفال يطاردونه بالحجارة، وكانت تصفق مع كل مرة يعيد فيها الكلام، في كل مرة تصفق كنت أدعو الله أن يشلّ يديها»**.
- **«الجعراء قالت لي: إن أمية يُعِد لحفلٍ كبيرٍ يذبح فيه الذبائح احتفالًا بما حدث»**. قالت القصواء.
- **«هند تعاير أبا سفيان، تقول له: إن أهل الطائف عرفوا كيف يتعاملون مع النبي، وفعلوا به في أيام ما لم تفعله مكة في عشر سنوات»**. قالت سريعة.

- **«وماذا كان رد أبي سفيان؟»**.
- **«قال لها: إن أهل الطائف يستطيعون أن يفعلوا ما يريدون، فليس هناك من تحالفات عشائرية يخافون المساس بها إذا آذوا النبي، بينما الأمر معقد ومتشابك في مكة»**.
- **«قال ناقور: إن أبا جهل يرى أن الوضع أصبح مناسبًا للتخلص من النبي فور دخوله مكة»**. قال يقظان.
- **«كذب وافتراء، أبو جهل يرى أن الوضع أصبح مناسبًا الآن لكي يعلن إسلامه فور دخول محمد إلى مكة، كان يتحين الفرصة والآن أصبح جاهزًا»**. قالت زاجلة.

رفعت هريرة صحيفة كُتِب عليها: «**أكرِمينا بسكوتك**».

- **«بالنسبة إليَّ، المؤلم في كل هذا ليس كل ما يتناقله أهل مكة عن الأمر...»**. قال الضرس، ثم أكمل: «**المؤلم هو أن هذا الشخص النبيل الأصيل، ابن الكرم والرفعة والرقي، اضطر إلى أن يذهب إلى أشخاص لم يعرفوه ولم يعرفوا مَن يكون، اضطر إلى أن (ينزل) لهم ليعرض عليهم الإيمان، ثم كان ردهم بهذه الخسة**».
- **«صحيح، أهل مكة يعرفون مَن يكون النبي، حتى أعدى الأعداء لا يشككون في أخلاقه وصدقه وأمانته، أما هؤلاء فلا يعرفونه أصلًا»**. قالت القصواء.
- **«بالفعل، لا أفهم كيف استطاع أن يفعلها، يبدو هذا صعبًا جدًّا»**. قالت القصواء وهي تغالب دموعها.

انفجرت هريرة بالبكاء، وشاركتها دجانة ثم قالت: «**لا، لا أريد أن أبكي يا حياتي، أنا غاضبة، غاضبة جدًّا.. غاضبة للغاية.. أريد أن أفرغ غضبي في شيء، أريد أن أفرغ كل غضبي في شخص ما**».

قالت لها هريرة وهي تمسح دموعها: «**تفضلي يا حبيبتي، زاجلة أمامك.. فرّغي غضبك فيها**».

قفزت دجانة فورًا على زاجلة وأخذت تنقر بوجهها بينما زاجلة تصيح وتستغيث.

بعد أيام دخل رجل من قبيلة خزاعة إلى مكة، سأل عن بيت مطعم بن عدي، سيد بني نوفل، وأحد أبناء عمومة بني المطلب.. ذهب إليه وقابله.

قال له: «**إن النبي قد أرسله وهو يحمل منه إليه سؤالًا واحدًا: (هل أَدخُل مكة في حمايتك؟)**».

فقط هكذا.

وافق مطعم بن عدي، ونادى أبناءه وقومه، طلب منهم أن يحملوا أسلحتهم، وقال لهم إنه قد أعلن حمايته للنبي.

خرج معهم وقد ارتدوا أسلحتهم جميعًا وانتظروا النبي عند الكعبة.

مِن خلف دار الندوة، تسلل كل أعضاء المجلس ليراقبوا النبي وهو يدخل مكة بعد أن انتشر خبر حماية مطعم بن عدي له.

شاهدوه، يتقدم ثابتًا، رابط الجأش، رافعًا رأسه، معه ابنه بالتبني زيد.

كان سادات مكة ينظرون له بحقد.. يكادون أن ينفجروا غيظًا. ترقبوا أن يدخل خائفًا ذليلًا لكي يشمتوا.. أعدوا العدة لكي يستقبله سفهاء الصبيان بالحجارة كما حدث في الطائف، لكنه قلب كل توقعاتهم، دخل متحديًا، لو مسه أحد بسوء لاشتعلت مكة بنزاع يأكل الأخضر واليابس.

تقدم مطعم بن عدي ونادى أمام الجميع بأعلى صوت: يا أهل مكة.. محمد في حمايتي، لا يمسه أحد بسوء، ولا حتى بكلمة.

دخل النبي الكعبة وطاف بها، وأبناء مطعم يحيطون به.

ثم وقف عند الركن اليماني وصلّى هناك.

بينما سادات مكة ينظرون بحقد.

انصرف أبو جهل غاضبًا، كان يريد أن ينهي الأمر هذه المرة.

لكن النبي فاجأه.

- «**لم أفهم، هل أسلم مطعم بن عدي؟**». قالت دجانة.
- «**لو أنه أسلم لكان قال ذلك، يبدو أنه قدم الحماية فقط**». قالت هريرة.
- «**حماية حتى من الكلام المُسيء!**». ردت القصواء.
- «**حتى أنا لم أفهم، لماذا مطعم؟ ولماذا أرسل إليه رجلًا من خزاعة، كان يمكن أن يرسل إليه زيد!**». قالت القصواء.

- **«هذه مِن فوائد أن تكون سلحفاة، أن تعيش مدة طويلة بحيث ترى الحلقات الأولى من المسلسل الذي تعيشه الآن»**. قالت سريعة.
- **«ماذا حدث في الحلقات التي فاتتنا يا حياتي؟»**.
- **«حدث الكثير، ما فعله النبي هنا هو أنه ذكّر مطعم، وكل قريش، بحِلْف جده عبد المطلب مع قبيلة خزاعة ضد قريش، كما لو أنه يقول لهم.. يُمكنني أن أعيد الحِلْف، يُمكنني أن أتحالف مع خزاعة ضدكم جميعًا كما فعل جدي، وخزاعة كانت تسيطر على مكة قبل أن تطردها قريش، لعلها تنتظر فرصة التحالف أصلًا»**. قالت سريعة.

سكت الجميع وهم يستوعبون أهمية ما قالته سريعة.

- **«يا لغبائي، تصورت أنه رأى الرجل من خزاعة وهو يسير في الطريق فقال له لو سمحت اذهب إلى مطعم واطلب منه هذا الطلب»**. قالت دجانة.
- **«فهمنا لماذا خزاعة، لكن لماذا مطعم بن عدي؟ هل هناك سبب معين أم أنه مجرد سيد من سادات مكة؟ من بقايا رجالها المحترمين؟»**. سألت القصواء.
- **«مطعم بن عدي هو حفيد نوفل، ونوفل هو عم عبد المطلب الذي حدث النزاع معه، النزاع الذي جعل عبد المطلب يتحالف مع خزاعة ضد كل قريش»**. قالت سريعة.
- **«لحظة نفهم يا جماعة!»**. صاح يقظان.

- «**مطعم بن عدي اسمه الكامل هو مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.. جده نوفل، ونوفل هو عم مباشر لعبد المطلب، اختلف معه عبد المطلب على قطعة أرض، ووقفت قريش مع العم، فتحالف عبد المطلب مع خزاعة**». قالت سريعة.
- «**بعبارة أخرى، النبي هنا يقول: إن لم تفهموا الإشارة من إرسالي لرجل من خزاعة، فلا بد أن تفهموها من أني أرسلته إلى مطعم، حفيد نوفل**». قال الضرس.
- «**بالضبط**». قالت سريعة.

سكت الجميع.

قالت زاجلة: «**ضربة معلم فعلًا**».

ردت هريرة: «**عساها تكون موجعة لمَن في بالي**».

قالت دجانة وهي تنظر إلى زاجلة: «**آمين يا حياتي**».

مكتبة
t.me/t_pdf

- «**ماذا سيحدث الآن؟ مطعم بن عدي يحمي النبي، لكن ماذا لو توفي؟ الرجل كبير في السن، وأولاده ليس لهم مكانته في قريش، حتى لو أرادوا حماية النبي، لا أعتقد أنها ستكون مؤثرة**». قالت القصواء.
- «**أنا واثقة أن وجه الشر والشؤم لن ينتظر دفن مطعم، سيذهب ليقتل النبي فور سماعه أن مطعم قد مات**». قالت هريرة.
- «**إن بعض الظن إثم**». قالت زاجلة بتأثُّر.

رفعت هريرة صحيفة كتبت عليها: «**اخرسيييييي**».

- «**أعتقد أن تجربة الطائف كانت مدرسة للجميع.. للمسلمين، ولكفار مكة أيضًا**». قال الضرس.
- «**في حياتي لم أحب المدارس، لكن هل هناك مدرسة اسمها (الطائف) يا حياتي؟**».

رفعت هريرة صحيفة كُتِب عليها: «**مجاز**». وهي ترفع عينيها إلى الأعلى.

- **«الآن قريش تعلم أن النبي يريد أن يجد النصرة عند قبائل العرب، وهمّها الأول والأخير هو أن تمنعه عن ذلك»**. قال الضرس.
- **«نعم، النبي يحاول أن يقابل كل القبائل القادمة إلى مكة في موسم الحج، أو في عكاظ، يعرض لها الأمر، يشرح لها الإسلام ويطلب منها نصرته»**. قالت القصواء.

«سمعت أنه يقول لهم: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟». يقولها إلى قبائل قادمة من اليمن ومن مضر ومن كل مكان، يطلب المأوى والنصرة. ولكن يتناوب على السير خلفه أبو لهب وأبو جهل، يقولان للناس: لا تتبعوا هذا الصابئ الكذاب، ويتطاول أبو جهل أكثر فيحثو التراب عليه، متشجعًا بأن الأمر كله خارج مكة، ولا يمكن لمطعم أن يفعل شيئًا». أكملت القصواء.

- **«لدي تعليق هنا لو سمحتم، من المؤكد أن أبا جهل هنا كان يغار على أهل مكة ويريد منهم أن يؤمنوا أولًا قبل كل العرب، لذا فهو يحاول أن يمنع القبائل الأخرى من الإيمان لهذا السبب»**. قالت زاجلة.

قامت هريرة بحركة النصر وحركات أخرى تغيظ بها دجانة التي بدت منزعجة.

- **«هريرة ودجانة، ماذا تفعلان؟»**. سأل نبّاح.
- **«تراهنت أنا وهريرة، قلت لها إن زاجلة ستُكذِّب ما ستقوله القصواء عن أفعال أبي جهل، أما هريرة فقد قالت إنها**

ستقول إنه يريد أن يؤمن أهل مكة قبل البقية، خسرتُ الرهان يا حياتي».

- **«حفظتك صمًّا وأنا لا أطيق النظر إليكِ»**. قالت هريرة لزاجلة.
- **«هل هناك أي استجابة لدعوة النبي؟»**.
- **«نعم، سمعت أن هناك استجابتين جديرتين بالاهتمام.. من قبيلة همدان في اليمن، ومن دوس جنوب الطائف»**. قال الضرس.
- **«ولماذا لم يقبل بهما النبي؟»**. سألت زاجلة.
- **«عرض همدان كان من رجل واحد قال إن لديه مكانة عند قومه، ولكنه كان قد جاء وحده، فطلب منه النبي أن يذهب ليخبر قومه ثم يأتي بوفد»**. قال الضرس.
- **«ودوس؟»**.
- **«جاء سيدها وقد أسلم في واحدة من زياراته السابقة لمكة، وعرض على النبي حصنًا تملكه القبيلة، وقال إن الإسلام قد انتشر فيها»**.
- **«ولماذا لم يقبل النبي؟ هذه فرصة مُهمة!»**. قالت زاجلة.
- **«لا، هو يعرف أن أبا جهل سيسلم وتحل كل المشكلات بإسلامه يا حياتي، لذلك لم يقبل بحصن دوس بالتأكيد»**. قالت دجانة ساخرة.
- **«هل تذكرون وفد الأوس الذي جاء قبل سنوات ليطلب النصرة من قريش في الحرب بينهم وبين الخزرج؟»**. سألت القصواء.

- **«من يثرب؟ أذكرهم طبعًا، حروبهم من أيام المرحومة جدتي، عجيب أنهم لم ينقرضوا حتى الآن!»**. قالت سريعة.
- **«في أثناء مجيء الوفد، عرض النبي عليهم الإسلام، تَحمَّس الشباب للأمر، أما سادة القبيلة فقد قالوا إنهم قد قدموا من أجل شيء أهم، الشباب قالوا إن هذا أهم.. لكن الكبار نهروهم»**. قالت القصواء.
- **«هل جاؤوا مرة أخرى؟»**. سألت زاجلة.
- **«لم أسمع بذلك، بل أني أعرف أن بعض الشباب الذين تَحمَّسوا للإسلام قد قُتِلوا في المعركة مع الخزرج»**. سألت القصواء.
- **«صحيح.. مَن انتصر في المعركة؟»**. سأل نبّاح.
- **«الأوس، بالضربات الترجيحية، وبعد أن قتل رؤساء الطرفين»**. قال الضرس.
- **«ربما كان النبي ينتظر شيئًا منهم تحديدًا»**. قالت القصواء.
- **«ينتظر من رؤساء الطرفين؟ صعب إن كانوا قد قُتلوا فعلًا يا حياتي»**.
- **«بل من الأوس والخزرج»**.
- **«يا ليت! هل لديك معلومات مؤكدة عن هذا؟»**. سألتها زاجلة.
- **«لا، أبدًا، فقط إحساس.. لا أعرف كيف أصفه.. هل سمعتم يومًا بفراسة الناقة أو الجمل؟»**. قالت القصواء.
- **«فراسة الناقة؟ لا. سمعت بحقدها فقط يا حياتي»**.

علقت سريعة: «**صحيح، يقولون في الأمثال: أحقد من جمل**».

- «**أنا سمعت عن فراسة الخيل، ولكن عندما أرى الأستاذ ضرس وهو يحسن الظن بزاجلة أتأكد أن الأمر غير صحيح**». قالت هريرة.

صهل ضرس بغضب.

- «**لا عليك يا ضرس، يقول المثل أيضًا: لكل جواد كبوة**». قالت سريعة وهي تضحك بخبث.
- «**وهل زاجلة كبوة؟ زاجلة سقطة كبيرة جدًّا، لا قيام منها**». نظرت هريرة شزرًا إلى زاجلة.
- «**تتنمَّران عليَّ لأني مهذبة ووديعة لا أقل ولا أكثر، تعرفان؟ لا بد أن ذلك مرتبط بمشكلات في الطفولة، ربما تعرضتما للتنمُّر، للسخرية، أو نقص الاهتمام.. تريدان أن تعوضا ذلك عبر التهجُّم عليَّ**». قالت زاجلة بتأثُّر.
- «**أنا لم أتعرض للتنمُّر. وُلِدت مُتنمِّرة أصلًا. وتنمَّرت على الجميع منذ طفولتي**». قالت هريرة.
- «**لم أكن أعرف ما يعني التنمُّر إلا مؤخرًا، اتضح أنه المعتاد الذي عشناه طيلة حياتنا، نتنمَّر ويتنمَّرون علينا، لا عُقد ولا يحزنون يا حياتي**».
- «**بعيدًا عن الحدس والحقد والتنمُّر، هناك شيء مؤثر عرفته أول أمس**». قالت هريرة.

التفتوا إليها جميعًا.

- «أخذتني إنسانتي أروى معها إلى جلسة نساء، أعترف أن هذه الجلسات لم تَعُد ممتعة كما في السابق؛ إذ لم يَعُد فيها الغيبة والنميمة التي تروق لي، منذ أن أسلمت إنسانتي أوقفت هذا للأسف، من حسن الحظ أن (هند) و(أم جميل) لا تزالان في مرمى الغيبة والنميمة، كنت سأكف تمامًا عن الذهاب لولا هذا، تحدثن هذه المرة عن ثوب «الرازقية». الذي ارتدته هند مؤخرًا عندما ذهبت إلى سوق عكاظ، كان من القطن الناعم أبيض اللون، أجمعت السيدات على أن هذه الدرجة من اللون الأبيض لا تليق بهند، وأنه كان سيكون أجمل لو كان أكثر بياضًا، وأكدت سيدة أخرى أن هذه ليست أول مرة ترتدي فيها هند هذه الرازقية إذ سبق أن ارتدتها في سوق المجنة في الموسم السابق، لكن صححت لها سيدة أخرى بأن ذلك ليس دقيقًا لأن تلك الرازقية كانت من الكتان الأبيض المشوب بزرقة، اتفقت الأغلبية من السيدات على رشاقة وجمال هند، لكنهن أجمعن دون استثناء على كونها قوية ولئيمة، وعلى أن حذاءها الجديد تحفة فنية، أما أم جميل فقد كان هناك إجماع على كونها قد جمعت كل عيوب سيدات قريش في شخصها، خاصة اختيارها لألوان ملابسها، عدا عن حقدها وشرها، شيء لا يصدق، بعد كل هذه السنوات لم تتعلم من زوجة أخيها أي شيء، أقصد في انتقاء الألوان، كانت ترتدي خمارًا أصفر اللون، وقباطية زرقاء اللون غير مناسبة لجسدها الممتلئ تحت غلالة خمرية اللون، تخيلوا خليط الألوان! فوق كل هذا كانت ترتدي حذاء...».

قاطعها الضرس: «**لو سمحتِ هريرة، نعرف كم مُهمة ومُؤثرة ومصيرية هذه التفاصيل بالنسبة إليك، ولكن هل ممكن أن نعود إلى الموضوع؟**».

- «**هذا هو الموضوع، مهم جدًّا للمرأة المسلمة يا عزيزي أن تعرف خطوط الموضة وما يناسب ولا يناسب من الألوان، ماذا تريد أن يقول الناس عنّا؟**».
- «**كنت قد قلتِ إنك سمعتِ شيئًا مؤثرًا جدًّا في هذه الجلسة.. أرجو ألا يكون حذاء أم جميل هو المقصود**».
- «**الشيء المؤثر هو أن خولة بنت حكيم تحدثت مع إنسانتي أروى على انفراد، سألتها: هل رأيتِ ابن خالك مؤخرًا، تقصد النبي، فقالت لها أروى: إنه لم يَعُد يخرج كثيرًا من المنزل وإنها لم تره منذ مدة، عندها بكت خولة وقالت لها: إنها رأته وفاجأها كم فقد من وزنه بعد وفاة خديجة، بكت السيدتان معًا، ثم أكملت خولة، إنها أخبرت النبي أن الحزن على خديجة قد أنحفه، فرد عليها ردًا أبكاني أنا**». قالت هريرة وهي تمسح دمعتها.
- «**ماذا قال يا حياتي؟**».
- «**قال لها: هي أم العيال.. وربة البيت**». قالت هريرة وهي تبكي، ذرفت القصواء وسريعة وزاجلة الدموع أيضًا.
- «**هذا هو الرجل حقًّا يا حياتي، وليس مثل أشباه الرجال الذين ابتلينا بهم، متأكدة أن يقظان سيتزوج دجاجة أخرى قبل أن أنضج على النار**».

- «**تأكدي أني لن أفعل ذلك.. جربي الأمر بنفسك لتتأكدي.. دعيهم فقط يذبحونك ويضعونك على النار، وستعرفين أني سأبقى مخلصًا لكِ**». قال يقظان بلؤم بينما الضرس ونبّاح يخفيان ضحكاتهما معه.
- «**يا دجانة، لا تطلبي من يقظان ما لا تقدمينه له، يقول المثل: كوني له مثل خديجة، يكُن لكِ مثل محمد**». قال الضرس.
- «**ما هذا المثل؟ لم أسمعه من قبل**». قالت سريعة.
- «**ستسمعه حفيداتك كثيرًا إن شاء الله**». رد الضرس بثقة.
- «**لا يا حياتي، عُرْف الديك لا ينعدل، بالإذن من ذيلك يا نبّاح، لا أجرب ولا يجرب، راضية بالهم ومتقبلة لقدري، أكملي يا هريرة...**».
- «**بكت إنسانتي أروى كثيرًا عندما سمعت ما قاله النبي عن خديجة، وحكت أشياء مثل الشعر عن وفائه ورِفعة أخلاقه، ثم تناقشتا هي وخولة عن ترشيح زوجة له لكي تدير شؤون البيت والبنات**».
- «**حسنًا، لا بأس هذا من حقه، خاصة أنه بقي وفيًّا لها، لكني قصدت أن تكملي عن حذاء أم جميل يا حياتي**».

- «**كانوا ستة، خمسة رجال وامرأة واحدة، من يثرب، الخزرج هذه المرة.. عرض عليهم النبي الإسلام، كما يعرضه على الجميع، ولكن كما لو أنهم كانوا ينتظرون ذلك، أسلموا جميعًا على الفور**». قالت القصواء.

قال الضرس: «**علينا أن نكون حذرين من هذه الأخبار، ربما هناك من يريد شرًّا بالخزرج.. أو بالنبي، لذا ينشر هذه الأخبار**».

نظرت إليه القصواء متعجبة: «**ما قصتك يا ضرس؟ أنا متأكدة من هذه الأخبار**».

- «**كل ما قصدته هو التحقق من كل شيء قبل تداوله. (فتبيّنوا)، لا أكثر**».
- «**نعم، تحققت وتبيّنت، ماذا تريد؟**».
- «**خمسة رجال وامرأة واحدة فقط، لدي تحفُّظ على تمثيل المرأة في هذا الأمر، نحن نصف المجتمع، ومع حروب الرجال وكوارثهم، نحن أكثر، عمومًا هذه خطوة على الطريق، في المرة القادمة سيكون هناك عدد أكبر، أو نضع عددًا معينًا يجب أن تشغله النساء**». قالت هريرة.

- **«ما لم أفهمه بعد، ما المُختلف في يثرب بحيث يجعل أهلها متقبلين للإسلام، هذه ليست المرة الأولى، قبل سنوات كانوا من الأوس، واليوم من الخزرج»**. قال نبّاح.
- **«الله يهدي مَن يشاء، لماذا تحاول أن تعرف كل شيء يا نبّاح؟ تذكرني بواحدة لا تكف عن الأسئلة»**. قال يقظان وهو ينظر إلى دجانة التي قالت لها هريرة فورًا: **«تجاهليه»**.
- **«لست مهتمة قط بكلامه يا حياتي، على رأي المثل: المهم ألَّا نتوقف عن التساؤل»**.
- **«مِن أين تأتون بهذه الأمثال!»**. قالت سريعة.
- **«نبّاح على حق، حتى هداية الله تكون أحيانًا عبْرَ طرقٍ وأساليب، وكلها منه عز وجل»**. قال الضرس.
- **«فما المُختلف في يثرب إذن؟»**. قال نبّاح.
- **«لا أعرف، لكن هذا الأمر ليس صدفة، خاصة إذا صح ما قاله هؤلاء الستة إنهم سيذهبون إلى يثرب ويجلبون المزيد من الناس»**. قالت القصواء.
- **«لعلَّ مَن شاهد الحلقات الأولى يستطيع أن يشرح لنا شيئًا عمَّا فاتنا»**. قال الضرس متوجهًا بكلامه إلى سريعة.

تنحنحت سريعة وهي تتحضر للكلام..

- **«نعم، أول ما يأتي في بالي عن اختلاف يثرب عن بقية الأماكن في جزيرة العرب، هو تمركز اليهود فيها جنبًا إلى جنب مع العرب في يثرب، لا أعرف كيف يؤثر هذا على الموضوع، لكن أغلب أماكن اليهود الأخرى تكون منعزلة،**

أما يثرب فوضعها مختلف، هناك تداخل وتعايش وأيضًا حروب بينهم وبين العرب فيها». قالت سريعة.

- **«رائع يا سريعة، هذا مؤثر جدًّا على ما يحدث الآن، كيف لم أنتبه إلى هذا؟»**. قال الضرس.
- **«كيف وجود اليهود في يثرب يؤثر في دخول أهل يثرب في الإسلام؟»**. سألت زاجلة.
- **«اليهود لا يعبدون الأصنام، بل يعبدون الله الواحد، لديهم كتاب سماوي، وهم أهل صناعة وزراعة، وحصونهم قوية، ولعل هذا يجعل أهل يثرب من العرب يتقبلون التوحيد أكثر، هم يرون اليهود بلا أصنام، فجعلهم هذا أقرب تقبلًا للتوحيد»**. قال الضرس.
- **«صحيح، هذا ممكن جدًّا»**. قال نبّاح.
- **«غالبًا هناك شيء آخر، الآن تذكرته»**. قالت القصواء.

التفت الجميع إليها.

- **«تذكرون عندما تحدثنا عن المعركة التي تحارب فيها الأوس والخزرج منذ سنوات؟»**.
- **«التي فاز بها الأوس بضربات ترجيحية، ما بالها؟»**.
- **«رغم أن الأوس انتصروا، فإن هذه الحرب قتلت كل كبارهم، كل سادات الأوس والخزرج قُتِلوا فيها»**. قالت القصواء.
- **«هذا محزن، لكن كيف يؤثر هذا على تقبّل أهل يثرب للإسلام؟»**.

- **«تخيلوا فقط لو أن الوحي نزل على النبي، ومكة قد فقدتْ أبا جهل وأبا لهب وأمية وأبا سفيان وعتبة وعقبة.. بربطة المعلم!»**. أكملت القصواء.
- **«حتى لو أبو جهل فقط كنا سنكون بخير ورضا»**. قالت هريرة.
- **«بعيد الشر»**. ردت زاجلة بصوت خافت.
- **«بالفعل، مكة دون هؤلاء، سيكون أمر إسلامها أسهل بكثير، سيُبرَز آخرون حتمًا، لكن قوة هؤلاء وأثرهم كبير»**. صهل الضرس مرحبًا بالفكرة.
- **«هذا ما حدث مع يثرب، مات كبار ساداتهم من الطرفين، الشباب متقبلون أكثر للأفكار الجديدة، وربما غير متمسكين كثيرًا بإرث الآباء الذي أورثهم الحرب والعداء، وقرب اليهود، كل ذلك جعل أهل يثرب أكثر تقبلًا للدين الجديد، رائع يا قصواء»**. قال نبّاح.
- **«يا حياتي، تقريبًا فهمت ما تقولين.. تقريبًا، لست متأكدة»**.
- **«كما يقول المثل: الأفكار الجديدة لا تنتشر باقتناع الناس، بل بموت المعارضين لها»**. قال الضرس.
- **«مستحيل! كل هذه الأمثال لا أعرفها! أخشى أن ذاكرتي لم تَعُد بخير»**. فكرت سريعة بصوت مرتفع.
- **«لا تقلقي.. هذا قول مشهور لعالم سيأتي بعد أكثر من ألف سنة إن شاء الله»**.

- «**هناك أيضًا ربما شيء آخر، يخص الخزرج تحديدًا**». قالت سريعة.
- «**الخزرج هم أخوال النبي، ليسوا أخواله مباشرة، أخوال أبيه.. في الحقيقة أخوال جده عبد المطلب، فأم عبد المطلب هي سلمى بنت عمرو سيد بني النجار، وقد كانت أم النبي آمنة في زيارة لأخوال زوجها والنبي معها عندما تُوفيت**».
- «**آمنة، كم تمنيت لو رأيتها.. يقولون عنها إنها كانت سيدة رقيقة ولطيفة جدًّا**». قالت هريرة.
- «**سيدة بكل معنى الكلمة، رقيقة، هادئة، مهذبة، نشأت يتيمة، ثم تزوجت من ابن سيد مكة، لكنه سرعان ما مات وهي حامل بالنبي. تخيلوا أنها ماتت وهي في طريق العودة من يثرب، وكان معها.. دُفنت في الطريق وعاد وحيدًا مع القافلة**». قالت سريعة وهي تمسح دمعتها.
- «**رباه! كم كان عمره؟**». سألت دجانة.
- «**ست سنوات، كفله جده إلى أن مات بعد عامين ثم كفله عمه أبو طالب**».
- «**ست سنوات، صغير جدًّا يا حياتي على كل هذا**».
- «**نعم، تجربة صعبة لا شك**». قالت القصواء.
- «**هل تقصدين يا خالة سريعة أن الخزرج سيدعمون النبي لأنه قريب لهم، ألا يتعارض هذا مع ضرورة أن يكون الإسلام من القلب**». قالت زاجلة.

التفتت سريعة إلى دجانة وهريرة: «**هل قالت خالة؟ لم أسمعها جيدًا**».

- «**لا أخفيك سرًّا، نعم، قالت خالة يا حياتي**».
- «**قالت خالة وأشياء أخرى**». أكملت هريرة.
- «**دعك يا زاجلة من هذا، هذه مجرد فرضيات نتحدث عنها، حتى موضوع الأشخاص الستة من الخزرج ليس مؤكدًا بعد**». قال الضرس.
- «**ما قصتك يا ضرس؟ لمَ تُشكك في كلامي؟ قلت لك واثقة من هذه المعلومات**». نظرت إليه قصواء بغضب.
- «**فتبيّنوا، لا أكثر**». صهل الضرس.

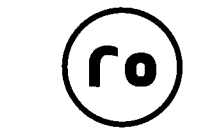

- «**الستة أصبحوا اثني عشر**».

قالت القصواء.

- «**الأخبار غير مؤكدة**».

رد الضرس وهو يصهل ويهز ذيله.

- «**بل هي مؤكدة، سمعتها أيضًا**». قال نبّاح.
- «**مهمتنا أن نعرف ماذا يفعل سادة قريش لكي نعرقل ما يفعلون، لا أن نراقب ما يفعله النبي**». قال الضرس.
- «**ما قصتك يا ضرس؟**». سأله يقظان.
- «**إذا كانت الأخبار تصل إلينا فهي تصل إلى سادة قريش من باب أولى، لا بد أنهم وضعوا عيونًا هنا وهناك، ولقد وصلنا الآن إلى مرحلة دقيقة.. ووصول هذه الأخبار إلى سادة قريش قد يكون مُضرًّا للنبي وللمسلمين، لذا الحذر**». قال الضرس.
- «**ماذا نفعل؟ نتظاهر أننا لم نسمع الأخبار؟ كيف سيفيد هذا المسلمين؟ إذا وصلتنا فقد تصل إلى غيرنا**». قالت القصواء وهي تهز رأسها نافية.

- «**معها حق يا ضرس، في الوقت نفسه.. أتوقع أن الأخبار لو وصلت إلى سادات مكة فإنها ستشجعهم على النظر بجدية إلى الإسلام، سيقولون لا بد أن يكون هناك ما هو مميز في هذه الدعوة، بحيث إن أهل يثرب ابتدؤوا يأخذونها، على الأقل أبو جهل سيفعل ذلك**». قالت زاجلة.
- «**صحتي لم تَعُد تحتمل غباء زاجلة، الضغط.. الضغط**». صاحت دجانة وهي تستند إلى الحائط.
- «**لو حدث شيء لها فأنتِ المسؤولة عن ذلك**». قالت هريرة وهي تنفخ بوجه زاجلة.
- «**كلامك منطقي يا ضرس، ما يصل إلينا قد يصل إلى سادة مكة.. وقد يحاولون إيذاء النبي أو تعطيل مسيرته، لكن ماذا يمكننا أن نفعل إزاء ذلك؟**».
- «**كل ما أقوله هو ألَّا نتداول أخبارًا لا نفع لها في عملنا المباشر، الأخبار قد تكون إيجابية جدًّا، ولكنها لن تؤثر على عملنا، فلمَ نتداولها؟**».
- «**مرة أخرى أحب أن أعلن شكوكي بصحة الدراسات التي تتحدث عن ذكاء الخيول، وشكرًا**». قالت هريرة.
- «**تريد ألَّا نتداول الأخبار السارة ونسمع فقط أخبار الهم والحزن وغباء زاجلة الذي يرفع الضغط؟ عني وعن زوجي يقظان، ننسحب من المجلس أفضل، نريد أخبارًا تروّح عنا يا حياتي**».

- **«أنا أيضًا، تداول الأخبار من دوافعي المهمة للحضور، ما الذي يبقى من المتعة والشغف إن لم يكُن هناك أخبار نتداولها؟»**. أكدت هريرة.
- **«أهم شيء الشقف يا حياتي»**.
- **«بالمناسبة لدي خبران بألف ألف درهم.. كل واحد منهما بألف ألف درهم»**. تذكرت هريرة.
- **«إذا كان الخبر يتضمن أسماء يجب ألَّا نعرفها فلا داعي لذكره يا آنسة هريرة»**. قال ضرس متوسلًا.
- **«حلوة منك (يا آنسة)، عندما تريد مني شيئًا تناديني بلطف وتقول يا آنسة، وعندما تحصل على حاجتك، تناديني هريرة فقط»**.
- **«دعك منه وأخبرينا»**. قالت القصواء.
- **«الاثنا عشر رجلًا، عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، أي أن نظرية أختنا الحسناء الشابة سريعة يمكن أن تكون صحيحة، الخزرج أكثر تقبلًا ربما لأنهم أخوال النبي»**.
- **«تستحقين ألف ألف درهم بالفعل»**. قالت سريعة بفرح.
- **«لم أقل الخبر بعد...»**.
- **«قصدت تستحقين ألف ألف درهم لأنك قلت إني أختك الحسناء الشابة!»**.
- **«إذا لم يكُن هذا أيًّا من الخبرين، فما الخبرُ؟»**. سألتها القصواء.
- **«إن هؤلاء قد بايعوا النبي»**.

- **«بايعوه؟ على ماذا؟ قال الضرس وقد بان عليه القلق».**
- **«بايعوه على ألَّا يشركوا بالله، ولا يسرقوا، ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان، وعلمًا أني لم أعرف ما البهتان».**
- **«أنا لم أفهم شيئًا أصلًا، كيف يعني باعوه يا حياتي؟».**
- **«دجانة، فضحتِنا.. بايعوه، بايعوه.. وليس باعوه».**
- **«ما معنى هذه الكلمة؟ أليست معنى باعوه نفسه يا حياتي؟».**
- **«لا يا حياتي، باعوه، غير بايعوه».** قالت هريرة.
- **«ما معنى بايعوه؟».**
- **«هل عليَّ أنا أن أفعل كل شيء؟ رُد أنت يا ضرس، ما معنى بايعوه؟».**
- **«يعني عقدوا معه بيعًا».** قال الضرس كما لو أنه يستذكر المعنى من المعجم.
- **«ماذا يعني هذا؟ هل باعوا أنفسهم له؟».** تساءلت دجانة.
- **«كيف يبيع الحر نفسه! هل هذه تعاليم الإسلام؟».** تمتمت زاجلة.
- **«عقدوا معه البيع يعني عاهدوه على شيء معين، كما لو أنهم باعوه هذا الشيء وانتهى الأمر».** قال نبّاح بعصبية.
- **«هل هذا هو خبر الألف الألف درهم؟ لا يبدو مُهمًّا، لن يعبدوا إلا الله ولن يزنوا ولن يسرقوا، ما الخَطرُ في ذلك؟».** قال يقظان.
- **«لا أعرف. أكد مصدري الموثوق الذي لن أقول لكم مَن هو أن الأمر جد خَطرٌ».**

- «**هل كانت إنسانتك أروى؟**». سألتها قصواء.
- «**كيف عرفتِ؟**». تفاجأت هريرة.
- «**في الحقيقة الأمر مهم جدًّا بالفعل كما أكد مصدر هريرة الذي يفترض ألَّا نعرفه.. حسب معلوماتي، العرب لا يبايعون إلا رؤساء عشائرهم، هنا بايع أشخاص من عشيرتين متحاربتين شخصًا من عشيرة ثالثة، لم يحدث هذا من قبل، هذا اختراق للعشائرية**».
- «**احتراق؟ كيف يا حياتي؟**».
- «**اختراق وليس احتراق يا دجانة**».
- «**اختراق، هل كان معهم سكين أم اخترقوا بنصل سيف حاد؟**».

رفعت هريرة صحيفة كُتِب عليها: «**هذا مجاز**». ثم التفتت إلى ضرس: «**أليس كذلك؟**».

- «**هو اختراق للعشائرية بالفعل. أكاد أشمُّ رياح التغيير بالفعل**». قال نبّاح.

رفعت دجانة أنفها ثم التفتت إلى هريرة: «**رياح التغيير مجاز أيضًا، صحيح؟**».

- «**ما الخبرُ الآخر، ألف ألف درهم الأخرى؟**».
- «**النبي أرسل أحد المسلمين من مكة، إلى يثرب.. ليُعلِّم الناس هناك القرآن والدين**».
- «**لو سمحت لا داعي لذكر الاسم يا هريرة**». قال الضرس.

- «**اسكت أنت**». صاحت به دجانة وسريعة وقصواء في وقت واحد. «**مَن هو يا هريرة؟**».
- «**لن أقول لكم بسهولة، ابذلوا جهدًا في الأمر**». قالت هريرة وهي تتمطى.
- «**ساعدينا بتلميحات يا حياتي**».
- «**أكثر شباب قريش وسامة وأناقة، كل ملابسه ماركات عالمية، الناس تميز خروجه من البيت لأن عطره الفاخر يفوح في مكة كلها، مَن يكون؟**».
- «**لدينا مجموعة من الشباب الذين يتنافسون على لقب الأشد وسامة وأناقة، غيمة العطر كذلك، هل هو مرتبط؟**».
- «**لا**». ردت هريرة.

التمعت عينا دجانة.

- «**غير مرتبط؟! لا متزوج ولا خاطب؟**».
- «**ليس متزوجًا، لا أعرف إن كان قد خطب، لكن لا شيء رسمي أو مُعلن**».
- «**أول حرف؟**». سألت قصواء.
- «**أول حرف.. أول حرف.. ميم**».

قفزت دجانة..

- «**مصعب بن عمير بالتأكيد**».
- «**صحيح**». قالت هريرة.
- «**مصعب يا حياتي**». وضعت دجانة جناحيها بعلامة القلب، بينما قال يقظان بغضب: «**احتشمي يا دجاجة**».

- **«اختيار ممتاز، كاريزما وطلة إعلامية مؤثرة، ابن عائلة ووسامة وأناقة وتهذيب، كل هذه الأمور تؤثر في الناس»**. قالت سريعة.
- **«ألم يكُن في الحبشة؟»**. قالت زاجلة.
- **«نعم، وعاد، ولهذا تصور الجميع عندما غادر أنه غادر إلى الحبشة، لكنه في الحقيقة ذهب إلى يثرب»**. قالت هريرة.
- **«كما لو أنني أستحلفتك أن تقولي كل ما تعرفين من أسرار»**. قال الضرس لهريرة لائمًا.
- **«بالمناسبة، أنا هريرة.. قطة حرة ومستقلة وقوية.. ولا أستلم أوامر منك»**.
- **«مصعب سينجح في الأمر إن شاء الله، بالإضافة إلى كل ما مضى.. تجربته في الحبشة بالتأكيد جعلت أفقه يتسع، وهذا سيعينه في يثرب»**.
- **«أفقه يتسع.. كيف يا حياتي؟»**.

رفعت هريرة صحيفتها **«هذا مجاز»**.

- **«الأخبار التي تسربت أن عددَ أهل يثرب الذين جاؤوا يبايعون في حج هذه السنة قد تجاوز السبعين!»**. قالت القصواء وهي تصفق.
- **«سبعون في عام واحد! تقريبًا هذا يعادل كل مَن أسلم في مكة في عشر سنوات»**. قال نبّاح.
- **«قلت لكم إن مصعب سينجح في المَهمة، لا تقللوا أبدًا من أثر الطلة والوسامة والكاريزما»**. قالت سريعة.
- **«هذه هي نقطة التحول بلا شك»**. قال نبّاح.

نظرت دجانة إلى الأرض وأخذت تبحث عن شيء..

- **«أين هذه النقطة؟ لا أرى شيئًا يا حياتي»**.
- **«كفى يا دجانة، هذا مجاز.. يُخيَّل لي أحيانًا أنك تفهمين المجاز هذا ولكن دور الدجاجة الساذجة راق لكِ، ربما لأن المجتمع الذكوري يروق له أن تكون الأنثى هكذا»**. قالت هريرة بكسل.

- **«فلنتذكر أن هذه مجرد أخبار قد يكون لا أساس لها من الصحة، لقد وصلت هذه الشائعات إلى سادة قريش، ولحقوا بالخزرج بعد مغادرتهم مكة، وسألوهم عن الأمر، وأنكروا ذلك»**. قال الضرس.
- **«معلوماتي مؤكدة يا ضرس، إذا كنت تعتقد أن هذه مثالية فأنت مخطئ، تبدو لي أقرب إلى الاضطراب النفسي»**. قالت قصواء.
- **«سمعت أيضًا أنهم أقسموا إنه لم يحدث شيء من هذا، إذا كان المؤمنون يحلفون كذبًا هكذا فعلى الدنيا السلام»**. قالت زاجلة.
- **«ومَن قال إن المؤمنين هم الذين حلفوا أصلًا، ما سمعناه أن الخزرج الذين حلفوا أنه لا يوجد شيء كهذا كانوا من المشركين الذين لم يعرفوا أصلًا ما حدث، لم يكُن مسلمو الخزرج أعلنوا الأمر على غيرهم، بقيَ الأمر سريًّا طبعًا»**. قالت القصواء.
- **«هل كانت البيعة نفسها؟»**. سألت سريعة.
- **«لا، هذه المرة التفاصيل مختلفة.. بايعوه على السمع والطاعة ونصرته والدفاع عنه إذا قدم إلى يثرب، كما يدافعون عن أبنائهم»**. قالت القصواء بفرح.
- **«هذه بيعة حرب إذن!»**. قالت سريعة.
- **«لا أعرف ما الذي سنستفيده من هذه التفاصيل؟»**. علق الضرس.

- **«سمعت أيضًا أن العباس عم النبي قد حضر البيعة ليكون شاهدًا عليها، ولأنه يعرف الكثير من رجال الأوس والخزرج فقد توقع أن يعرف منهم أحدًا، لكنه قال إن هؤلاء شباب لا أعرفهم»**. قال نبّاح.
- **«نعم، لا يعرفهم لأنهم شباب، ولأنهم شباب فقد تمكنوا من رؤية العالم بطريقة مختلفة، وتقبلوا الدين الجديد»**. قالت قصواء.
- **«يا هريرة، لم نسمع صوتك اليوم يا حياتي، هل أنت بخير؟ يزعجك شيء؟ عدا زاجلة طبعًا»**.
- **«نعم، هذا صحيح، كنت أعتقد أني قادرة على السيطرة على عواطفي بحيث لا يظهر مزاجي السيئ على وجهي حتى لا أبث روحًا سلبية..لا أريد أن أوهن الروح المعنوية للناس»**.
- **«لا يا حياتي، ذيلك يفضحك، حاولي السيطرة عليه بدلًا من وجهك»**.
- **«ما الأمر يا هريرة؟ ما الذي يزعجك؟»**. سألتها سريعة.
- **«بصراحة، أمران.. الأول، إن نسبة تمثيل النساء في هذه البيعة لم ترُق لي.. امرأتان فقط؟! نحن أكثر من نصف المجتمع، كيف تمثلنا امرأتان فقط.. مقابل سبعين رجلًا.. متأكدة أن هناك خطأ في الأمر»**.
- **«يا هريرة، الأمر سري، غالبًا الخبر أصلًا تسرب لنا من هاتين المرأتين لو كان العدد أكبر لوجدنا مكة كلها تحضر البيعة وتشاهدها على البث المباشر»**. قال نبّاح ضاحكًا، وشاركه يقظان والضرس.

- **«ذكوريون يهاجمون صورة نمطية للمرأة، الرجال يتناقلون الأخبار ويتمتعون بها أيضًا لكنهم يخفون ذلك، بينما النساء صريحات ولا يجدن مشكلة في الإعلان عن هذا»**. قالت هريرة بغضب.
- **«أعجبك الآن يا هريرة؟ حصلنا على اتهامات جاهزة بسبب مطالبتك بنسبة تمثيل أعلى، ما الأمر الآخر الذي يزعجك؟»**. سألتها سريعة.
- **«لست متأكدة تمامًا حتى الآن، لكن يبدو أن إنسانتي تستعد لتصفية كل شيء والسفر إلى يثرب»**.
- **«السفر إلى يثرب؟ ما الذي تقولينه؟»**. قالت القصواء.
- **«نعم، سمعتها تتحدث مع بعض النسوة عن الأمر، قالت إنها ستبيع كل أثاث المنزل الذي لا يمكن أن تنقله معها إلى هناك، وجاء البعض ونقلوا بعض الحاجيات فعلًا، وكانت إنسانتي تبكي وتقول إن هذه القطعة لأمها، وتلك لجدتها»**.
- **«هذا ليس سفرًا يا هريرة»**. قالت القصواء.
- **«ماذا إذن؟ هو سفر بالتأكيد»**.
- **«هذه هجرة يا هريرة»**. قالت القصواء بعد صمت قصير.
- **«هذا صحيح، لا يبدو كسفر بالنسبة إليَّ أيضًا.. هذه هجرة»**. قالت سريعة وهي تتأمل هريرة.
- **«ما الفرق؟ ماذا تقصدون؟ لا أفهم»**. قالت دجانة بِحَيْرة.

عم السكوت.. لم يرد أحد على تساؤلات دجانة. هريرة كانت تنظر إلى الجميع نظرة حزينة.

- «**هل تقصدون أننا لن نرى هريرة بعد اليوم؟**». سألت دجانة.

لم يرد عليها.

انفجرت دجانة بالبكاء بحرارة، وبكت معها هريرة وسريعة ومسح نبّاح دمعته.

- «**لم أتخيَّل قط أنني سأبكي على فراقك يا هريرة**».
- «**شكرًا يا نبّاح، لكن تعرف أن هذا لا يعني أنني يجب أن أبكي عليك أنا أيضًا.. هذه الأمور ليست بالمقايضة**». قالت هريرة.

توقفت دجانة عن البكاء فجأة وقفزت قفزة سريعة نحو زاجلة التي أخذت تصرخ.

تمكن نبّاح والقصواء من سحب دجانة وهما يسألونها: «**هل جننت؟ ما دخل المخلوقة بهجرة هريرة؟**».

- «**سامحوني يا حياتي، لم أستطع أن أتخيَّل نفسي في المجلس دون هريرة بينما وجهي بوجه هذه اللئيمة**». قالت دجانة.
- «**عمومًا لن تضطري إلى ذلك**». قال الضرس.

التفت إليه الجميع.

- «**هل ستهاجر زاجلة أيضًا إن شاء الله يا حياتي؟**».
- «**لا**».
- «**هل سيصطادونها ويأكلونها ونرتاح منها؟ قولوا آمين يا قوم**».
- «**لا، لكن اجتماعاتنا يجب أن تتغير من الآن فصاعدًا**». قال الضرس.
- «**كيف تتغير؟**». سألته القصواء بريبة.

- **«ستصبح ثلاثية، كل فردين يلتقيان بثالث، يتبادلون ما عندهم، ثم يلتقي الثالث بفردين آخرين، وهكذا».**
- **«لماذا؟».**
- **«لأسباب أَمنيّة».**
- **«مَن أَمنيّة؟».**
- **«أَمنيّة هي أخت غير شقيقة لسامية، خالتك يا دجانة».** قال يقظان.
- **«اشرح لنا أكثر».**
- **«سمعت أن سادات مكة لديهم شكوك في أن الحيوانات تتعاون مع محمد».** قال الضرس.
- «**ماذا؟ كيف؟ لم أسمع بهذا قط!**». قالت زاجلة.
- **«لا أستطيع أن أقول مصدر الخبر، لكن زوجة أحد سادات مكة رأت في المنام أن الحيوانات تساعد النبي، وزوجها يصدق بمناماتها، وقد انتشر الخبر بين سادات قريش».**
- «**خَطِرة هذه السيدة، بربك مَن تكون؟**». قالت هريرة.
- **«لن أقول».**
- **«أول حرف فقط يا حياتي».**

صهل الضرس غاضبًا.

- **«كفى. المهم أن نأخذ الحذر في الاجتماعات، ألتقي أنا بكل فردين منكم، أنت وهريرة، ثم نتباح وسريعة، قصواء ويقظان، أنا وزاجلة، هذا كل شيء».**
- **«أنت وزاجلة، وحدكما يا حياتي؟!».**

قالت هريرة: «**إنسانتي تؤجل الهجرة، تقول: إنها تريد أن تهاجر مع ابنها عثمان، وعثمان يريد أن ينتظر ليعرف ماذا سيفعل النبي**».

سألها الضرس: «**هل هناك شيء من أبي لهب؟**».

- «**كل سادات مكة في أزمة، ليس لهم موقف واحد، أم جميل تقول: إن خروج النبي أفضل لمكة، أبو لهب يقول: إن الأمر سيكبر وموقع يثرب يمكن أن يتحول إلى عقبة بوجه تجارة قريش، مر عليه عتبة وأبو سفيان قبل يومين، ابن عتبة هاجر فعلًا، وعتبة مستاء جدًّا، يقول كان علينا أن نقتل النبي قبل أن يصل الأمر إلى هذا**».
- «**وأبو سفيان؟**».
- «**ساكت كعادته، يراقب ما يدور ولا يعلق، مستاء طبعًا وخائف مما سيحدث، لكنه لا يصعد موقفه أبدًا**».
- «**لا شيء من أبي جهل؟**».

- «قال أبو لهب ضمن الكلام: إن أبا جهل قال له إنه ينتظر موت مطعم بن عدي لكي يقتل النبي، ووافقه أبو لهب على ذلك.. لكن لا شيء أكثر من ذلك».
- «يا حياتي، لو كانت زاجلة معنا لقالت إن أبا جهل يقصد لو مات مطعم بن عدي سأحمي النبي بنفسي».

- «هل من شيء من أبي سفيان يا سريعة؟».
- «هند غاضبة وتهدد بمغادرة البيت إن لم يشترِ لها أبو سفيان حصانًا جديدًا، تريده أسود اللون ليتناسب مع طلتها هذا الربيع».
- «أقصد من موقف أبي سفيان من هجرة المسلمين إلى يثرب».
- «يحاول أن يتعاون مع الأوس والخزرج ويهود يثرب لكي يعرقل موضوع الهجرة».
- «حقًّا؟ ماذا يفعل؟».
- «أرسل إلى أحد زعماء الخزرج، وكل زعماء اليهود، يجس النبض لكي يرى الخطوة القادمة، هند تقول له: إن هذا سيطيل الأمر ويعقده، وتقترح أن يتخلص من النبي غِيلة».
- «وأبو سفيان؟»
- «يرفض ذلك، يقول مكة لا ينقصها شقاق، ومطعم يحمي النبي، والقاتل مَهما تخفَّ سيُعرَف في النهاية».

- «نتاح هل شيء من عتبة بن ربيعة؟».
- «عتبة يقول: إن ثمة لعنة قد حلت على مكة، وإن موعد الكارثة اقترب، مقتنع تمامًا أن الأمر بدأ مع عبد المطلب عندما تحالف مع خزاعة.. الأمر بالنسبة إليه لم يعد النبي، بل عبد المطلب، يتحدث عنه طيلة الوقت».
- «هل فقد عقله؟».
- «لا، يبدو طبيعيًّا، لكنه مقتنع بأن ثمة لعنة في مكة، ولا يعتقد أن هناك خلاصًا، يقول ستنزل علينا صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، منذ اليوم الذي قابل النبي وقرأ له النبي آيات من القرآن تنتهي بإنذار الصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهو على هذه الحالة».

- «أبو جهل جن جنونه. عندما اكتشف أن أخاه من أمه عياش بن أبي ربيعة قد هاجر إلى يثرب.. جن جنونه رسميًّا، فرغ غضبه أولًا بالخدم والعبيد ثم بزوجاته وأولاده، اعتبر الموضوع شخصيًّا جدًّا، أمه أيضًا تؤنبه وتعتبره مسؤولًا عمَّا حدث مما يزيد الأمر صعوبة عليه». قال يقظان.
- «هل من شيء يُعِد له؟ بعد أن فرّغ غضبه في الجميع؟».
- «لا أعرف، لكن سمعت أنه يلتقي أولاد مطعم بن عدي ويتودد لهم.. يحاول أن يكسبهم ربما ليؤثروا على موقف أبيهم، أو فيما لو توفي».

- «**وأمية؟**». سأل الضرس.
- «**أمية متوتر جدًّا، ما فعله عمر بن الخطاب عندما تحدى الجميع وقال: إني مهاجر ومَن يريد أن تثكله أمه فليتبعني أثر فيه جدًّا، يقول إن المسلمين لن يذهبوا إلى يثرب إلا لكي يحاربوا (قريش)، ويقول إنه نادم بعدد شعر رأسه لأنهم لم يقتلوا النبي منذ البداية، لكن زوجته ذكّرته بأنه أصلح أساسًا**». قالت القصواء.
- «**هل هو أصلح بالفعل؟**». سأل يقظان بارتباك.
- «**ما أهمية ذلك بالنسبة إليك يا يقظان؟ متى تكترث أنت لهذا؟**». رد الضرس.

نظر يقظان إلى الأرض بخجل وقال: «**دجانة ستسألني بالتأكيد عندما أروي لها ما تناقلناه من أخبار، وإن لم أعرف الجواب فستتهمني بعدم الاهتمام بالتفاصيل**».

- «**رُدي على سؤاله يا قصواء**».
- «**حسب قول الجعراء، هو أصلح تمامًا، لكنها اكتشفت أنه يضع ضفيرتيْ شعر مستعارتين على عمامته. ظهر ذلك عندما سقطت عمامته مرة وخرج معها الشعر، أخبرت الجعراء الجميع بذلك، ثم انتبهت شخصيًّا أنه ينسى أن يضع الشعر أحيانًا، إذا كان على عجلة مثلًا**».
- «**حتى أنتِ يا قصواء.. لديكِ هذه الاهتمامات!**». قال الضرس بخيبة أمل.

- **«الاهتمام بالتفاصيل مُهم جدًّا يا ضرس، إياك أن تقلل من شأن ذلك»**. قالت القصواء.

وقف نبّاح والضرس معًا على سفح جبل حراء، ينظران إلى مكة. كان الوقت وقت الغروب. الصيف يوشك على الرحيل، وثمة نسمة هواء عليلة تهب على المكان.

قال نبّاح: **«تذكُر ما قلته عن رياح التغيير؟»**.

- **«نعم، بالتأكيد»**.
- **«أشعرها أكثر من أي وقتٍ الآن، ماذا عنك؟»**.
- **«ما أشعر بقدومه شيئًا أكبر بكثير من رياح التغيير، لا أستطيع أن أصفه، لكنها فراسة الحصان، أشعر أننا ندخل في زمن مختلف، ما بعده ليس مثل ما قبله، أشعر كما لو أننا في طريق، ومقبلون على منعطفٍ، وعندما ندخل هذا المنعطف سيكون كل شيء مختلفًا، السماء والأرض والهواء، كل شيء»**. قال الضرس.
- **«ألا تعتقد أنك تبالغ قليلًا؟ أفهم أن تغييرات كثيرة ستحدث، لكن السماء والأرض والهواء؟!»**.
- **«صحيح، تعرف أني بصفتي حصانًا أحب الشعر، لكنك تفهم ما أقصده، أشعر أن العالم مقبل على مرحلة جديدة»**.
- **«تخيَّل أن الأمر كله بدأ من هذا الجبل»**.
- **«نعم، تسرب النور كله من هنا»**.

- «شعر أيضًا؟».
- «لا، سيسمونه جبل النور، فيما بعد.. أنا واثق من ذلك».
- «جميل، مناسب فعلًا.. جبل النور، يومها سيكون كل شيء قد تغيَّر».
- «هل سمعت عن هزيمة الروم الأخيرة؟». قال الضرس.
- «بالتأكيد، مكة كلها تتحدث عنها بشماتة كما لو أنها هي التي انتصرت».
- «يقال إنها ستكون الأخيرة فعلًا، في سلسلة هزائم بدأت منذ قرابة عشرين عامًا، يكاد الفرس يسيطرون على العالم الآن، لقد وصلوا إلى القدس، ومصر، لم يبقَ للروم إلا البحر وجزره».
- «وهذا ما يجعلني أتذكر ما قُلناه عن معركة الأوس والخزرج الأخيرة». قال نبّاح.
- «كيف تقارن معركة بين إمبراطوريتين تسيطران على العالم مع معركة بين عشيرتين متنازعتين في قرية لا أهمية لها في جزيرة العرب؟». قال الضرس مستهجنًا.
- «الفكرة واحدة يا ضرس، في تلك المعركة انتصر الأوس، ولكن الطرفين فقدا كل ساداتهما، أُنهَكوا جميعًا، وهذا جعلهم متقبلين لفكرة جديدة مختلفة تمامًا عن كل ما كانوا يعيشون فيه».
- «حسنًا، وما علاقة هذا بهزيمة الروم الأخيرة!».

- **«الروم والفرس في حروب لم تنقطع تقريبًا منذ عشرين عامًا، الروم يبدون كما لو أنهم في أسوأ أوضاعهم، وهذا مؤكد، لكن إمبراطورية فارس تحارب منذ عشرين عامًا لا بد أنها مُنهكة أيضًا، حتى لو كانت تنتصر في معاركها...»**.
- **«أكمِل، كلامك يبدو منطقيًّا»**.
- **«سيحاول الروم الآن بكل الوسائل أن يردوا اعتبارهم بأي نصر، لا يمكن لهم أن يتركوا الأمور هكذا، وبغض النظر عن نتائج هذه المحاولة، فإن الطرفيْن سيزدادان إنهاكًا»**.
- **«هل تقصد أن...؟»**. سأل الضرس وهو يفكر، ثم التفت ينظر إلى مكة.
- **«نعم، أقصد أن...»**.
- **«ربما هذه هي الفرصة المناسبة لصعود قوة ثالثة جديدة، قوة لم تكن بالحسبان»**. قال الضرس ساهمًا كما لو أنه كان يتحدث في نومه، أو كما لو أن أحدًا يتحدث على لسانه.
- **«بالضبط، رياح التغيير ربما تكون أكبر بكثير مما نتخيَّل»**.

صهل الضرس بصوت مرتفع، ثم اعتذر وقال: **«آسف لم أستطع السيطرة على نفسي. الفكرة باهرة، رائعة، أنت عبقري، كيف لم أربط الأمور هكذا، كنت أشعر أنها لحظة تغيير حاسمة، لكن لم أعرف لماذا.. لم أربط بين الأمور، أنت فهمت»**.

- **«تعرف طبعًا أن الكلاب أذكى منكم يا معاشر الخيول، لا تنكر»**.
- **«لا، لا أعرف، نحن الأذكى»**.

- **«نحن مَن يقود البشر عندما يفقدون بصرهم، هل سمعت بحصان يقود أعمى؟»**.
- **«لا، نحن نفضل أن يعتمد البشر على أنفسهم، هذا أفضل تربويًّا»**.

ضحك نبّاح.

فجأة قال الضرس كما لو أنه تذكر شيئًا: **«لكن، إذا كان كلب مثلك وحصان مثلي قد انتبها إلى أن لحظة تغيير حاسمة قد جاءت على مكة، ألا تعتقد أن سادة قريش قد انتبهوا أيضًا؟»**.

- **«نعم، محتمل جدًّا»**.
- **«وهذا يعني أنهم سيحاولون كل ما في وسعهم لإيقاف هذه اللحظة»**.
- **«بطريقة لم يحاولوا فعلها من قبل»**. قال نبّاح وقد انتبه للأمر.
- **«نعم، ربما يحاولون بطريقة لم يتجرؤوا على فعلها من قبل»**.

ـ «**هذه مزحة، صحيح؟**». قالت سريعة وهي تبتسم.

نظر الضرس إلى نبّاح الذي بادله النظر أيضًا.

ـ «**إذا أحببتِ أن تعتبريها كذلك، فسيكون الأمر ممتعًا أكثر**». قال الضرس.

ـ «**أقصد أنكما تمزحان معي بهذا الاقتراح، صحيح؟**».

واجها سؤالها بصمت.

ـ «**إذن أنتما لا تمزحان؟ هذا اقتراح جاد**».

صمت أيضًا.

ـ «**اتركاني أكرر ما فهمته من اقتراحكما، لأنه يبدو مجنونًا جدًّا، تريدان مني أن أتنكر لأكون حجرًا يستند إليه الصنم هُبل في دار الندوة!**».

ـ «**بالضبط، لن يميزك أحد، ستقوم هريرة ودجانة بوضع الأصباغ على هذا الصندوق، أو هذا الذي تسكنين فيه أيًّا كان اسمه**».

ـ «**اسمه قوقعة**». قاطعته سريعة بغضب.

- «نعم، هذه القوقعة، لن يستطيع أي منهم أن يميزوكِ مع الأصباغ عن أي حجر يستند إليه هُبل». قال نبّاح.
- «لا أعرف لمَ تقول هذا كما لو أنك تطري على جمالي! لن يميزوني عن الحجر».

سكت الضرس محرجًا، قال الضرس لها وهو يلطف الأمر: «هو يقصد أننا سنضطر إلى تغيير شكلك بالأصباغ كليًّا لكي تشبهي الحجر».

- «ما الفكرة من هذا كله على أي حال؟».
- «وجودك في قلب دار الندوة، بالضبط في قلب المجلس، حيث يجلس أبو جهل وأبو سفيان وأمية وأبو لهب.. لن تفلت منا أي كلمة يقولونها ولو همسًا فيما بينهم.. وهكذا نستطيع أن نعرف عن خططهم أول بأول».
- «لماذا الآن؟ ما الذي حدث الآن؟».
- «المسلمون يهاجرون إلى يثرب ويتجمعون فيها، لم يبقَ إلا أفراد قلائل، من المتوقع أن يهاجر النبي أيضًا في أي وقت، ولا نتوقع من قريش أن تترك الأمر يخرج عن سيطرتها لهذه الدرجة».
- «وما علاقة كل هذا بتحويلي إلى مسند للصنم الأهبل هُبل؟».
- «سادة قريش قد يفكرون في خطة ما في بيوتهم أو في أي مكان آخر، لكنهم لن يتفقوا على شيء إلا في دار الندوة».
- «وكيف تريدني أن أنقل خبر هذه الخطة إليكم إن شاء الله؟ إذا تحركت سيسقط هُبل، وبينما أصل إلى الباب ستكون الخطة قد نُفِّذت».

- «لقد رتبنا هذا الأمر، ستكون هناك ألف نملة تنقلين الكلام إلى أول نملة على مقربة منك.. ثم يتكفل باقي النمل بنقل الخبر بسرعة.. بينما أنت مرتاحة في مكانك».
- «مرتاحة في مكاني، تحت هُبل!».
- «مرتاحة لأن ضميرك مرتاح. تقومين بعمل مهم في سبيل الدعوة».
- «سيكون ضميري مرتاحًا أيضًا إذا تركتم النمل يقوم بالمَهمة كلها».
- «النمل؟ غفر الله لك. الإخوة النمل من النوع الفارسي.. عربي (زعيف).. ولن يفهموا حركة الجسد كما تتقنينه». قال الضرس.
- «ولن يعرفوا المتحدثين من سادة قريش. بينما حضرت أنت ولادتهم جميعًا». قال نبّاح.
- «يقصد بينما تعرفين أنت كل شيء حق المعرفة يا مدموزيل سريعة».
- «لكن هُبل ضخم الحجم ويبدو ثقيلًا، اللّات أخف! لمَ ليس اللّات؟».
- «اللّات موجودة في طرف المجلس، في الركن البعيد الهادئ، لن يمكنك سماع شيء إذا حملتها».
- «لا حول ولا قوة إلا بالله. آخر عمري أصبح مسندًا لصنم غبي مكسور الذراع».
- «لا تقولي هذا يا آنسة، أنت في عز صباكِ».

- **«متى نبدأ؟»**.

صفّر نبّاح.

قفزت هريرة وتبعتها دجانة من خلف السور.

- **«لقد جئنا»**. قالت هريرة.
- **«ومعنا الأصباغ يا حياتي»**.

خلال ساعات كانت سريعة قد أصبحت تشبه حجرًا رمادي اللون من ضمن أربعة أحجار تسند قاعدة الصنم هُبل.

تعاونت هريرة ودجانة ونبّاح على حَمْل سريعة ووضعها مكان واحد من أحجار قاعدة الصنم. كاد هُبل أن يقع لولا أن تلقفه نبّاح أكثر من مرة.

- **«لو تركته يسقط ويتحطم وننتهي من الموضوع يا حياتي، سيرى سادات مكة سخف ما يعبدون وتعود سريعة إلى بيتها معززة مكرمة»**.
- **«الأمر أعقد من هذا يا دجانة، بالنسبة إلى هؤلاء لم يَعُد الموضوع عبادة أصنام أو عبادة الله الواحد، بل أصبح متعلقًا بأشياء كثيرة في آن واحد، القوة والسلطة والثروة وتراث الآباء»**. قال نبّاح.
- **«نبّاح! هل هذا وقته؟ ماذا لو سألتك دجانة الآن ما معنى تراث الآباء؟ سنبقى للصباح وأنت تشرح»**. قالت هريرة بصوت هامس غاضب.

- «**فعلًا، كنت سأسأل عن هذا، ولكن قبل ذلك أريد أن أسأل عن الفرق بين القوة والسلطة يا حياتي؟**».

نظرت هريرة إلى نبّاح نظرة تعني: «**أرأيت؟**».

- «**لاحقًا يا دجانة لاحقًا سنشرح لك كل شيء**».
- «**سريعة، دعيني أعرفك على الإخوة النمل هنا، لن تحتاجي أن تتعرفي إليهم جميعًا، مثابر ١، خلفه يقف مثابر ٢، وبعدهما يقف دؤوب ٣**».
- «**أين دؤوب ١ و٢ يا حياتي؟**».
- «**للأسف لقد سحقتِهما قبل قليل بقدميك يا دجانة**».

التفتت دجانة فورًا إلى سرب النمل: «**أوه، أنا آسفة يا حياتي، تعازي الحارة لذوي الفقيدين، قضاء وقدر، لم أتعمد ذلك، ولم أعرف إلا الآن والله**».

- «**سريعة، كل ما عليك هو أن تنقلي الأخبار المُهمة إلى مثابر ١، أرجوك، فقط المُهمة، المتعلقة بخطط قريش ضد النبي، سريعة، أرجوك، لا تهتمي بذكر ملابس عقبة أو لحية أبي لهب أو حرير أبي سفيان.. ركزي في المُهم فقط، أي تفاصيل لا داعي لها ستعطل النمل في نقل المعلومات**».
- «**أكيد! مَن تظنني؟ بالتأكيد فقط المعلومات المُهمة**».

قالت سريعة.

ثم التفتت وغمزت لهريرة ودجانة.

٢٩

- «**ماذا تقولين؟ إنسانتك أروى هاجرت. لمَ لَم تذهبي معها؟**». قالت القصواء.
- «**لم أشأ أن أتخلى عنكم في هذا الوقت، أردت أن أطمئن إلى أن كل شيء يسير حسب الخطة**». ردت هريرة بعصبية.
- «**أصيلة يا حياتي**».
- «**هريرة، ثمة شيء غير مقنع في الأمر. قولي لي ماذا حدث**». أجابت القصواء.
- «**طبعًا، لا يمكنك أن تصدقي ما أقوله؛ كل إناء بما فيه ينضح**».
- «**أي إناء؟ قالت دجانة وهي تلتفت يمينًا ويسارًا**».
- «**لقد كنتِ على وشك توديعنا قبل أيام، لم تقولي شيئًا عن عدم رغبتك في التخلي عنا. بل كنتِ تحاولين إخفاء فرحتك بالهجرة**». قالت القصواء.
- «**يا لكِ من حقودة، صدق من ضرب بك مثلًا في الحقد**».

- **«لا بأس، أنا حقودة، لكني لست ساذجة، قصة أنك رفضت الهجرة لكي تبقي معنا لا تقنعني، قولي الحقيقة، هل تركتك إنسانتك؟»**. قربت القصواء وجهها من هريرة وهي تتفحصها.

نفخت هريرة على وجه القصواء وقالت: **«أعوذ بالله. يستحيل أن تفعل إنسانتي هذا»**.

وابتعدت.

ساد صمت.

قالت دجانة: **«فراسة الدجاجة تقول لي إن هناك شيئًا ما خطأ يا حياتي، ما الأمر؟»**.

انفجرت هريرة باكية.

اقتربت منها دجانة والقصواء وهما يربّتان عليها.

- **«لم أنم منذ ليلتين، أعيش حاليًا على المهدئات»**.
- **«ما الذي حدث؟»**.
- **«صباحًا جاءت وقبلتني وهمست في أذني أنها تحبني كما تفعل دومًا، تظاهرت أني نائمة ولم أرد عليها.. البشر يفسَدون إذا أكثرنا من إظهار العواطف لهم. كل ما زاد رخص. هذه حقيقة كونية لا تخص أسعار السلع فقط، بل المشاعر أيضًا، استيقظت ظهرًا، وجدتها قد غادرت ومعها جزء من أغراضها. وتركت الجزء الآخر ليأتي أحد خدمها وينقلها بعد أيام»**. قالت وهي تبكي.
- **«وسيأخذك مع هذه الأغراض؟»**. سألتها القصواء.
- **«نعم»**.

- **«لمَ تبكين إذن، هذا مجرد تأجيل لهجرتك معها، لم تتركك ولم تنسَك».**
- **«أنا لا أبكي لأنها تركتني».** مسحت هريرة دموعها وهزت رأسها بإباء وشمم.
- **«لماذا تبكين إذن حياتي؟».**
- **«أبكي لأنها تركتني مع سفّاح. أشعر أني بنفس منزلته بالنسبة إليها».**
- **«سفّاح؟ مَن سفّاح؟»**

سكتت هريرة.

- **«مَن سفّاح؟».**
- **«كلب بليد عجوز تحتفظ به إنسانتي شفقة عليه».**

تبادلت دجانة وقصواء نظرات وكتمتا ضحكتيهما.

- **«إنسانتك لديها كلب؟ لم تخبرينا بذلك من قبل».**
- **«لم تسألاني!».**
- **«لم نسألك عن أشياء كثيرة نعرفها عن إنسانتك وزوجها».**
- **«لم أعتبره موجودًا يومًا. لا أنظر إليه. لا وجود له ولا أهمية».**
- **«لكنه سيذهب معكِ إلى يثرب في الرحلة القادمة؟».**

لم ترد هريرة.

- **«بصراحة، يا شماتة نبّاح فيكِ يا هريرة».**
- **«لا تزيدي الأمر عليَّ أنتِ الأخرى. يكفيني الذي أنا فيه».**

- «هوّني عليكِ، الأمر لا يستحق كل هذا».
- «أشعر بتدني حاد في تقييم الذات. ربما هذه أعراض ما بعد الصدمة. وثقت بها أكثر مما يجب. لكن يبدو أن البشر لا أمان لهم».
- «لا البشر ولا الزمان، لهما أمان. معروفة يا حياتي، نحن معشر الدجاج أكثر واقعية منكم، في النهاية، البشر يريدوننا من أجل البيض أو لكي يأكلونا».
- «بالتأكيد لا يريدون منكم أكثر من ذلك يا دجانة! هل هناك شك في ذلك؟ الأمر معنا مختلف».
- «كيف يختلف معكم؟ ماذا تفعلون أنتم للبشر؟».
- «نحن نعزز حبهم لذواتهم، نشعرهم أنهم يستحقون الحب والحنان، البشر لديهم مشكلات كثيرة مع أنفسهم، ومشكلات أيضًا فيما بينهم، يعاملون بعضهم معاملة سيئة جدًّا، وهذا يؤثر عليهم، يجعلهم في حالة نفسية صعبة، عندما نهرهر لهم ونتمسح بهم ونتظاهر بأننا نحبهم فإن ذلك يحسن من نفسيتهم ويجعلهم يشعرون بالسعادة، ولهذا أنا مصدومة، بذلت لها كل هرهرتي، وتمسحت بها أكثر مما يجب، ماذا فعل لها سفّاح الغبي كي تساويني به؟».
- «تعرفين ما مشكلتك يا هريرة؟». سألتها قصواء.
- «نعم، أعرف.. إنسانتي غدرت بي، بعد أن قدمت لها تعويضًا نفسيًّا كانت تحتاجه في كل أزماتها». قالت هريرة وهي تمسح دموعها.

- «**لا، هذه ليست مشكلتك الحقيقية، مشكلتك هي أنك تعيشين الدور أكثر مما يجب**». قالت قصواء.
- «**أي دور يا حياتي؟ هل تقوم هريرة بالتمثيل؟**».
- «**عمَّ تتحدثين يا قصواء؟ لا ينقصني كلامك الآن**».

قالت قصواء وهي توجه كلامها إلى دجانة: «**هل تعرفين يا دجانة لماذا تتصرف القطط هكذا؟ بغرور وتكبر على الجميع؟**».

نظرت دجانة إلى قصواء باستغراب: «**لماذا هذا الكلام الآن؟ ألا ترين وضعها؟**».

- «**كان قدماء المصريين يعبدون القطط، ضمن أشياء أخرى، بقوا يعبدونها لآلاف السنين، يضعونها في منازلهم لأنهم يعتقدون أنها تجلب لهم الحظ الحسن وتطرد الأرواح الشريرة، يبدو أن القطط صدقت أكثر مما يجب، كفَّ المصريون عن عبادتها، لكن القطط لا تزال تعيش الدور، تتصرف كما لو كانت لا تزال معبودة**».

مسحت هريرة دمعتها وهي تقول: «**أستغفر الله يا قصواء. أنا قطة على الفطرة، مؤمنة وموحدة بالله**». ثم قالت بصوت منخفض: «**لكن هذا لا يمنع أن قدماء المصريين كانوا أصحاب ذوق وحضارة، يعرفون قيمة الأشياء**».

- «**عمومًا لا بأس يا هريرة، بقاؤك الآن أفضل، نحتاج إليكِ معنا في هذه الظروف**».

هبت هريرة واقفة.

- «نعم! لن أعيش في دور الضحية، سأحيا كما أريد، وأحقق ذاتي، سأعيش حياتي كما أريد، سأطوي الصفحة، لا.. سأمزقها، بل سأمزق الكتاب، وأبدأ بكتاب جديد، سأحيا وسأخرج أقوى من قبل، سأنجو I will survive».

همست دجانة لقصواء: «ألا تبالغ هريرة قليلًا؟».

- «لا، ليس قليلًا، تبالغ جدًّا». ردت قصواء بضجر.
- «هريرة، دعينا من هذا الأمر الآن، اعتبري نفسك في إجازة من هرهرتك لها وتمسحك بها، علينا أن نعرف إن كانت هناك أخبار جديدة من سريعة، ما رأيك أن تذهبي لتقصي الأخبار؟ وننتظرك».
- «حسنًا، أفضل شيء أن أشغل نفسي بالعمل وتحقيق طموحاتي كي أنسى غدر البشر».
- «هريرة! كفى».
- «سأذهب، لكن ليكن بمعلومكما، لو جاءت إنسانتي وسألت عني، قُولَا لها هريرة لن تغفر.. لن تغفر.. وقُولَا لها إنني لم أسأل عنها أصلًا وإنني سعيدة بحريتي».
- «سنقول لها إنها لم تنتبه لغيابك أصلًا، اذهبي الآن».

- «الخبر الوحيد المُهم من سريعة مراسلتنا في دار الندوة، أن المطعم بن عدي أصيب بالفالج، وهو غير قادر على الكلام حاليًّا، وربما يموت في أي وقت، عمره بلغ التسعين تقريبًا».

قال الضرس.

- «**هل تجرؤ قريش على فعل شيء بحجة أن المطعم مريض ولن يفعل شيئًا؟ هذه نذالة ما بعدها نذالة**». قالت القصواء.
- «**أعتقد أن الوقت الضائع قد بدأ، يبدو أن موعد هجرة النبي قد حلت، وربما قريش تعرف ذلك، لذلك فلن تهتم بنذالة أو نبل، تريد أن تقضي على النبي**». رد الضرس.
- «**ألا تعتقد أن هجرة أروى بنت كريز المفاجئة قبل موعدها يدل على شيء؟**».
- «**نعم بالتأكيد، الأمر اقترب، أظن لم يبقَ في مكة الآن من الرجال إلا النبي ومعه علي بن أبي طالب، وأبو بكر، وأعتقد أن فاطمة بنت النبي لا تزال هنا، وكذلك أهل بيت أبي بكر**».
- «**ثلاث فقط؟ اقترب الموعد إذن بلا شك**».
- «**نعم، سننتظر أي خبر جديد من سريعة اليوم، ربما يتضح شيء من مؤامرة قريش**».
- «**المهم هو كيف نعرقل هذه المؤامرة؟**».

قالت دجانة: «**جاء مثابر ٨٩٩ ودؤوبة ٦١٢ إلى خارج دار الندوة وقالا لي إن سريعة ضجرت وتقول إن المكان رطب والطعام الذي يصلها سيئ جدًّا، وإنها تطالب بتحسينه وإلا فأنها ستضرب عن العمل أو تستقيل وتتركه نهائيًّا**».

- **«ما مشكلتها سريعة مع الطعام الذي نرسله إليها؟ أرسلت إليها أفضل الخضراوات، كلها منتجات عضوية».** قال الضرس متبرمًا.
- **«هذه هي المشكلة، سريعة ليست نباتية».** قالت دجانة.
- **«ماذا؟ أليست السلاحف نباتية؟».**
- **«لا، ليس حصرًا، للأسف، صُدمت أنا أيضًا يا حياتي، اتضح أنها ممن يأكلون من الجهتين، مثل البشر والعياذ بالله».**
- **«ماذا نرسل إليها؟».**
- **«هناك مطعم صغير افتُتِح مؤخرًا خلف الكعبة من جهة جبل الخندمة، يديره رجل جاء من بلاد الشام، يقدم شيئًا جديدًا اسمه (الشاورما)، ما رأيك أن نجعل سريعة تجربها ونرى النتائج؟».**
- **«شاورما؟ الاسم غير مطمئن على الإطلاق».**
- **«لا تحكم على الأشياء من أسمائها يا حياتي. أبو جهل كان اسمه أبا الحكم!».**
- **«صحيح، شاورما إذن وأمرنا إلى الله.. هل قالت أي شيء بخصوص لماذا هي أصلًا في دار الندوة؟».**
- **«نعم، طبعًا، كدت أن أنسى».**
- **«ماذا قالت؟».**
- **«قالت: إن سادة قريش اجتمعوا بأبناء المطعم بن عدي، وأنهم أقنعوهم أن صحة والدهم ليست على ما يرام، ومن الأفضل تجنُّب نقل أي خبر سيئ له، فيما لو تعرض النبي إلى سوء أو خطر».**

- **«ماذا؟ كل هذا وأنتِ تحدثينني عن طعام سريعة والشاورما؟».**
- **«ما الذي يمكن أن يحدث للنبي يا حياتي بحيث أن ذلك يؤثر على صحة المطعم بن عدي؟».**
- **«يا دجانة! ألم تفهمي.. يريدون أن يستغلوا مرض المطعم لكي يقتلوا النبي دون أن يعرف أصلًا».** صرخ الضرس.
- **«ماذا؟ يستغلون مرض الشيخ العجوز! لم أعتقد قط أنهم يصلون إلى هذه الدرجة من الوضاعة».**
- **«هنيئًا لي، هنيئًا لي بالفعل».** قال الضرس وهو يضرب على رأسه.

ثم التفت كأنه تذكر شيئًا:

- **«هل أخبرتك مَن كان يتكلم مع أولاد المطعم؟ مَن كان الأكثر حماسًا؟».**
- **«لا يا حياتي، لم تخبرني.. لكنها قالت إنهم يسمونها فيما بينهم (خطة أبي جهل)، لكنها لم تقل لماذا هذا الاسم».**

ضرب الضرس على جبهته مرة أخرى.

- **«لا تضرب جبهتك يا ضرس، سمعت أن هذا مضر بالذكاء يا حياتي».**

٣٠

- «**علينا أن نراقب أبا جهل، أين يذهب ومع مَن يلتقي، كما توقعنا منذ البداية، هو الأشد عداء والأكثر خبثًا**». قال الضرس لنبّاح.
- «**ماذا تقول حبيبة القلب زاجلة؟**». سألت القصواء متهكمة.
- «**دعكِ منها. لا تقول شيئًا غير ما تعودناه منها**».
- «**لا يمكن لي أو لقصواء أن نراقب أبا جهل دون أن يكون ذلك جالبًا للشك، عليك أن تراقبه أنت يا نبّاح، مهم جدًّا أن نفهم تحركاته في هذه المرحلة، من الواضح أنه يريد أن يقتل النبي، لكن كيف لا نعرف بعد، وحده؟ مع نفر من عشيرته بني خزيمة؟ مع حلف مع عشيرة أخرى، لا نعرف ويجب أن نعرف**». أكمل الضرس.
- «**صحيح ما تقول، سأكون ماكثًا جنب بيته وأحاول أن أنقل الأخبار لك أولًا بأول**». قال نبّاح.
- «**لدي مشكلة لم تخطر ببالي قط**». قالت القصواء بحزن.
- «**ما الأمر؟**».

- «**صاحبي سيبيعني على الأغلب، سمعته يتحدث أنه قد آن وقت بيعي وأن ثمني سيكون مرتفعًا لأني سريعة في العدو**».
- «**هل جاء مُشترٍ أم كان مجرد حديث؟**». سألها الضرس بقلق.

حبست القصواء عبرتها وقالت: «**جاء مُشترٍ نعم حسبما فهمت، لم أره ولا أعرف من أين، ولكن هناك من يريد أن يشتري ناقة من بني قشير وصاحبي يريد بيعي**».

- «**ماذا سنفعل؟**». سأل نبّاح.
- «**سأهرب.. لا يمكنني أن أتخلى عنكم في هذه المرحلة، سيجدونني بعد أيام، لا مشكلة، المهم أن أكون معكم الآن**». قالت وهي تذرف دموعًا.
- «**صحيح، وجودك مهم الآن، لكن عليك ألَّا تعرّضي نفسك للخطر**». قال لها نبّاح مواسيًا.
- «**أقترح أن تهربي ليس من صاحبك، بل من المشتري بعد أن يأخذك، هكذا يمكن أن يقال إنك هربتِ لأنه لم يُجِدّ السيطرة عليك، مع صاحبك الأمر مختلف**». قال الضرس.
- «**معك حق، لكن ماذا لو كان خبيرًا بالنوق والجمال ولم أستطع أن أتدبر أمري معه؟**». سألت قصواء بِحَيْرة.
- «**تظاهري بالإغماء أو المرض بحيث يحاول الرجوع بك إلى بني قشير ثم اهربي**». اقترح نبّاح.

- «**نعم، يمكن أن تنجح هذه الخطوة**». قال الضرس ثم أكمل: «**الآن يا نبّاح اذهب وراقب منزل أبي جهل ومُرّ على هريرة وأخبِرها أن تتابع الأخبار في دار الندوة من سريعة**».

- «**أبو جهل لديه ضيف غريب عن مكة، جاء من السفر وبات في منزله منذ الأمس**». قال نبّاح.
- «**مَن هو؟ هل وجهه مألوف؟**».
- «**نزل من فرسه وقد أخفى وجهه، دق الباب وخرج له أبو جهل كما لو أنه كان ينتظره رغم أنه جاء فجرًا**».
- «**هل هو طويل، قصير، أي شيء عن صفاته؟**».
- «**طويل، عريض الكتفين، بدين جدًّا، أشفقت على حصانه**».
- «**لم تسأل حصانه عنه؟**».
- «**لم يفهم عليَّ وصهل غاضبًا فخفت أن أُكشَف**».

نظر الضرس إلى الأفق وكأنه يفكر فيما سمعه.

جاءت هريرة وهي تلهث.

- «**هناك خبر خَطِرٌ يا ضرس**».
- «**ما الأمر؟**».
- «**قريش وضعت خطتها لقتل النبي**».
- «**يا الله! كيف؟**».

- «كانوا يتناقشون في الأمر، اجتماع كبير حضرته كل العشائر تقريبًا، وكان المجلس مزدحمًا، ولم يصلوا إلى حل يرضي كل الأطراف، إذ كانوا يخافون أن يتفجر الوضع في مكة بسبب بني هاشم وربما بني نوفل، اقترح أبو جهل أن يقتلوا النبي غِيلة وهو في بيته، لكنّ أبا سفيان وعتبة كان رأيهما أن يُحبَس، اقترح شخصٌ نسيت اسمه أن يُنفَى، عقبة كان مؤيدًا للجميع بالدرجة نفسها، ولم تحصل أي فكرة على تصويت الجميع». قالت وهي لا تزال تلهث.
- «وبعدها؟».
- «بعدها اقترح أبو جهل أن ينتظروا أن يدخل عليهم أول رجل المجلس، فإذا لم يكن من أهل مكة سألوه وأخذوا بمشورته حتى لو كانت الصلح مع محمد، وأقسم أبو جهل على تنفيذ ما يقوله أول رجل داخل إن لم يكن من مكة».
- «أقسم أن ينفذ المشورة حتى لو كانت الصلح مع النبي؟».
- «نعم، هذا ما قاله».
- «وماذا حدث؟».
- «دخل رجل قال إنه من شيوخ نجد، يبدو عليه الاحترام، قصوا عليه ما حصل منذ البداية مع النبي، وكيف تفرقت مكة بسببه، وكيف حاولوا معه وعرضوا عليه الهدايا والأموال دون فائدة، واليوم هم أمام مشكلة أكبر، حيث هاجر أتباعه إلى يثرب وانتشرت دعوته فيها، ومن المحتمل أن يعرقلوا خط سير قوافل مكة إلى الشام، وهو لا يزال في مكة، في حماية

أحد رجالها من العشائر المهمة، والتعرض له قد يؤدي إلى صدام في مكة». تناوب أبو لهب وأبو جهل على شرح الأمر.

- **«وماذا قال لهم؟».**
- **«رد فورًا، كما لو أنه حمل الجواب معه، كما لو أنه جاء خِصِّيصَى ليقول هذا الذي قاله!».**
- **«كيف؟».**
- **«قال: يأتي رجل من كل قبيلة، ويدخلون على النبي وهو نائم في بيته، ويضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه بين القبائل، ولا يستطيع من يحميه أن يحارب الجميع، هب أبو جهل فورًا وقال نعم الرأي ما ترى، وكذلك فعل أبو لهب وعقبة وأمية، ثم أبو سفيان وعتبة».**
- **«ابن اللئيمة».** قال الضرس بين أسنانه.
- **«عفوًا يا ضرس، متفهمة تمامًا لعصبيتك، لكن تشتمه بأمه! إلى متى تستخدمون المرأة على هذا النحو، إن كان لا بد أن تشتم، فاشتمه هو.. أو أباه».**
- **«لا مشكلة لو قلت ابن اللئيم؟».**
- **«كنوع من المساواة نعم، ولكن الأفضل أن تشتمه وحده».**
- **«هل نقلت لك النمل أن هذا الرجل كان طويلًا عريضًا بدينًا؟».**
- **«نعم بالضبط، لكني اعتبرتها من التفاصيل غير المُهمة التي لا تعنيك، والتي قلت لسريعة ألا تنقلها، لكن كيف عرفت؟! لا تقل لي فراسة الخيول!».**

«**يا لخبثك يا أبا جهل، يا لخبثك!**». قال كما لو كان يتحدث مع نفسه.

- «**هذا الشيخ هو الرجل نفسه الذي قال لي نبّاح إنه زار أبا جهل أمس، رجل غريب ليس من مكة، وبالمواصفات نفسها، زاره فجرًا وبات عنده، واضح أن أبا جهل لقنه هذا الحل، ورتب الأمر بحيث تبدو زيارته صدفة**».

ثم التفت إلى هريرة: «**هل حددوا موعدًا لتنفيذ الخطة؟**».

- «**لا. لكنهم اتفقوا على إنهاء الأمر بأسرع وقت ممكن خشية أن يهاجر النبي**».

مكتبة
t.me/t_pdf

٣١

- «**لن تصدقا الأمر، لن تصدقاه**». قالت قصواء.
- «**ماذا هناك؟ أين ذهبت دموعك وحزنك على خبر بيعك ومفارقتنا وقرار هروبك يا حياتي؟**».
- «**لا أكاد أصدق أنا أيضًا، قلبي سيتوقف من الفرحة، اقرصيني يا دجانة كي أصدق**».
- «**ما هذه التصرفات السخيفة؟ اقرصيني كي أصدق! كنت أعتقد أنك أنضج من هذا يا قصواء!**». قال الضرس غاضبًا.
- «**لا يمكنكما أن تصدقا مَن المشتري!**». قالت القصواء بهمس.
- «**لا تحاولي يا حياتي لن أحزر**».
- «**مَن المشتري؟ ليس الوقت وقت تشويق**».

التفتت قصواء يمينًا وشمالًا لتتأكد من أن أحدًا لم يسمعها.

- «**أبو بكر!**».
- «**أبو بكر؟**». كرر الضرس.
- «**هو رجل كريم حسبما يقال.. مبارك يا حياتي**».

- «**ليس هذا فقط، لقد طلب شراء ناقة أخرى أيضًا**».
- «**ناقتان!**». كرر الضرس بذهول.
- «**نعم، ناقتان**». نظرت القصواء إلى الضرس مبتسمة.

شهق الضرس: «**رباه! هذا لا يصدق، أكثر مما كنا نحلم به**».

هزت قصواء رأسها: «**أكثر بكثير**».

فجأة أخذ الضرس يقفز بفرح ويدور حول نفسه ثم قال: «**اقرصيني كي أصدق**».

- «**أول مرة أرى حصانًا يدور حول نفسه مثل الكلاب، ما الذي جرى معكما أنتما الاثنان؟ ماذا يحدث؟**». قالت دجانة بغضب.
- «**دجانة ركزي معنا، لماذا يشتري الناس النوق والجمال؟**».
- «**ليركبوا عليها؟**».
- «**نعم، ليركبوا عليها أين؟**».
- «**على ظهورها طبعًا، هل تظنين أني غبية؟**».
- «**أقصد هل يركبونها لغرض التنقل من البيت إلى السوق على سبيل المثال؟**».

فكرت دجانة ثم قالت: «**كل شيء ممكن يا حياتي، لكن غالبًا لغرض السفر**».

- «**أحسنتِ، وعندما يريد أبو بكر شراء ناقة فهذا يعني أنه يريد ماذا؟**».
- «**غالبًا لا يريد الذهاب إلى السوق، ربما يريد السفر**».
- «**وإذا كان يريد شراء ناقة أخرى؟ ماذا يعني هذا؟**».

- «**يعني أن لديه الكثير من المال، وأنه حكيم وحذر ويريد أن يأخذ احتياطاته فيما لو -لا سمح الله- عطلت الناقة الأولى**».

نظرت القصواء بيأس إلى الضرس وقالت: «**هل تصدق ما تسمعه؟**».

- «**لا، لقد تدهورت جدًّا**».
- «**يا دجانة، افهمي، أبو بكر والنبي سيهاجران، أبو بكر يشتري الناقتين لهذا السبب**».

صرخت دجانة ثم وضعت جناحها على صدرها.

- «**لا، لا، هذا كثير جدًّا، قلبي.. قلبي**».

شربت الماء لتهدأ قليلًا ثم التفتت وقالت: «**قلبي كاد أن يتوقف ولكن ليس من الفرح يا حياتي**».

- «**مم إذن؟**».
- «**مِن الغيرة، لا أصدق ما يحدث، هريرة ستهاجر إلى يثرب.. وأنتِ ستهاجرين مع النبي شخصيًّا، يبدو أني وحدي سأبقى هنا بلا أي تغيير. كان يومًا أسود اللون يوم قبلت بك يا يقظان**».
- «**ما علاقة يقظان بالأمر الآن؟**».
- «**لا علاقة له بالأمر طبعًا، ولكني أتفاءل بهذه الجملة**».

التفت الضرس إلى القصواء: «**متى الموعد يا قصواء؟**».

- «**اليوم قبل الغروب، لا أعرف أكثر من هذا**».
- «**إذن هو الوداع؟**». قال الضرس.

احتضنته قصواء ثم قالت: «**مَن يدري؟ ربما سنلتقي، فلنقل إلى اللقاء**».

مسح الضرس دمعته وقال: «**إلى اللقاء**».

التفتت قصواء إلى دجانة: «**سأفتقد غباءك وكلمة (يا حياتي) يا دجانة**».

- «**وأنا سأفتقد حقدك وحكمتك يا حياتي**».

عندما ذهبت القصواء، التفت الضرس إلى دجانة وقال لها: «**اذهبي إلى هريرة وتأكدي من وجودك معها قرب دار الندوة، أي خبر يأتي من سريعة يجب أن يصلني بسرعة. عليَّ أن أذهب للقاء زاجلة الآن**».

- «**زاجلة، أين اختفت هذه المخلوقة يا حياتي؟ هل لا تزال تقول إن أبا جهل أشد المدافعين عن النبي؟**».
- «**دعكِ منها ونفّذي ما طلبته منكِ**».
- «**ما هذا الأسلوب؟ لست الجارية التي اشترتها لك السيدة والدتك**».
- «**أنا الضرس، لست يقظان، هذا الكلام تقولينه لزوجك فقط**».
- «**صحيح، آسفة يا حياتي**».

- «**لقد اتفقوا أن ينفذوا الخطة الليلة**». قالت هريرة وهي ترتجف.
- «**ماذا سنفعل؟ كيف نمنع حدوث هذا؟ ما فائدة ما عرفناه إن كنا عاجزين عن منعه؟**». قالت دجانة.

- «هل قالوا متى بالضبط سينفذون الخطة؟».
- «لا، سريعة قالت: إن أبا جهل تهامس معهم جميعًا كما لو أنه يشك بوجود مَن يتنصت عليهم، لذا لم تتمكن من سماع الوقت المحدد». قالت هريرة.
- «يفترض أن النبي سيهاجر الليلة أيضًا، نعرف أن القصواء قالت بعد الغروب، لكن ربما هذا موعد خروجها هي وليس خروجه هو». قال الضرس.
- «قالت سريعة أنهم يراقبون بيت النبي منذ أيام، لكي يتأكدوا من عدم خروجه».
- «نعم، سمعت هذا أيضًا، لا شيء الآن أمامنا سوى الانتظار والدعاء».
- «ماذا تعني؟ لا نفعل شيئًا بينما نعرف أنهم يخططون لاغتيال النبي؟». سألت هريرة.
- «لقد فعلنا كل شيء يا هريرة، اذهبي ونامي».
- «برود الرجال ليس منطقيًّا». قالت هريرة لدجانة.
- «هل تقصد حقًّا أننا لن نفعل شيئًا اليوم يا حياتي؟».
- «حتى دجانة مستغربة منك يا ضرس».
- «اذهبا وناما، لا شيء نفعله الآن».
- «حسنًا، على سيرة النوم.. لديك حبوب منومة؟ نفدت مني».

استيقظت مكة على مفاجأة.

فقد انتشر خبر أن سادة قريش قرروا قتل النبي، ووضعوا خطة لذلك بحيث يضيع دمه بين القبائل، واقتحم رجال من كل عشائر قريش بيت النبي ليلًا وهو نائم لقتله غِيلة.

لكن في اللحظة التي شهروا فيها سيوفهم على فراش النبي، اكتشفوا أن علي بن أبي طالب ينام مكانه.

لقد تمكن النبي من الإفلات من مؤامرتهم.

- **«أبو جهل لونه أصبح أحمر قرمزيًّا، من ألواني المفضلة الصراحة!»**. قالت هريرة وهي تضحك.
- **«وزوجة أبي لهب ضربته، دونما سبب، فقط لكي تفرغ غضبها»**.
- **«أمية لطم على رأسه حرفيًّا»**.
- **«أبو سفيان وهند تشاجرا أمام الناس، وقالت له الجملة التي أتفاءل بقولها ليقظان، كان يومًا أسود يوم قبلت بك»**.

- «**ورد عليها ببرود: أنتِ على حق. فأخذت تبكي وتنوح أكثر**». قال نبّاح وهو يضحك.
- «**عتبة كان يقول للجميع: أخبرتكم أن مكة انتهت ولم تصدقوني، ولم أفهم ماذا يقصد بذلك**».
- «**سبحان الله، ربك جعلهم يتأخرون في اقتحام بيت النبي، وإلا كانوا تمكنوا منه لا سمح الله**». قال نبّاح.

سكت الضرس قليلًا، ثم قال بغموض: «**بالتأكيد هي إرادته عز وجل، وقوانينه، لكنه يستخدمنا أحيانًا في تنفيذها**».

- «**ارحموا دماغي يا حياتي، هل هذا مجاز أيضًا، لأن الكلام يبدو مُهمًّا**».
- «**هل تقصد شيئًا محددًا يا ضرس، أم أنه مجرد كلام عام للتشجيع والتحفيز**». قال نبّاح.
- «**آن أوان أن أخبركم الآن بكل شيء**». تنهد الضرس وهو يقول هذه العبارة. «**هل تذكرون عندما قلت إن المسلمين الذين تركوا مكة ربما اتجهوا إلى البحرين، حيث كنيسة المشرق، بينما كانت الأخبار تشير إلى أنهم اتجهوا إلى الحبشة؟**».
- «**أنا لا أذكر ماذا تناولت على العشاء أمس، لذا، لا أذكر**».
- «**أنا أذكر، تلك المرة كانت دليلًا قاطعًا على خطأ ما يقال عن فراسة الخيول**». قالت هريرة بلؤم.
- «**نعم يا ضرس، نذكر، ما الذي ذكرك بهذا الآن؟**». قال نبّاح متبرمًا.

- **«لم تكن تلك فراسة خاطئة، ولا أخبار غير مؤكدة، كانت فخًا أعددته ونجحت فيه».**
- **«لمَن؟».**
- **«لزاجلة!».**

همست دجانة لهريرة: **«كيف يقول إنه نجح في الفخ لزاجلة ونحن رأيناها بعد هذا ولم تكن مصابة أو شيء».**

ردت عليها هريرة بهمس أيضًا: **«اخرسي».**

- **«لماذا تُعِد فخًا لزاجلة يا ضرس؟ مخلوقة غبية وتعتقد أن أبا جهل سيكون من أهم مناصري الإسلام.. ما الفائدة من ذلك؟».** قال نبّاح.
- **«يومها راقبت أبا جهل، واكتشفت أنه خرج فورًا مع بعض رجاله باتجاه البحرين».**

كان هناك صمت مُدهش لما قاله الضرس الآن.

- **«هل تقصد أن زاجلة كانت عينًا لأبي جهل علينا؟».**
- **«نعم، هذا ما شككت فيه، وتأكدت منه عندما أعددت الفخ، لا يمكن أن يكون ذلك مصادفة، خرج أبو جهل بعد أن حطت زاجلة على منزله بدقائق لا أكثر، لا يمكن أن يترك الكل يركضون باتجاه الساحل لكي يمنعوا المسلمين من الوصول إلى الحبشة، ويذهب هو فجأة باتجاه البحرين، لا بد أن زاجلة لها طريقة ما تتواصل بها معه، وقد نقلت ما قلناه».**
- **«بنت اللئيمة».** قالت هريرة.

- «كنت أعتقد أنه لا يجوز شتم الأمهات، لأن هذا يعتبر استخدامًا مهينًا للمرأة». قال الضرس.
- «نعم، لا يجوز استخدامه منكم أنتم معاشر الذكور، نحن يحق لنا شتم الأم والأب عادي، وزاجلة لئيمة وبنت لئيمة أيضًا». قالت هريرة بعصبية.
- «أي أنك كنت تجاريها فحسب؟ ولم تكن مُتيمًا بسحر أنوثتها؟». قال نبّاح.
- «نعم، كنت أجاريها، ووضعتها تحت المراقبة، ولذا حاولت تقليل ما يتسرب من أخبار منكم، ثم.. في وقت متقدم قررت أنه يجب تضليلها بأخبار خاطئة.. لذا قلت إن اجتماعاتنا يجب أن تتفرق، لم يكن هناك أي شك من سادات قريش بالحيوانات ولم يكن هناك سيدة رأت منامًا بذلك، فقط حجة لكي أنفرد بها».
- «ما الأخبار التي ضللتها بها؟».
- «أمس، قلت لها إن النبي سيغادر فجرًا، وإن عمه العباس سيكون عنده إلى وقت متأخر من الليل لكي يتأكد من سلامته ومن أن بيته ليس مراقبًا، لكن العباس عليه أن يعود قبل منتصف الليل لأن عليه أن يخرج بقافلة إلى الشام».
- «وهكذا.. تفرقوا عن مراقبة بيت النبي، واقتحموه بعد منتصف الليل وهم مطمئنون أنه سيكون هناك إلى الفجر». قال نبّاح وهو يستنتج ما حدث.
- «بينما النبي ترك مكة قبلها بساعات». قالت هريرة بذهول.

- «لحظة نفهم يا جماعة، هل هذا يعني أن زاجلة كانت متعاونة مع أبي جهل؟».
- «نعم يا دجانة، كانت جاسوسة علينا».
- «أحسست أنها قد تكون مجرمة، لكن لم أتوقع قط أن تكون مجرمة لهذه الدرجة، كنت أعتقد أنها ربما تتاجر بالمخدرات أو بالآثار، لكن لدرجة التعاون مع أبي جهل».
- «هل يعني هذا أنها عرفت أنك كشفتها الآن؟ أم أنك ستتظاهر بأن الأمر مجرد خطأ غير مقصود؟». سأله نبّاح.
- «لقد اتضح أن زاجلة ليست حمامة أصلًا».
- «ماذا إذن؟ غراب؟».
- «جاءت اليوم صباحًا، كنت على وشك أن أعتذر منها متعللًا بأخبار خاطئة استلمتها منكم، لكنها سرعان ما تحولت إلى أفعى وبخت في وجهي».
- «حمامة تتحول إلى أفعى؟ لم نسمع بهذا في الملة الأولى». قال نبّاح.
- «منذ اللحظة الأولى شعرت أنها أفعى، سبحان الله، فراسة القطط لا تخيب أبدًا».
- «غالبًا هي لا حمامة ولا أفعى ولا غراب ولا أي شيء».
- «ماذا إذن؟».
- «غالبًا هي الشيطان، أو شيطان، شيء من هذا القبيل، بكل الأحوال ما كان لها أن تتواصل مع أبي جهل لو كانت حمامة أو أفعى، أما كشيطان، فتستطيع أن توسوس له».

- «شيطان! الحمد لله لم آكلها يوم هجمت عليها، وإلا كنت سأصاب بالتسمم».
- «لم أتخيل قط الشيطان في شكل حمامة، لا تفهموني خطأ يا حياتي، زاجلة كانت بشعة بكل الأحوال، لكن فكرتي عن الشيطان كانت بنوع مختلف من البشاعة، وبقرنين على رأسه».
- «لهذا بالضبط لا بد أن يتنكر الشيطان أحيانًا بزي لطيف وديع ومسالم».
- «كانت بشعة بكل الأحوال، ليست (النوع الذي أفضله) أبدًا يا حياتي».
- «عمومًا لم تنطلِ حيلتها علينا، تظاهرها بالسذاجة والبراءة المفرطة قد ينطلي على الذكور، لكن نحن لها بالمرصاد». قالت هريرة بكبرياء.
- «على العموم.. من حديثي معها استطعت أن أفهم دوافع أبي جهل في كل هذا العداء، فهمنا دوافع كل سادات قريش، المال والتجارة عند أمية، القوة والسلطة عند أبي سفيان، الخوف على المكانة عند أبي لهب، إرضاء الجميع عند عقبة، الآباء عند عتبة، أما أبو جهل فحكايته مختلفة تمامًا».
- «شغلني هذا الأمر كثيرًا، ما السبب يا ترى؟». قال نبّاح.
- «أبو جهل كان يعد نفسه ليكون زعيم مكة وأهم شخصية فيها، وغالبًا كان يحقق ذلك، هو الوحيد الذي دخل دار الندوة من سادات قريش قبل أن يبلغ الأربعين ذلك لأنه

طرح نفسه كشخص حكيم يمكن الرجوع لرأيه.. تسميته بأبي الحكم كانت جزءًا من حصوله على هذه المكانة.. كل شيء عند أبي جهل يتركز حول ذاته، هو مركز الكون، وفجأة جاء النبي بدين جديد يريد أن يطيح بكل شيء، حتى لو آمن، لا يمكنه أن يكون رقم واحد في الوضع الجديد مهما حاول، وهو لا يريد إلا أن يكون كذلك».

- «**نعم، إنها عبادة الأنا**». قال نبّاح.
- «**بالضبط**». هز الضرس رأسه.
- «**الأنا؟ لم أسمع يومًا بهذا الإله يا حياتي، هل هناك إله عند قريش اسمه أنا؟**».
- «**إلهة أنثى، وليست ذكر، هي بنت عمة الإلهة مَناة**». قالت هريرة.
- «**صحيح، لم أعرف والله يا حياتي أن مَناة لها عمة أصلًا، واتضح أن العمة عندها بنت وهي إلهة أيضًا، غرباء هم البشر في قريش**».
- «**هذا مجاز يا دجانة.. مجاز، عبادة الأنا يعني أن الشخص يتبع أهواءه كما لو أنه يعبد نفسه.. كما لو أنه يعبد أناه**».
- «**يعني مَناة ليست لديها بنت عمة إلهة اسمها أنا؟**».
- «**لا، كنت أمزح معكِ، عبادة الأنا لفظ مجازي تعبيرًا عن اتّباع الأهواء لدرجة تقرب من العبادة**».

- **«أما كان من الأسهل أن تقولوا اتّباع أهواء بدلًا عن هذا المجاز، أختكم الدجاجة مخها لم يتركب ليفهم المجاز يا حياتي.. لا أنا أفهم المجاز ولا يقظان».**

دخل يقظان وهو يلهث.

- **«ابن حلال يا حياتي والله، لو أني تذكرت مائة ناقة كان أربح بكثير».**
- **«نعم، مائة ناقة، كيف عرفتِ؟»**. قال يقظان.
- **«كيف عرفت ماذا؟»**.
- **«سريعة قالت: إن سادة قريش قد قرروا مكافأة من يدلهم على النبي بمائة ناقة»**. قال يقظان وهو لا يزال يلهث.
- **«مائة ناقة! رقم كبير.. مُغرٍ جدًّا»**. قال الضرس.
- **«هل نعرف أي شيء عن النبي الآن؟ أم أننا لن نعرف إلا عندما ينتشر الخبر في مكة؟»**. سأل نبّاح.
- **«فاختة ستتابع مع القصواء وستوصل إلينا الأخبار، لكنها لم ترجع بعد».**
- **«شيء آخر قالته سريعة أيضًا»**. قال نبّاح.
- **«ماذا؟»**.
- **«تريد المزيد من الشاورما، وبسرعة».**

٣٣

خلال الأيام الثلاثة التالية كانت مكة منشغلة بالجائزة التي أعلنها سادة قريش لمن يأتي بخبر عن مكان النبي، انطلقت العيون في كل مكان في الطريق إلى يثرب، بل أن سادة قريش بحثوا في الطريق المعاكس أيضًا، جنوب مكة لعلمهم أنه ربما يريد تضليلهم باتخاذ طريق غير متوقع.

القصواء قالت لفاختة: «**إن أبا بكر سلمها والناقة الأخرى إلى مرشد من مرشدي الصحراء، واتفقا على موعد محدد بعد ثلاثة أيام، لكنها رفضت أن تقول أين، وقالت: إن المرشد مشرك لأنه جلب معه وثنًا، لكنه جاع وأكله، وأنه كريه، ورائحته كريهة أيضًا**».

قالت أيضًا: «**إن الناقة الأخرى غير متعاونة وتتدخل في كل شيء وعشرتها صعبة**».

- «**إذن النبي وأبو بكر لم يبتعدا كثيرًا، هما مختبئان في مكان سارا له على الأقدام**». قال الضرس.
- «**فكرة ممتازة، غالبًا سيبحث سادة مكة بعيدًا، وخلال ثلاثة أيام لن يأتي في بالهم أنهم لا يزالون قريبين من مكة هكذا**». قال نبّاح.

- **«بعد ثلاثة أيام سيحبط سادة قريش ويصابون باليأس، ويكون الوقت صار مناسبًا للانسحاب بهدوء إلى يثرب»**. قال الضرس.
- **«لكنّ المتصيدين للجائزة سيبقى خطرهم كبيرًا»**. قال نبّاح.
- **«كم مضى من الأيام الثلاثة؟»**. قالت هريرة.
- **«المتبقي ليلتان ويوم»**.
- **«وقت طويل، أحتاج إلى المزيد من المهدئات»**.
- **«وسريعة قالت إنها تحتاج إلى المزيد من الشاورما»**. قال نبّاح.
- **«سنفلس هكذا، ربما لن نستطيع حمل سريعة بعد أن ينتهي كل شيء، قل لها إن الدراسات أثبتت أن الشاورما مضرة بالصحة»**. قال الضرس متبرمًا.
- **«هل هي كذلك فعلًا يا حياتي؟»**.
- **«لا أعرف، أنا نباتي»**.
- **«متى سنعرف أي خبر جديد من النبي؟»**. سأل نبّاح.
- **«في هذه المرحلة، الخبر الجيد هو ألّا نسمع أي خبر»**. قال الضرس.
- **«لم أفهمها هذه يا حياتي»**.
- **«ما دام لا أخبار هنا في مكة، فهذا يعني أن سادة مكة لم يظفروا بالنبي بعد»**.

- **«صحيح، سهلة هذه، كان يجب أن أفهمها، لا أعرف ما قصتي هذه الأيام».**

- **«لدي خبر مهم».** قال نبّاح.
- **«ما هو؟».**
- **«عرفت أين النبي وأبو بكر».**
- **«ماذا؟ كيف؟».**
- **«أعرف (كبوش) أحد أغنام أبي بكر، ففكرت أن أسأله إن كان قد سمع شيئًا عن أخبار النبي وأبي بكر، فنفى ويبدو أنه لا يعرف أي شيء أصلًا عن خروجهما من مكة، (خروف) حقيقي».**
- **«خروف حقيقي؟ ألا تشعر أن هذه الكلمة عنصرية قليلًا؟».** سألته هريرة.
- **«دعيه يكمل يا هريرة».** نظر الضرس إلى هريرة بحدة.
- **«لكن كبوش تحدث بعدها عن إجهاده وعن تشنجات في عضلات ساقيه، فسألته مجاملًا عن السبب، فقال: إن راعي الغنم يأخذهم إلى الرعي في مكان بعيد منذ يومين، رغم أنه ليس غنيًا بالمرعى، ويتركهم إلى وقت متأخر هناك، فلا يعودون إلا بعد أن تكون الشمس قد غربت، ويعود بهم إلى المكان نفسه مع الفجر».**
- **«أين هذا المكان؟».**

- **«بين سهل وادي المفجر وبطحاء قريش، مقابل جبل ثور، سألته إن كان الراعي يرى أحدًا هناك، فنفى، لكنه قال: إنه يجعلهم يعيدون السير على المكان نفسه عدة مرات. رواحًا ومجيئًا عدة مرات».**
- **«لكن ماذا يعني كل هذا؟ كيف عرفت أن هذا هو مكان النبي وأبي بكر؟»**. سأل يقظان.
- **«يجعلهم يسيرون على المكان نفسه عدة مرات؟ ويبقون إلى وقت متأخر هناك؟ ويذهبون إليه مجددًا مبكرين؟»**. كرر الضرس كلام نبّاح متفكرًا بكل كلمة.
- **«نعم، من الواضح أن الراعي يريد أن يمحو آثار خطوات شخص ما يسير على هذا الطريق، شخص يذهب ويجيء على هذا الطريق كل يوم، ولا بد ألّا ينتبه لخطواته أحدٌ».** قال نبّاح.
- **«هل تقصد أن النبي وأبا بكر يذهبان إلى هذا المكان كل يوم ويرجعان؟ لا يبدو الأمر منطقيًا أبدًا يا حياتي».**

التفت الجميع إليها وقد فاجأهم ما قالته.

- **«هذا ما أعاني منه، عندما يقول أحد إن مكان الدجاجة يجب أن يكون في قفصها ومع صيصانها فلا يجب أن نلومه، الدجاجة ليست مؤهلة للمشاركة في الشأن العام».** قال يقظان.

- «**أنا معك في هذا عمومًا، ولكن بما أنك فتحت الموضوع، هل ممكن أن تقول لنا ماذا فهمت من كلام نبّاح يا ديك البرابر؟**». قالت هريرة.
- «**من غير المنطقي أن يكون النبي وصاحبه يرجعان كل ليلة إلى مكة كما قالت دجانة**». قال يقظان.
- «**أحسنت يا يقظان**». قال نبّاح.
- «**من المنطقي أن يكون واحد منهما فقط مَن يفعل ذلك، وربما يتناوبان على الأمر**». قال يقظان بفخر.
- «**اطمئني يا دجانة، لا أحد يستطيع أن يرجعك إلى القفص إلا إذا رجع زوجك معك**». قالت هريرة.
- «**أفضل القفص من دونه يا حياتي، ولكن شكرًا على أي حال**».
- «**ما يريد نبّاح توضيحه، أن هناك من يذهب كل يوم إلى مكان اختباء النبي وأبي بكر، يحمل لهم الطعام وربما يزودهم بأخبار ما يحدث في مكة، يذهب ليلًا ويرجع قبل الفجر وهكذا تمحو الأغنام خطوات ذهابه في عودتها، وتمحو خطوات عودته في ذهابها**». قال الضرس.
- «**بالضبط، وقد لبثت قرب بيت أبي بكر، فوجدت ابنه عبد الله يتسلل قبل الفجر خلسة**». قال نبّاح.
- «**توء توء توء. خطأ كبير يا حياتي أن يترك الأهل أبناءهم دون رقابة هكذا. عبد الله في سن صعبة، والله أعلم ماذا يفعل خارج البيت حتى هذا الوقت المتأخر**».

- **«دجانة، عمَّ تتحدثين؟».**
- **«هذا رأيي، لا تفهموني خطأ. أنا مع الحرية ولكن مع وجود ضوابط. لا أحبذ أن يتأخر الصبي أو البنت عن موعد الغروب على أقصى تقدير يا حياتي».**

ضرب الضرس جبهته ونبح نبّاح.

- **«عبد الله يعود في هذ الوقت يا دجانة كيلا يراه أحد فيكتشف مكان النبي وأبيه.. يذهب بعد الغروب ويرجع قبل الفجر».**
- **«أوه، فعلًا بعض الظن إثم يا حياتي، لكن رغم ذلك، موقفي من الرقابة على الأبناء واضح وثابت».**
- **«بعيدًا عمَّا فعلته بنا دجانة الآن، الخطة محكمة ومتقنة فعلًا».** قال الضرس.
- **«اطمأنَنْت الآن إلى أنهم يجدون ما يأكلونه، كنت مؤرقة لا أنام من شدة قلقي بسبب ذلك».** قالت هريرة.
- **«مؤرقة؟ لقد تعرفت إلى سفّاح بالمناسبة، وقال لي إن شخيرك يصل إلى بيت أبي لهب».** قال نبّاح.
- **«نعم، بمساعدة المهدئات، لكني واثقة أنه لا يسمع شيئًا لأنه أصم، ثم إن الشخير حرية شخصية».** قالت هريرة.
- **«ما هو أهم من كل ذلك الآن، هو أن الليلة ستكون الليلة الثالثة بعد خروج النبي وأبي بكر من مكة».** قال الضرس.
- **«نعم، يفترض أن يتحركا غدًا صباحًا إلى يثرب».**
- **«ثلاثة أيام ولا خبر في مكة عن القبض عليهما، وهذه أخبار جيدة».**

٣٤

ـ «**لدينا ضيفتان مهمتان اليوم**». قال الضرس.

قالت دجانة: «**أرى ضيفة واحدة فقط يا حياتي، تذكرني بسيئة الذِّكر زاجلة**».

ـ «**أنا أيضًا لا أرى إلا ضيفة واحدة، عمومًا تشرفنا، معك هريرة.. قطة أرستقراطية من الطبقة العليا في مكة**».

ـ «**أهلًا وسهلًا، أنا عيطبول، حمامة من بطحاء مكة**».

ـ «**عيطبول! يا ساتر، كيف حدث لك هذا؟ هل هو مُعدٍ أم وُلدتِ به يا حياتي؟**».

قالت هريرة بهمس: «**اسمها عيطبول يا دجانة. يعني طويلة العنق**».

ـ «**أين الضيفة الثانية؟**». قال نبّاح.

أشار الضرس إلى الأرض: «**ها هي ذي**».

نظروا جميعًا إلى حيث أشار.

ـ «**لا تقتربوا منها.. قد تسحقونها**». قالت عيطبول.

ـ «**ما هذا؟**».

- **«إنها العنكبوت أم عنكب. أمهر بنّاءة بيوت عناكب في مكة وضواحيها».**

صدر صوت من أم عنكب.

- **«عفوًا، تقول إنها أمهر بنّاءة في كل جزيرة العرب».**
- **«لا تتحدث بلغتنا؟».**
- **«لا، لكننا نتفاهم جيدًا فيما بيننا».**
- **«عيطبول وأم عنكب لديهما ما يقولانه لنا بخصوص النبي وأبي بكر».**

اتجه الجميع بأنظارهم إلى عيطبول.

- **«إحم إحم، يسعدني ويسعد زميلتي أم عنكب أن أقف أمام حشدكم الموقر هذا لكي أؤكد على تشرفنا بالحضور هنا في جمعكم المحترم...».**

قاطعها الضرس: «**أخت عيطبول، ادخلي في الموضوع**».

- **«لا أعرف كيف أخبركم، لكنّ النبي وأبا بكر كانا في غار في جبل ثور، جاء رجل اسمه أبو جهل ومعه آخر واسمه أمية ومعهما عبيد وخدم وهما يبحثان عن النبي، وصلا إلى الغار، ووقفا عليه».**

ثم سكتت عيطبول.

- **«ثم ماذا حدث؟».**
- **«فجأة وجدت نفسي في عش على مدخل الغار، أجلس على خمس بيضات دفعة واحدة».**

ثم أطرقت في خجل: «**علمًا أني لست متزوجة، ووجدت أم عنكب في بيتها بجانبي، على مدخل الغار**».

- «**ماذا تقصدين فجأة؟**».
- «**أقصد أننا لم نكن هناك أصلًا، كنت أنا على قمة الجبل، وأم عنكب كانت في غار في جبل آخر، لديها مشروع سكني في جبل الخندمة، وفجأة وجدنا أنفسنا على مدخل الغار، أنا على العش وأم عنكب في بيتها، وخيوط بيتها تسد مدخل الغار، شعرنا بأنفاس النبي وصاحبه خلفنا، وأمامنا كان أبو جهل ومن معه، قال أبو جهل لأمية: لا فائدة من صعودنا هذا المرتفع، بيت العنكبوت على مدخل الغار يبدو قديمًا، والحمامة في عشها، لو كانا قد دخلا هنا لتحطم بيت العنكبوت ولطارت الحمامة، ثم سألا أحد المرشدين إن كان هناك غار آخر في الجبل فدله على جبل آخر.. وذهبا بعيدًا**». قالت عيطبول.

علت عبارات سبحان الله والله أكبر.

- «**الله ما أجمل هذا الذي حدث يا حياتي! كاد قلبي أن يتوقف من شدة الخوف، قلت لنفسي إن أبا جهل قد يهدم بيت أم عنكب، أو يكسر بيوضك، ما ذنب الصغار، ثم الحمد لله.. انتهى كل شيء**».
- «**سبحان الله. تدخل الله في الوقت المناسب. معجزة! أنتما معجزة واقفة على قدمين أمامنا**». قال نبّاح.
- «**بل عشرة. اثنتان لي وثمانية لأم عنكب**».

- **«قادر على كل شيء، المهم أنهم ذهبوا، وأن النبي بخير»**. قال الضرس.

نظرت هريرة بنظرة خاصة إلى عيطبول، وحركت ذيلها علامة انزعاجها، ثم قالت: **«هذه القصة كلها لم يُثبَت أنها حدثت!»**.

شهقت دجانة: **«ماذا تقصدين؟ هل حطم أبو جهل البيت والبيوض؟»**.

- **«هل أفهم أنك تتهمينني بالكذب؟»**. قالت عيطبول.
- **«أقول إن القصة لم يُثبَت أنها قد حدثت. افهمي ما تريدينه»**.
- **«هذه إهانة غير مقبولة، بدل أن ننال تقديرًا على دورنا، نُتَّهم بالكذب. لا أسمح بهذا مطلقًا. أنا حمامة بنت ناس وعائلتي معروفة جدًّا، وأم عنكب أيضًا من أرقى سلالات العناكب في المنطقة»**.
- **«ما الذي يجعلك تقولين هذا يا هريرة؟ أنتِ لم تغادري مكة. كيف تقولين إن هذا لم يحدث؟ على أي أساس؟»**. سألها الضرس.
- **«الكاتب يقول هذا، يقول: إن هذه القصة ضعيفة السند ولم تصح»**. قالت هريرة.
- **«أي كاتب؟»**. سألها نبّاح.
- **«الكاتب الذي يكتب هذه الرواية، الذي يكتب هذا الحوار الآن، قال لي أن أقول ما قلته، وإلا فأني كنت أنوي أن أتأثر جدًّا بما قالته عيطبول»**.

- «هذا الكاتب! تقصدين الذي اخترعكم جميعًا بلا أساس، يعترض على قصتي أنا ويقول عنها ضعيفة! يا للجرأة!».

أصدرت أم عنكب صوتًا.

- «أم عنكب تقول إن هذا الكاتب أصلًا غير متخصص ويحشر نفسه فيما لا يعنيه».
- «لا دخل لي. أنا أقول ما يكتبه. وهو يقول إننا كشخصيات روائية يعرف الجميع أننا شخصيات خيالية، أما أنتما فوضعكما مختلف».
- «ما سبب كل هذا الخلاف؟ هذه إرادة الله، وهو على كل شيء قدير، ما الذي يمنع حدوثها يا هريرة؟». قال الضرس.
- «لا مانع من حدوثها طبعًا. هو يقول فقط إنها لم تصح سندًا».
- «وهل كل ما يأخذ به صحيح السند؟ خلينا ساكتين». قالت عيطبول.
- «يقول أيضًا إن الواقعة تخالف القرآن». قالت هريرة بعناد.
- «وهو يعرف أكثر من مئات كتاب السيرة الذين جعلوا لنا دور البطولة في المشهد؟».
- «هذه هي المشكلة، أنكم تأخذون دور البطولة في المشهد».
- «ولماذا يزعجه هذا؟ يريد أن تكون البطولة له؟».
- «لا، بل يقول إن البطولة يجب أن تكون للسنن».
- «لحظة، مَن سنن هذه يا حياتي؟ لأني لم أسمع بها من قبل، كيف تأخذ البطولة فجأة؟».

- **«البطولة هي للسنن الكونية. للقوانين التي وضعها الله. البطولة للخطة المحكمة التي وضعها النبي ونفذها الجميع بإتقان. مجرد دخول الحمامة والعنكبوت إلى المشهد سيأخذ الدرس إلى منطقة معاكسة تمامًا لا علاقة لها بالتخطيط والقوانين».**
- **«يا لثقل دمك يا هريرة. الناس تتفاعل جدًّا مع قصة العنكبوت والحمامة حتى لو لم تكن صحيحة. لا تعقدي الموضوع ولا داعي لتصعيد الموقف واستخدام شعارات كهذه».** قال نبّاح.
- **«لست أنا. بل هو».**

أصدرت أم عنكب صوتًا.

- **«تقول أم عنكب حتى المُخرج الذي أهدى له الرواية وضعنا في فيلمه مع موسيقى مؤثرة».**
- **«ولو! الحق أحق أن يتبع».**
- **«لا أعرف ما الذي يتوقع أن يحققه، يمكنه أن يقول ما يشاء، ويمكن أن يكون على صواب، لكني واثقة تمامًا، لا كاتبك ولا عشرة مثله سيغيرون شيئًا من وجودي أنا وأم عنكب في القصة، في كل سنة يحتفلون فيها بالهجرة سنكون هناك، داخل ذاكرتهم وتخيلهم عن القصة، في كل بطاقة معايدة، في كل قصيدة، في كل عمل فني، لا شيء سيغير من ذلك».**
- **«ولو.. القصة ضعيفة. لا شيء يثبت أنها حدثت».** قالت هريرة بعناد.

فجأة سمع الجميع صوت تحليق. حطت فاختة على رأس الضرس وهمست له بشيء في أذنه.

- «**القصواء ترسل إليكم السلام وتقول لكم الجزء الأول من الخطة نجح**».

هلل الجميع وصفقوا فرحًا.

ثم عادت فاختة لتهمس في أذن الضرس.

سكت قليلًا، ثم قال وهو يغالب دموعه:

- «**وتقول إن النبي قد اختارها هي للركوب**».

مكتبة
t.me/t_pdf

٣٥

قالت فاختة للضرس: «**هذه ستكون الرسالة الأخيرة التي أحملها من القصواء**».

- «**لماذا؟**».
- «**لأنهم ابتعدوا كثيرًا، أصبح من الصعب عليَّ أن أتابعهم، أيضًا لم يعد الأمر آمنًا بالنسبة إليَّ، كلما ابتعدت أصبحت صيدًا أسهل للكواسر**».
- «**هذا خبر جيد، هذا يعني أنهم ابتعدوا عن مكة أكثر وأكثر**».
- «**نعم، لكن قريش نشرت خبر الجائزة في كل مكان، ومائة ناقة تكفي لجعل الكثيرين يبحثون عن النبي على طول الطريق إلى يثرب.. لن يكون النبي في مأمن إلى أن يصل إلى يثرب**».
- «**أنت على حق، لكنه سيكون في رعاية الله وحفظه**».
- «**آمين**».
- «**كيف هو الطريق؟**».

- «يأخذان الطرق الأقل مسلكًا، يسيران ليلًا ويبحثان عن ظل ينامان فيه نهارًا، وقد كاد أحد فرسان بني مدلج أن يظفر بهما».
- «ماذا حدث؟».
- «يبدو أنه سمع ممن مر بهم أنه شاهد ثلاثة رجال على نوقهم، فخمن أنهم مَن تريده قريش، وانطلق إلى حيث أشار الرجل، وكانت فرسه سريعة، انتبهوا له، وأسرعوا، لكنه كان على وشك الوصول إليهم».
- «ثم؟ ماذا حدث؟».
- «دعا النبي على فرسه، فعثرت وغاصت في الرمل، فجأة، وكلما حاول أن يقوم بها تغوص أكثر، فأخذ الرجل يطلب الأمان من النبي، وأخذ يخبرهم بالأخبار وما تفعله قريش لكي تصل إليهم، وعرض عليهم ما معه من طعام، لكنهم لم يأخذوه، طلبوا منه فقط ألَّا يخبر أحدًا أنه شاهدهم».
- «كم أنا فخور بهذا الفرس، ليتني أتعرف إليه ذات يوم، أين حدث كل هذا؟».
- «بعد منتصف الطريق، طريق الساحل».
- «لم يبقَ الكثير إذن».
- «نعم، لم يبقَ الكثير».
- «لكننا لن نعرف إلا بما يصل مكة من أخبار، لن تنقلي لنا المزيد من الأخبار».
- «نعم».

- «**عسى أن يأتي الخبر المحزن لقريش، أن النبي قد وصل إلى يثرب وأنه استُقبِل هناك من المسلمين استقبال الملوك**».
- «**إن شاء الله، صحيح نسيت أن أسألك، أين سريعة؟**».

نظر إليها الضرس نظرة غريبة، ثم ضرب على رأسه وركض بسرعة بعيدًا.

حلقت فاختة خلفه: «**ماذا حدث؟**».

- «**سريعة! لقد نسيناها في دار الندوة!**».

- «**لم أكن أتخيل قط أنكم ستفعلون هذا بي**». قالت سريعة بغضب.
- «**اعذرينا يا حياتي، تعرفين الصيصان ومشكلاتهم وتربيتهم، ويقظان وصراخه**».
- «**لم أكن أعول عليك أصلًا، العتب على نبّاح والضرس!**».
- «**الحمد لله لا عتب عليَّ**». قالت هريرة.
- «**لقد جئت لك بالشاورما التي تحبينها، عشر وجبات**». قال الضرس.
- «**لكن أحدكم أخذ من أصابع البطاطا، أنا واثقة من أن كميتها أقل من كل مرة**». ردت سريعة وهي تأخذ قضمة من الشاورما.
- «**هناك مطعم جديد يا سريعة، لديه وجبات أخرى، صاحبه من العراق، لديه وجبة شهية اسمها (دولمة)**».

همس الضرس لهريرة: «**اسكتي يا هريرة، اسكتي أرجوك، سأفلس**».

- «**عمومًا بعد هذه التجربة المريرة قررت أن أكتب مُذكّراتي**».
- «**جميل، ماذا ستسمينها؟**».
- «**غدر الزمان**».
- «**لماذا هذا البؤس يا سريعة؟ نسيناك أربع ليالٍ وخمسة أيام فقط، ماذا لو لم تسألني فاختة عنك؟**».
- «**كثر الله خيرها أنها سألت، وإلا كنت مت جوعًا في دار الندوة حتى الإخوة النمل خافوا مني وهربوا**».
- «**لماذا خافوا منك؟**».
- «**لا شيء مهم، أكلت قليلًا منهم**».
- «**لا، ليسوا محقين بالخوف، كان يجب أن يدعوك تأكلينهم جميعًا**».
- «**لم يكُن طعمهم لذيذًا بالمناسبة، لكني كنت أسد جوعي فقط**».
- «**هل يمكنك أن تسدي جوعك بالمزيد من النمل؟ أم أن عليَّ أن أستمر بإمدادك بالشاورما؟**».

نظرت له سريعة نظرة اشمئزاز:

- «**تعايرني بالشاورما ثم تعترض على تسمية مُذكراتي بغدر الزمان؟**».
- «**لا تقلقي، أمزح معك، سنأتي لك بكل ما تحبين، لكن هناك ما يجب أن نتحدث به الآن، بخصوص اجتماعاتنا هذه**».

- **«أنا أيضًا لدي ما أقوله لكم»**. قالت هريرة وهي تبتسم.
- **«ماذا هناك؟»**.
- **«هناك خبر حزين وخبر مفرح، بماذا تريدون البدء؟»**.
- **«بالمفرح يا حياتي»**.
- **«سأغادر غدًا فجرًا إلى يثرب، جاء خادم إنسانتي وحزم المتاع، قال مع مَن معه أننا سنتحرك غدًا»**.
- **«وهذا هو المفرح؟ فرحة لأنك ستتركيننا؟»**. قالت سريعة.
- **«نعم طبعًا، أريد أن أغير جوًّا وأغير وجوهًا، أريد أن أبدأ حياة جديدة دون قيود الماضي»**.
- **«ما الخبر المحزن؟»**. سألها نبّاح.
- **«الخبر المحزن؟»**. قالت وقد اتسعت ابتسامتها.
- **«الكلب سفّاح هرب اليوم. لذا لن يأتي معنا إلى يثرب، الحمد لله على كل حال. قدّر الله وما شاء فعل»**.
- **«سفّاح هرب؟! هو يمشي بصعوبة، ولا يرى، كيف هرب؟»**.
- **«فتحت له الباب، وقلت له إن الطريق من هنا، لأنه لا يرى جيدًا، خرج، ثم أغلقت الباب خلفه. لقد هرب»**. قالت وهي تلعق يديها.
- **«أنت مجرمة حقًّا يا حياتي»**.
- **«شكرًا، لا تقلقي عليه، سيتدبر أمره، ثم إني فعلت ذلك من أجله، الطريق إلى يثرب سيكون صعبًا عليه، وقد لا يحتمله فيموت، فليمت في مكة أفضل»**.
- **«ستتركيننا إذن يا هريرة»**. قال الضرس.

- «**نعم، لا أنكر أنني أحببتكم، وأنكم غيرتم من نظرتي المسبقة نحو أنواعكم الحيوانية المتدنية بالنسبة إليَّ، ولكن كل شيء يجب أن يصل إلى نهايته، وأعتقد أنني سأضجر منكم لو بقينا أكثر**».
- «**أنا أيضًا أحببتك يا هريرة، رغم لؤمك وعجرفتك وتكبرك ورغم كونك قطة، لكني أحببتك بكل عيوبك**». قال لها نبّاح بحنان.
- «**هذا هو تقبل الآخر**». قالت هريرة.
- «**عيب يا حياتي، أي قبلات وأي كلام من هذا القبيل؟ نبّاح لم يقصد شيئًا**».
- «**أنت بالذات يا دجانة لم أتخيل أني سأحب كائنًا بليدًا مثلك، دومًا الغباء ارتبط عندي بثقل الدم، لكن معرفتي بك غيرت قناعاتي: أنت غبية جدًّا، ولكن خفيفة الدم جدًّا.. سأفتقد غباءك بلا شك**».

تورد خدا دجانة خجلًا: «**شكرًا لكِ، هذا من لطفك فقط**».

- «**تعرفين لماذا أحبك يا هريرة؟ لأنك تذكرينني بشبابي! كنت مثلك بالضبط**». قالت سريعة.
- «**هل كنت قطة في شبابك يا حياتي؟**».
- «**لا، أقصد كنت مثل هريرة: تحب نفسها فقط وأنانية جدًّا وتعتبر أنها مركز الكون والكل أقل أهمية منها، كنت هكذا**». قالت سريعة.

ردت لها هريرة الضربة: «**وأنا أيضًا سأفتقدك، تعرفين، أنا لم أرَ جدتي من أبي أو من أمي، ماتتا قبل أن أُولد، لذا كنت أنت مثل الجدة التي لم أرها قط، لكنك طبعًا أكبر منهما بكثير، ربما أنت بعمر جدتهما أو جدة جدتهما**».

التفتت هريرة إلى الضرس وقالت له: «**سأعترف لك بشيء يا ضرس، لو كنت قطًّا، لرضيت بالزواج منك، لكنك مع الأسف حصان.. رغم أن فيك كل المواصفات التي أحلم بها**».

لأول مرة بان الخجل على الضرس وأطرق في الأرض، ثم قال: «**وأنت كذلك مثل أخت عزيزة يا هريرة**».

انفجرت سريعة بالضحك شامتة.

عدلت هريرة من شعرها فوق أذنيها وقالت: «**أخت عزيزة؟ أقول له كنت سأرضى بالزواج منك ويقول لي أخت عزيزة. لا أمل من الذكور. لا أمل فيهم**». ثم التفتت إلى سريعة: «**ولا فيكِ أيضًا**».

سألها الضرس: «**هل أكملت أخبارك؟ لدي ما أقوله الآن**».

- «**تفضل أخي**». قالت هريرة وهي تضغط على كلمة أخي.
- «**علينا أن نتذكر جميعًا لماذا أسسنا هذا المجلس، لقد كنا نريد أن نساعد المسلمين في مرحلة صعبة، الأمر الآن اختلف، المسلمون تركوا مكة، ولم يعودوا ضعفاء كما السابق، لذا فبمجرد أن نتأكد من خبر وصول النبي إلى يثرب، فإن هذا المجلس سيكون ملغيًّا تلقائيًّا**». قال الضرس وهو يغالب دموعه.

قالت دجانة: «**قطعت قلبي يا حياتي، أشعر أنني في الحلقة الأخيرة من المسلسل**».

ردت عليها سريعة: «**ربما يكون هناك موسم ثانٍ، مَن يدري؟**».

قالت هريرة: «**إذا كان اسمي هو الأول، لا مشكلة**».

انفض المجلس، توادع الجميع وتبادلوا القبلات والأمنيات، بكت سريعة وبكى الضرس ثم بكت دجانة وبكى نبّاح، وأخيرًا بكت هريرة لأنها أحرجت جدًّا من بكاء الجميع.

أخيرًا قبل أن يذهب الجميع همست دجانة لهريرة: «**بخصوص الحياة الجديدة التي ستبدئينها.. هل يشترط هذا أن تموتي أولًا، أو كيف لم أفهم؟**».

فكرت هريرة قليلًا وقالت: «**دجانة، أي شيء لا تفهمينه، اعتبريه مجازًا، وانتهى**».

نظرت دجانة إليها كما لو أنها فهمت: «**فكرة جيدة، سأتذكر ذلك**».

الخاتمة

بعد سنوات، كانت القصواء في مرعى قرب البقيع، عندما جاء (السكب)، فرس النبي.

تذكرت القصواء الضرس وكيف كان يريد أن يصبح فرسًا للنبي.

كانت هذه أول مرة تتاح لها فرصة الاقتراب من السكب، سمعت عنه كثيرًا وعن سرعته وشجاعته، ولكنها لم تره من قبل.

عندما اقتربت منه لم تصدق عينيها. تصورت أنها أخطأت وأن هذا ليس فرس النبي.

- **«الضرس؟ ماذا تفعل هنا؟»**.
- **«قصواء، كيف حالك؟! حاولت أن أراك كثيرًا ولكن لم أنجح»**.
- **«ماذا تفعل هنا؟»**.
- **«الحمد لله.. حقق الله لي أمنيتي، أنا الآن فرس النبي يا قصواء»**.
- **«لا، فرس النبي هو السكب»**.
- **«أنا السكب، غيّر النبي اسمي بعد أن اشتراني من بني فزارة»**.

- «سبحان الله! لكن كيف وصلت إلى بني فزارة من مكة؟».
- «قصة طويلة.. ربك عندما يقدر طرقنا كما تعرفين، أُباع لشخص ذاهب إلى الشام، فأكتئب وأعتقد أني لن أكون بالقرب من النبي أبدًا، في الطريق يبيعني إلى رجل من بني فزارة قرب يثرب، ثم في أقل من أسبوع أنا فرس النبي!».
- «ونعم بالله، هل هناك أي خبر من أصدقائنا في مكة؟».
- «لا، للأسف، وأنتِ، هل التقيتِ بهريرة؟».
- «نعم، عدة مرات، لقد تركت إنسانتها أروى».
- «حقًّا؟ لقد قالت إنها لن تغفر لها أبدًا أنها تركتها».
- «لا، ليس هذا السبب، بل لأنها وجدت شخصًا آخر يعتني بها أكثر، بل وهو يعتبرها مثل ابنته، قالت إنه سيدخلها التاريخ، لم أفهم كيف سيفعل ذلك، لكنك تعرف هريرة».
- «نعم، أعرف هريرة، وغالبًا ستحقق ما تريده».
- «ماذا أيضًا؟».
- «ماذا أيضًا.. لقد عشنا المنعطف، وكنا جزءًا منه، شاهدنا رياح التغيير وهي تهب.. وكنا أيضًا جزءًا منها، مهما حدث بعدها، أنا سعيد لكل ما مررنا به».
- «نعم، كانت حياة مثمرة، حياة حققنا فيها شيئًا للجميع، الكثير من البشر لا يدركون معناها، ولهذا لا يستطيعون الحصول عليها للأسف».
- «معك حق، لقد عشنا من أجل (قضية سامية)».

- **«لو أن دجانة هنا لسألت عن سامية ومَن تكون... رحم الله تلك الأيام»**.

ضحكا معًا عندما تذكرا دجانة ثم وجدا الدموع تنهمر من عيونهما.

- **«سعيدة بأني رأيتك وقد حقق الله لك ما تتمناه»**. قالت القصواء وهي تمسح دمعتها.
- **«وأنا أيضًا سعيد بكِ.. كوني بخير، أستودعك بحفظ الله»**.
- **«أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه»**.

مكتبة
t.me/t_pdf

نبذة عن الكاتب:

أحمد خيري العمري، ولد في بغداد عام ١٩٧٠ م، طبيب أسنان وكاتب، له أكثر من ١٦ كتابا وعشرات المقالات بين الفكر والأدب، عرف بمنحاه التجديدي في الفكر الإسلامي وتأثيره على الشباب ، اختير من مركز أبحاث Global Influence السويسري كواحد من ضمن ١٠٠ اسم مؤثر في تشكيل الرأي العام في العالم العربي لعام ٢٠١٧.

أعماله:

الروايات:

- بيت خالتي
- كريسماس في مكة
- بلال
- ألواح ودسر
- أبي اسمه إبراهيم

الكتب:

- القرآن نسخة شخصية
- ليطمئن عقلي
- السيرة مستمرة
- استرداد عمر
- الفردوس المستعار والفردوس المستعاد
- ليلة سقوط بغداد
- طوفان محمد
- لا نأسف على الإزعاج
- القرآن لفجر آخر
- سيرة خليفة قادم
- البوصلة القرآنية
- سلسلة كيمياء الصلاة
- سلسلة ضوء فى المجرة

telegram @t_pdf

أحمد خيري العمري

الخطة السرية لإنقاذ البشرية

مكة. القرن السابع الميلادي.
الحيوانات تضع خطة سرية لمساعدة البشر على اتخاذ القرار الصحيح قبل أن يضيعوا الفرصة الأخيرة من بين أيديهم.

هذا كل شيء؟! هل يريد الكاتب أن يتجاهل ذكر اسمي في كلمة الغلاف؟!

لا أعتقد أنه تعمّد ذلك يا حياتي. لن يجرؤ.. هو لطيف و"حبوب".

احتشمي يا دجاجة.

لماذا اسمك تحديدًا يا هريرة؟ عَمَلنا كان جماعيًّا. إما أن يذكرنا جميعًا أو يتجاوزنا جميعًا.

المهم الفكرة وليس الأشخاص.

تقصد المهم الفكرة وليس "الحيوانات".

أضم صوتي لصوت الإخوة، أنا مع المساواة بين الحيوانات.

مساواة؟ المساواة هذه تتحدثين عنها عند خالتك، يكفي أنني رضيت أصلًا بالعمل مع كل من هب ودب من أجل المصلحة العامة.. ثم إنه لم يأخذ رأيي في صورة الغلاف.

تبدين أنحف من الحقيقة على أي حال.

صورة الغلاف؟ هل انتهت الرواية؟

غلاف : مختار زين

9 789779 921433

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb